

The Islamic University of Gaza
Deanship of Research and Postgraduate
Faculty of Literature
Master of Arabic Language



الجامعة الإسلامية بغزة
عمادة البحث العلمي والدراسات العليا
كلية الآداب
ماجستير لغة عربية

التراكيب النحوية من الوُجْهَة البلاغية في القرآن الكريم
(الخمسة أجزاء الرابعة "16-20")

**The Syntactic Structures from the Rhetorical
Prospect of the Holy Quran
(Five Fourth Parts "16-20")**

إعداد الباحثة
آية إسماعيل عطيه بحر

إشراف
الأستاذ الدكتور
محمد شعبان علوان

قُدِّمَ هَذَا البحثُ إِسْتِكْمَالاً لِمُتَطَلِبَاتِ الحُصُولِ عَلَى دَرَجَةِ المَاجِسْتِيرِ فِي البلاغة العربية بِكُلِيَّةِ
الآداب فِي الجَامِعَةِ الإسلاميَّةِ بِغَزَّةِ

محرم/1439هـ - سبتمبر/2017م

إقرار

أنا الموقعة أدناه مقدمة الرسالة التي تحمل العنوان:

التركيب النحوي من الوجْهة البلاغية في القرآن الكريم

(الخمس أجزاء الرابعة "16-20")

**The syntactic structures from the rhetorical
prospect of the holy Quran
(Five fourth parts "16-20")**

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل الآخرين لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

I understand the nature of plagiarism, and I am aware of the University's policy on this.

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted by others elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name:	آية إسماعيل بحر	اسم الطالبة:
Signature:		التوقيع:
Date:	2017/09/30	التاريخ:



هاتف داخلي 1150

عمادة البحث العلمي والدراسات العليا

الرقم: ج س غ/35/

التاريخ: 2017/11/13م

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة عمادة البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحثة/ ايه اسماعيل عطيه بحر لنيل درجة الماجستير في كلية الآداب/ قسم اللغة العربية، وموضوعها:

التركيب النحوية من الوجهة البلاغية في القرآن الكريم الخمسة أجزاء الرابعة (20-16)

وبعد المناقشة التي تمت اليوم الاثنين 24 صفر 1439هـ، الموافق 2017/11/13م الواحدة ظهراً في قاعة مؤتمرات مبنى الحديدان، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

.....
.....
.....

أ.د. محمد شعبان علوان مشرفاً و رئيساً

أ.د. نعمان شعبان علوان مناقشاً داخلياً

د. محمد اسماعيل حسونة مناقشاً خارجياً

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحثة درجة الماجستير في كلية الآداب/ قسم اللغة العربية.

واللجنة إذ تمنحها هذه الدرجة فإنها توصيها بتقوى الله ولزوم طاعته وأن تسخر علمها في خدمة دينها ووطنها.

والله ولي التوفيق ،،،

عميد البحث العلمي والدراسات العليا

أ.د. مازن اسماعيل هنية



ملخص البحث

القرآن الكريم معجزة الله الخالدة، التي لا تنفى ولا تنقضي عجائبها، وهو نبع فياض معجز بفصاحته وأسلوبه وبلاغته، معجز كذلك بنظمه الذي يعتبر أساس فكرة الإعجاز فيه؛ لأنه ينتظم في القرآن كله، فلا تخلو منه سورة على قصرها أو طولها، الأمر الذي أعجز أرباب اللغة والبيان عن الإتيان ولو بمثله، فخضعت أعناقهم لبلاغته ووقفوا شاخصين أمام بيانه، ومن هنا كان هذا البحث خطوة في الكشف عن أسرار البراعة في النظم الكريم، حيث قامت الباحثة بدراسة التراكيب النحوية، وما تضمنته من أوجه الدلالات والمعاني البديعة للآيات التي تضمنت المواطن البلاغية في الأجزاء الخمسة الرابعة من القرآن الكريم، مستنيرة بخطى الإمام عبد القاهر الجرجاني رحمه الله.

وقد استدعت طبيعة البحث أن تتوزع مباحثه على: مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول، جاء التمهيد للحديث عن التراكيب النحوية من خلال نظرية النظم للإمام الجرجاني، ثم تبعه الحديث عن الأجزاء الخمسة الرابعة وبيان المحور الذي تدور حوله السور القرآنية الواردة فيه، ثم قسم البحث لثلاثة فصول، تناول الفصل الأول دراسة التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية في علم المعاني وضم المباحث التالية: "الخبر - الإنشاء - التقديم والتأخير - القصر - الإيجاز والإطناب"، ثم تناول الفصل الثاني دراسة التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية في علم البيان وضم الأربعة مباحث التالية: "التشبيه - المجاز - الاستعارة - الكناية والتعريض"، أما الفصل الثالث وهو الأخير فقد تناول دراسة التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية في علم البديع بفرعيه المعنوي واللفظي.

وهدف هذا البحث للكشف عن روعة البلاغة القرآنية وإظهار إعجازه الذي لا يدانيه إعجاز، وسمو تراكيبه النحوية ومرونتها واحتمالها لأوجه متعددة من الدلالات، وهذا أقوى رد على أولئك المشككين في فصاحته، الناعتين بلاغته بالجمود والتحجر.

وأخيراً سعى هذا البحث إلى إثراء الدراسات البلاغية القرآنية من خلال دراسة التركيب النحوي للأسلوب البلاغي وبيان الصلة الوثيقة بينهما.

وختم البحث بجملة من النتائج والتوصيات، والتي أسأل الله سبحانه وتعالى أن تكون دليلاً واضحاً لطلبة العلم للاستفادة والاستزادة منها، فضلاً عن دعوتهم لشمولها بالدراسة والبحث والتنقيب.

Abstract

The Noble Quran is the eternal miracle of Allah, which does not diminish and continuously provides those who ponder over it with miraculous aspects and facts. This includes the linguistic and rhetoric aspects which is clearly reflected in the Quranic style in all of its parts, surahs, being short or long. This made it impossible for anyone to innovate a text that is similar to the Noble Quran. Thus, this study aimed at exploring the innovative aspect in the Quranic style through examining its grammatical structures and their indications, innovative meanings, and rhetoric aspects. This has been carried out with reference to the fourth five parts of the Noble Quran, and considering the methodology of Imam Abdul-Qaher Al-Jerjani, may Allah's mercy be upon him.

The nature of the study necessitated its division into an introduction, a preface, and three chapters. The preface discussed the grammatical structures as perceived in the theory of organization developed by Imam Al-Jerjani. This was followed by a discussion of the fourth five parts of the Noble Quran which aimed to identify the main theme of the surahs of these parts. The research was then presented through three chapters. The first chapter discussed the grammatical structures from the rhetorical aspects included in the science of ma'ani. This included the following: predicate, composition, bringing forward and backward, limitation, and concision and elaboration. The second chapter discussed the grammatical structures from the rhetorical aspects included in the science of bayan. This included the following topics: assimilation, metaphor, metonymy, and indication. The third and last chapter discussed the grammatical structures from the rhetorical aspects included in the science of badee', considering its verbal and unspoken aspects.

The purpose of this research was to reveal the magnificence of the Qur'anic rhetoric aspects, and to manifest its miraculous grammatical structure that are flexible and provide a variety of meanings. This is the most powerful response to those who doubt its innovative rhetoric nature.

Finally, this research sought to enrich the Qur'anic rhetorical studies by studying the grammatical structure of the Quranic rhetorical style, and through showing the close connection between both of them.

The research concluded with a set of results and recommendations. I ask Allah Almighty to make this effort a clear guide for the students of knowledge to benefit from it and to carry out further research in this field.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ

وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾

[الزمر: 9]

صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ

الإهداء

- ✘ إلى من جرع الكأس فارغاً ليسقينا قطرة حب، إلى من كَلَّت أنامله ليقدم لنا لحظة سعادة، إلى اليد الطاهرة التي أزلت من أمامنا أشواك الطريق ورسمت المستقبل بخطوط من الأمل والثقة، إلى الذي لا تفيه الكلمات والشكر والعرفان بالجميل، إلى من حصد الأشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم، إلى القلب الكبير أبي الغالي.
- ✘ إلى من ركع العطاء أمام قدميها، وأعطتنا من دمها وروحها وعمرها حباً وتصميماً ودفعاً لغدٍ أجمل، إلى العظيمة التي لا نرى الأمل إلا من عينيها إلى من كان دعاؤها سر نجاحي، إلى صاحبة القلب الحنون وبسمة الحياة وسر الوجود أمي الغالية.
- ✘ إلى القلوب الطاهرة الرقيقة، إلى سندي في الحياة إخوتي وأخواتي.
- ✘ إلى من أخذ بيدي، ورسم الأمل في كل خطوة مشيناها معاً، إلى الروح التي سكنت روحي زوجي العزيز.

إليهم جميعاً ... أهدي هذا الجهد المتواضع

الشكر والتقدير

أحمد الله حمد الشاكرين الذي وهبني العزيمة وحب العلم، وعلى ما أنعمه علي من إتمام لهذه الرسالة حمداً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، والسلام على نبيه الأمين محمد صلى الله عليه وسلم، وعملاً بقوله: "أفلا أكون عبداً شكوراً" وبعد،،،

فإنه ليسرني أن أتقدم بوافر شكري وعظيم امتناني إلى أستاذي المشرف على هذه الرسالة فضيلة الأستاذ الدكتور/ محمد شعبان علوان، الذي لم يدخر جهداً في نصحي وإرشادي وتوجيهي من أجل إنجاح هذا العمل، فبارك الله فيه ووفقه لكل خير.

وكذلك أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي الكريمين:

الأستاذ الدكتور/ نعمان شعبان علوان "حفظه الله".

الدكتور/ محمد إسماعيل حسونة "حفظه الله".

لتفضلهما بقبول مناقشة هذه الرسالة، وإسداء التوجيهات الرشيدة، والملاحظات السديدة لتخرج على أكمل وجه.

والشكر موصول لأساتذتي في قسم اللغة العربية لجهودهم الطيبة في إبقاء هذه الجامعة منارة للعلم.

ولا يفوتني أن أقدم خالص شكري وعظيم امتناني إلى الجامعة الإسلامية بغزة، والقائمين عليها حفظها الله وإياهم.

الباحثة

آية إسماعيل عطيه بحر

جدول المحتويات

أ	إقرار	1
ب	نتيجة الحكم	1
ت	ملخص البحث	1
ث	Abstract	1
ج	اقتباس	1
ح	الإهداء	1
خ	الشكر والتقدير	1
د	جدول المحتويات	1
1	المقدمة	1
1	الدراسات السابقة:	1
2	منهج البحث:	2
2	أسباب اختيار الموضوع :	2
3	خطة البحث:	3
5	التمهيد	5
6	أولاً: العلاقة بين النحو والبلاغة:	6
10	ثانياً: التقديم حول السور موضوع البحث:	10
15	الفصل الأول التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية " في علم المعاني "	15
17	المبحث الأول: التراكيب النحوية للخبر ودلالاتها البلاغية	17
17	الخبر	17
17	الخبر لغة:	17
17	الخبر اصطلاحاً:	17
17	وظائف الخبر:	17
19	التراكيب النحوية للخبر	19

23	أضرب الخبر
37	الأغراض البلاغية التي يخرج إليها الخبر
45	المبحث الثاني التراكيب النحوية للأساليب الإنشائية ودلالاتها البلاغية
45	الإنشاء لغة:
45	الإنشاء اصطلاحاً:
46	الإنشاء الطلبي
46	أولاً: الأمر:
61	ثانياً: الاستفهام:
74	ثالثاً: النهي:
81	رابعاً: التمني:
83	خامساً: النداء:
89	المبحث الثالث: التراكيب النحوية للتقديم والتأخير ودلالاتها البلاغية
89	التقديم لغة:
89	التقديم اصطلاحاً:
90	الأغراض البلاغية للتقديم والتأخير
99	المبحث الرابع: التراكيب النحوية للقصر ودلالاته البلاغية
99	القصر لغة:
99	القصر اصطلاحاً:
99	طرق القصر:
108	المبحث الخامس التراكيب النحوية للإيجاز والإطناب ودلالاتها البلاغية
108	أولاً: الإيجاز
108	الإيجاز لغة:
108	الإيجاز اصطلاحاً:
109	أقسام الإيجاز:

122.....	ثانياً: الإطناب
122.....	الإطناب لغة:
122.....	الإطناب اصطلاحاً:
122.....	أنواع الاطناب:
135.....	الفصل الثاني التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية "في علم البيان"
136.....	علم البيان
136.....	البيان لغة:
136.....	البيان اصطلاحاً:
137.....	أهمية علم البيان:
137.....	موضوعات علم البيان:
138.....	المبحث الأول: التراكيب النحوية للتشبيه ودلالاتها البلاغية
138.....	أولاً: التشبيه:
138.....	التشبيه لغة:
138.....	التشبيه اصطلاحاً:
139.....	أقسام التشبيه:
150.....	أنواع التشبيه:
157.....	المبحث الثاني: التراكيب النحوية للمجاز ودلالاتها البلاغية
157.....	المجاز لغة:
157.....	المجاز اصطلاحاً:
158.....	أقسام المجاز:
170.....	المبحث الثالث: التراكيب النحوية للاستعارة ودلالاتها البلاغية الاستعارة
170.....	الاستعارة لغة :
170.....	الاستعارة اصطلاحاً:
171.....	أركان الاستعارة :

171.....	أنواع الاستعارة:
181.....	المبحث الرابع: التراكيب النحوية للكناية والتعريض ودلالاتهما البلاغية
181.....	أولاً: التراكيب النحوية للكناية ودلالاتها البلاغية:
181.....	الكناية لغة:
181.....	الكناية اصطلاحاً:
181.....	بلاغة الكناية :
187.....	ثانياً: التراكيب النحوية للتعريض ودلالاتها البلاغية:
187.....	التعريض لغة:
187.....	التعريض اصطلاحاً:
187.....	بلاغة التعريض:
189.....	الفرق بين الكناية والتعريض:
191.....	الفصل الثالث التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية في "علم البديع"
192.....	البديع لغة:
192.....	البديع اصطلاحاً:
193.....	المبحث الأول التراكيب النحوية للمحسنات المعنوية ودلالاتها البلاغية
193.....	أولاً: الطباق
202.....	ثانياً: المقابلة :
204.....	ثالثاً: المشاكلة:
205.....	رابعاً: التورية:
206.....	خامساً: اللف والنشر:
211.....	سادساً: أسلوب الحكيم:
212.....	سابعاً: براعة المطلع:
215.....	المبحث الثاني: التراكيب النحوية للمحسنات اللفظية ودلالاتها البلاغية
215.....	أولاً: الجناس:

221.....	ثانياً: السجع :
224.....	الخاتمة
224.....	أولاً: النتائج:
225.....	ثانياً: التوصيات:
226.....	المصادر والمراجع
242.....	الفهارس العامة
243.....	أولاً: فهرس الآيات القرآنية
265.....	ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، خلق الإنسان علمه البيان، ﴿فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾⁽¹⁾، سبحانه اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، والصلاة والسلام على أشرف خلقه سيدنا محمد، آتاه ربه السبع المثاني والقرآن العظيم، كما أوتي عليه الصلاة والسلام جوامع الكلم، فكان أفصح العرب، وبعد:

فإنه من المقرر به أن القرآن الكريم معجزة تتميز عن سائر المعجزات التي أوجدها الله سبحانه وتعالى؛ لكونه حجة مستمرة باقية على مدى الدهر، ولكونه علامة بينة على عظمة الله العلي القدير من وجوه متعددة، من ناحية اللفظ، ومن ناحية المعنى، ومن ناحية دلالة اللفظ على المعنى وجمال السبك وعظيم النظم الذي أنى لأحد أن يأتي ولو بمثله، قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾⁽²⁾

من أجل ذلك كان اهتمام أغلب الدراسات القرآنية ينصب على بلاغة القرآن وفصاحته، إلا أن الملاحظ عليها أنها تدرس البلاغة بعيداً عن الدراسة النحوية التي تعتبر العنصر الأساسي في بناء الأساليب البلاغية، والتي إن حصل بها أي تغيير تغيرت معها تلك الأساليب البلاغية، وبناءً على ذلك فإن النظم والسبك البلاغي المتين إنما بُني أساساً على نظم وسبك نحوي متين ومحكم أيضاً.

الدراسات السابقة:

لقد قامت العديد من الدراسات البلاغية على دراسة نصوص القرآن الكريم نظرياً و تطبيقياً، لكن دراستها نحويّاً من الوجهة البلاغية كان قليلاً جداً، حيث أن الباحثة لم تعثر إلا على عدد يسير من الدراسات ذات الصلة المباشرة بالموضوع، ومنها:

1- التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند الإمام عبد القاهر الجرجاني: للدكتور عبد الفتاح لاشين، وقد تناول فيها الباحث بالدراسة والتحليل الشواهد (الشعرية والقرآنية) عند الإمام الجرجاني، وكيف كان يدرسها بلاغياً من خلال تراكيبها النحوية.

2- كتاب دلالات التراكيب: للدكتور: محمد محمد أبو موسى، تناول فيه الباحث بعض مسائل

(1) [الرحمن:12].

(2) [البقرة:23].

علم المعاني من ناحية تراكيبها النحوية في آيات متفرقة من القرآن الكريم، وبين دلالاتها البلاغية ومعانيها الجلية.

3- كتاب المعاني الثانية في الأسلوب القرآني: للدكتور: فتحي أحمد عامر، حيث تناول فيه المعاني الثانية للقرآن الكريم ككل من ناحية عامة كالمعاني الثانية في التوحيد وفي الحياة الآخرة وفي العبادات وقصص القرآن وغير ذلك

4- كتاب البلاغة والأسلوبية: للدكتور: محمد عبد المطلب، حيث تناول فيه قضية الأسلوبية في تراث القدامى والمحدثين ونظرية النظم، ومفهوم الأسلوب واتجاهاته، وأفرد فصلاً للحديث عن البلاغة والأسلوبية، وبيان أصالة البلاغة العربية.

5- البلاغة القرآنية في تفسير الشوكاني (فتح القدير): إعداد الطالب: محمود مسموح، إشراف: أ. د محمد شعبان علوان، رسالة ماجستير، 2007م، حيث أفرد فيها فصلاً للحديث عن علم المعاني، وآخر للحديث عن علم البيان، وآخر للحديث عن المحسنات البديعية، كما وتناول فيها بالدراسة والتحليل النواحي البلاغية التي تظهر باختلاف القراءات القرآنية.

6- التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية في القرآن الكريم (الخمسة أجزاء الأول): إعداد الطالب: محمد حاتم أبو سمعان، إشراف: أ.د محمد علوان، رسالة ماجستير، 2012م، حيث تناول فيها التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية في أقسام البلاغة الثلاثة، علم البيان والمعاني وعلم البديع.

منهج البحث:

اختارت الباحثة السير وفق المنهج الاستقرائي والوصفي التحليلي؛ للوقوف على الأساليب البلاغية وتراكيبها النحوية: معانيها، وبيانها، وبديعها، فهذه أقرب المناهج للوصول إلى الهدف المنشود بإذن المولى عز وجل.

أسباب اختيار الموضوع :

- 1- إيماني القوي بأن البحث في القرآن الكريم من أعظم ما ينبغي أن ينشغل به طالب العلم؛ لارتباطه بالله عز وجل.
- 2- ابتغاء الأجر من الله تعالى بالتدبر في القرآن الكريم، من حيث معانيه وألفاظه وأساليبه وقوة نظمه وإحكامه.

- 3- التأكيد على أن القرآن الكريم أفضل مجال لدراسة العربية وضبط أصولها وبيان قوتها و تفردا عن سائر اللغات الأخرى.
- 4- الكشف عن التراكيب النحوية للأساليب البلاغية في القرآن الكريم، ومحاولة تفسيرها وتعليل مجيئها على هذه الصيغ بالذات، من خلال اكتشاف المعاني والدلالات التي تختفي وراء هذه التراكيب النحوية المختلفة لآيات القرآن الكريم.
- 5- الكشف عما يميز الأساليب البلاغية القرآنية عن غيرها من الأساليب، وذلك من خلال مقارنتها بنفس الأسلوب البلاغي ولكن مع إحداه بعض التغييرات في تركيبه النحوي، ورصد ما ينتج عن ذلك من اختلافات جوهرية وثانوية، وفي هذا تأكيد وإبراز لأهمية وقيمة الدرس البلاغي وضرورة الاهتمام به من الناحية النحوية أيضاً.
- 6- تيسير فهم الدرس البلاغي القرآني، من خلال عرض إعجازه بصورة ميسرة ومشوقة تفتح المجال للآخرين للإقبال على مثل هذه الدراسات.
- 7- الوقوف على المعاني المجازية الدقيقة لبعض الآيات القرآنية الدالة على إعجازه، وهي كثيرة جداً، ومهما بلغنا من همة فمن الصعب الإحاطة بها، ولكن يكفينا شرف المحاولة.
- 8- إثراء المكتبة العربية بدراسات بلاغية تطبيقية على القرآن الكريم، تتناول دراسة التركيب النحوي من الوجهة البلاغية.

خطة البحث:

- اقتضت طبيعة البحث أن يُقسم إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول على النحو التالي:
- **المقدمة:** وتتضمن الحديث عن أسباب اختيار البحث (موضوع الدراسة) والدراسات السابقة و خطة البحث والمنهج المتبع في هذه الدراسة.
 - **التمهيد:** وتحدثت الباحثة فيه عن فكرتين أساسيتين: الأولى: حول ما يربط النحو بالبلاغة من علاقة قوية وروابط أصيلة، مستلهمةً في ذلك نظرية النظم عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، والتي تعد تطبيقاً وتعليلاً طيباً لهذه العلاقة الوطيدة، وهي علاقة تلازم وتكامل.
- وأما الثانية: حول الآيات والسور محور الدراسة، حتى تكون للقارئ خير مدخل لدراسة تراكيبها النحوية بلاغياً.

الفصل الأول:

التراكيب النحوية من الواجهة البلاغية في علم المعاني

اشتمل على خمسة مباحث وهي :

المبحث الأول: الخبر ودلالاته البلاغية.

المبحث الثاني: الأساليب الإنشائية ودلالاتها البلاغية.

المبحث الثالث: صيغ القصر ودلالاتها البلاغية.

المبحث الرابع: التقديم والتأخير ودلالاتها البلاغية.

المبحث الخامس: الإيجاز والإطناب ودلالاتهما البلاغية.

الفصل الثاني:

التراكيب النحوية من الواجهة البلاغية في علم البيان.

اشتمل على أربعة مباحث أيضاً وهي كالتالي:

المبحث الأول: التشبيه ودلالاته البلاغية.

المبحث الثاني: المجاز ودلالاته البلاغية.

المبحث الثالث: الاستعارة ودلالاتها البلاغية.

المبحث الرابع: الكناية والتعريض ودلالاتهما البلاغية.

الفصل الثالث:

التراكيب النحوية من الواجهة البلاغية في علم البديع

واشتمل على مبحثين، هما:

المبحث الأول: المحسنات المعنوية ودلالاتها البلاغية.

المبحث الثاني: المحسنات اللفظية ودلالاتها البلاغية.

الخاتمة: رابطة فصول البحث، وتشمل النتائج والتوصيات.

التمهيد

التمهيد

أولاً: العلاقة بين النحو والبلاغة:

يُعَدُّ القرآن الكريم العامل الرئيس الذي ساعد على الشروع في الدراسات البلاغية بمختلف اتجاهاتها، وكان هذا العامل من أهم البواعث في إثارة الهمم للبحث الجادّ عن ترتيب وجوه الكلام، والتمييز بين الأساليب ومعرفة الجوانب الجمالية في نسيج تركيب الجملة العربية.

ويُجمَع العلماء على أنه بفضل الكتاب العزيز نشأت علوم البلاغة التي أمدها النصّ القرآني بفيض من الأمثلة البديعة في محاسن الكلام وبديع النظم، فالغاية العظمى التي اتجه من أجلها العلماء لإعداد البحوث والدراسات البلاغية المتعددة، هي فهم إعجاز القرآن الكريم، إذ أدركوا أنه لا سبيل للوصول إلى سر إعجاز القرآن الكريم وفهم معانيه الرفيعة إلا بطريق البلاغة.⁽¹⁾

ويعد الإمام عبد القاهر الجرجاني قطب البلاغة وإمامها وأستاذ مشايخها، بما تركه من نظرات وتأملات وتحليلات بلاغية مهمة، ألقت الضوء على الدرس البلاغي، فأصابت ركناً خفي على بعض العلماء، إلا أنه مع ماله من ذلك الفضل كله، استند في هذا إلى معين انتهل منه، وشذرات مبنوثة في نتاج من قبله، فاستطاع أن يحكم صلة بعضها البعض، فكان منها تلك النظريات المحكمة لما عرف بعد بعلمي المعاني والبيان.⁽²⁾

وقد اعترف الجرجاني صراحة بأن غيره من العلماء قد سبقه إلى التنويه للنظم، وفي ذلك يقول: "وقد علمت إطباق العلماء على تعظيم شأن "النظم" وتخيم قدره، والتنويه بذكره، وإجماعهم أن لا فضل مع عدمه، ولا قدر لكلام إذا هو لم يستقم له".⁽³⁾

ولعل من أبرز نظرياته قضية التآلف والتناسق بين اللفظ والمعنى، أو ما أطلق عليها: نظرية النظم.⁽⁴⁾

(1) انظر: زغلول، نشأة الفنون البلاغية (ص7).

(2) انظر: عباس، البلاغة المفترى عليها بين الأصالة والتبعية (ص141).

(3) الجرجاني، دلائل الإعجاز (ص80).

(4) انظر: الجندي، نظرية عبد القاهر في النظم (ص51-52).

والتي تعني عنده: "تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض، لا أن ينطق بعضها في أثر بعض، من غير أن يكون فيما بينها تعلق، والتعلق يكون فيما بين معانيها، لا فيما بينها أنفسها".⁽¹⁾

أو: "توخي معاني النحو وأحكامه ووجوهه وفروقه فيما بين معاني الكلم".⁽²⁾

أي: إن الجمل والعبارات ترتبط فيما بينها بعلاقات النحو، فتوضع كل كلمة في المكان الذي يتطلبها والسياق الذي يقتضيها، مما ينتج عنه ما يعرف بـ "المعاني الثواني" والتي تعني: المعاني البلاغية التي تدرك من خلال المعاني اللغوية أو المعاني الأول، والتي تمثل أساس نظرية النظم وجوهرها.

من خلال تعريفات الجرجاني لنظرية النظم يتضح لنا أنه يريد أن يثبت أن النظم في جوهره هو النحو في أحكامه، حيث يقول في "أسرار البلاغة": "الألفاظ لا تُقيد حتى تُؤلف ضرباً خاصاً من التأليف، ويُعمد بها إلى وجه دون وجهٍ من التركيب والترتيب".⁽³⁾

كما ويقرّر أيضاً أنّ معاني النحو في القرآن الكريم قد بلغت درجة من الوضوح والظهور والانكشاف لم يبلغها أي نصٍ آخر، ويدل على صحة كلامه بأمثلة من الشعر العربي، ومن ثمّ يوازن بينها وبين النظم القرآني؛ لكي يصل إلى سرّ الإعجاز القرآني المتمثل في "نظمه"، أو في طريقة تأليفه.⁽⁴⁾

والألفاظ عنده تقع مرتبة على المعاني المرتبة في النفس، لأنك ترتب المعاني في نفسك أولاً، ثم تحذو على ترتيب الألفاظ في نطقك؛ لأنه "لا يُتصوّر أن تعرف لفظ موضعاً من غير أن تعرف معناه، ولا أن تتوخي في الألفاظ من حيث هي ألفاظ ترتيباً ونظماً، وإنك تتوخي الترتيب في المعاني وتعمل الفكر هناك، فإذا تمّ لك ذلك أتبعته الألفاظ وقوت بها آثارها، وإنك إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك لم تحتج إلى أن تستأنف فكراً في ترتيب الألفاظ، بل تجدها تترتب لك بحكم أنّها خدم للمعاني وتابعة لها ولاحقة بها، وأنّ العلم بمواقع المعاني في النفس علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق".⁽⁵⁾

(1) الجرجاني، دلائل الإعجاز (ص466).

(2) المرجع السابق، ص525.

(3) الجرجاني، أسرار البلاغة (ص4).

(4) انظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز (ص414-415) (ص552-553).

(5) الجرجاني، دلائل الإعجاز (ص53-54).

وهذا يعني أنّ الأديب حينما يكتب لا يفكر بالألفاظ ولا يطلبها وإنما يطلب المعنى، أما الألفاظ فتبع له؛ أي: للمعنى، تأتي عند التفكير به وترتب بحسب ترتيبه في النفس.

ثم نجده يفسر معنى النظم ويردده كثيراً في صفحات كتابه؛ حتى يتشربه القارئ تشرباً يقتنع معه بما يقول من أن صحة النظم توحي معاني النحو، ووضع الألفاظ موضعها من الترتيب والتأليف، وفساده حين نفتقد الترتيب ولا نراعي التوحي، ولا يقصر فساد النظم على ذلك، بل قد يطرأ عليه الفساد أيضاً إذا أخطأنا التقدير في المعنى؛ أي: بقيت الألفاظ في مواضعها ولم تتغير⁽¹⁾ ودليل ذلك قوله: "فإن ههنا استدلالاً لطيفاً تكثر بسببه الفائدة. وهو أن يتصور أن يعمد عامد إلى نظم كلام بعينه فيزيله عن الصورة التي أرادها الناظم له ويفسدها عليه، من غير أن يحول منه لفظاً عن موضعه، أو يبدله بغيره، أو يغير شيئاً من ظاهر أمره على حال".⁽²⁾

ثم نجده "يشرح لنا المراد بمعاني النحو، ويستبعد أن تكون معاني النحو هي الإعراب، إذ إن الإعراب لا دخل له في الفضل والمزية، وإنما الفضل والمزية مردهما إلى الوصف الموجب للإعراب"⁽³⁾ وفي ذلك يقول: "ومن ههنا لم يجز، إذا عد الوجوه التي تظهر بها المزية، أن يعد فيها الإعراب؛ وذلك أن العلم بالإعراب مشترك بين العرب كلهم، وليس هو مما يستنبط بالفكر، ويستعان عليه بالروية؛ فليس أحدهم، بأن إعراب الفاعل الرفع أو المفعول النصب، والمضاف إليه الجر، بأعلم من غيره ولا ذلك مما يحتاجون فيه إلى حدة ذهن وقوة خاطر، إنما الذي تقع الحاجة فيه إلى ذلك العلم بما يوجب الفاعلية للشيء إذا كان إيجابها من طريق المجاز".⁽⁴⁾

فالإعراب عنده ليس سبباً للفصاحة والبلاغة، وليس من المزايا في شيء، ولربما عده غيره من المزايا بسبب تقويمه للحن، حيث يقول: "ليس هو من الفصاحة التي يعنينا أمرها في شيء، وأن كلامنا في فصاحة تجب للفظ لا من أجل شيء يدخل في النطق، ولكن من أجل لطائف تدرك بالفهم، وأنا نعتبر في شأننا هذا فضيلة تجب لأحد الكلامين على الآخر، من بعد أن يكونا قد برئنا من اللحن، وسلما في ألفاظهما من الخطأ"⁽⁵⁾

(1) انظر: حسين، أثر النحاة في البحث البلاغي (صص 383-384).

(2) الجرجاني، دلائل الإعجاز (ص 371).

(3) حسين، أثر النحاة في البحث البلاغي (ص 384).

(4) الجرجاني، دلائل الإعجاز (صص 395-396).

(5) المرجع السابق، ص 399.

ونظرية النظم كلها قائمة على معاني النحو، يؤكد ذلك قوله: "الألفاظ معلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، وأن الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها، وأنه المعيار الذي لا يتبين نقصان كلام ورجحانه حتى يعرض عليه، والمقياس الذي لا يعرف صحيح من سقيم حتى يرجع إليه".⁽¹⁾

وقد ذكر في كتابه العلاقات والأسباب النحوية الرابطة بين الجمل والتراكيب، وقسمها إلى ثلاثة أقسام: تعلق الاسم بالاسم، وتعلق الاسم بالفعل، وتعلق الحرف بالاسم أو الفعل، وفي ذلك يقول: "واعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمت علماً لا يعترضه الشك، أن لا نظم في الكلم ولا ترتيب، حتى يعلق بعضها ببعض، ويبني بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك. هذا ما لا يجهله عاقل ولا يخفى على أحد من الناس..... وإذا نظرنا في ذلك، علمنا أن لا محصول لها غير أن تعمد إلى اسم فتجعله فاعلاً لفعل أو مفعولاً، أو تعمد إلى اسمين فتجعل أحدهما خبراً عن الآخر أو تتبع الاسم اسماً على أن يكون الثاني صفة للأول، أو تأكيداً له، أو بدلاً منه أو تجيء باسم بعد تمام كلامك على أن يكون الثاني صفةً أو حالاً أو تمييزاً أو تتوحي في كلام هو لإثبات معنى، أن يصير نفيًا أو استفهاماً أو تمنياً، فتدخل عليه الحروف الموضوعية لذلك أو تريد في فعلين أن تجعل أحدهما شرطاً في الآخر، فتجيء بهما بعد الحرف الموضوع لهذا المعنى، أو بعد اسم من الأسماء التي ضمننت معنى ذلك الحرف، وعلى هذا القياس".⁽²⁾

مما سبق يتضح لنا أن الجرجاني لم يخرج في تفسيره لنظم الكلام عن التقسيمات المعروفة في علم النحو، وعليه فإن النظم حاصل في جميع أبواب النحو ما ذكرها وما لم يذكرها؛ لأنها كلمات يتألف من مجموعها كلام، وارتباط الكلمات لا يكون إلا على هذا النحو من الارتباط.⁽³⁾

(1) الجرجاني، دلائل الإعجاز (ص28).

(2) المرجع السابق، ص55.

(3) انظر: حسين، أثر النحاة في البحث البلاغي (ص388).

ثانياً: التقديم حول السور موضوع البحث:

أولاً: سورة مريم:

سورة مكية، عدد آياتها ثمان وتسعون، هي إحدى تسع وعشرين سورة بُدئت بالحروف الهجائية، محورها يدور حول إثبات التوحيد، ونفي الولد والشريك، وذكر قصص بعض الأنبياء، سميت بهذا الاسم؛ لذكر قصة مريم فيها وولدها عيسى عليهما السلام بالتفصيل.⁽¹⁾

ثانياً: سورة طه:

سورة مكية، عدد آياتها خمس وثلاثون ومائة، تتناول في طياتها موضوع التوحيد و الرسالة والبعث، سميت "طه" وهو اسم من أسماء الرسول صلى الله عليه وسلم؛ لأن شخصيته تظهر فيها، ولإرشاده إلى حدود تكليفه وشد أزره وتقوية روحه كي لا يتأثر بما يلقي إليه من كيد وعناد.⁽²⁾

ثالثاً: سورة الأنبياء:

سورة مكية، عدد آياتها اثنتا عشرة ومائة، تعالج موضوع العقيدة والرسالة والبعث، وتتحدث عن الحساب والجزاء وأهوال يوم القيامة، سميت بهذا الاسم؛ لأن الله سبحانه وتعالى ذكر فيها أمة الرسل وقصص الأنبياء.⁽³⁾

رابعاً: سورة الحج:

سورة مدنية، عدد آياتها ثمان وسبعون، تتناول جانباً مهماً من أحكام التشريع "أحكام الحج والهدي والقتال" بالإضافة إلى أحكام تشريعية أخرى، نزلت بعد سورة النور، وفيها بعض الآيات المكية، ومع كونها مدنية إلا أنه يغلب عليها طابع السور المكية؛ لأن موضوع الإيمان والتوحيد، والبعث والجزاء، وأهوال الساعة ومشاهد يوم القيامة بارزة بشكل كبير في هذه السورة، حتى ظننا البعض من السور المكية.⁽⁴⁾

(1) انظر: الصابوني، إيجاز البيان في سور القرآن (ص79).

(2) انظر: المرجع السابق، ص83.

(3) انظر: المرجع نفسه، ص87.

(4) انظر: الصابوني، إيجاز البيان في سور القرآن (ص92).

كما أنها تتناول موضوعات السور المدنية من حيث الإذن بالقتال، وحماية الشعائر الدينية، والأمر بالجهاد في سبيل الله، والوعد بنصرة المؤمنين؛ لذلك اعتبرها بعض العلماء من السور المشتركة بين المكي والمدني.⁽¹⁾

سميت بهذا الاسم؛ لأن الله سبحانه وتعالى ذكر فيها أحكام الحج، وقصة بناء البيت العتيق، وما قام به سيدنا إبراهيم عليه السلام من دعوة الناس للحج امتثالاً لأمر ربه فلبى الجميع دعوته، سيراً على الأقدام أو راكبين من جميع بقاع الأرض⁽²⁾، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾⁽³⁾

خامساً: سورة المؤمنون:

سورة مكية، نزلت بعد سورة الأنبياء، آياتها ثمانية عشرة ومائة.⁽⁴⁾

عالجت المسائل التي تتعلق بأصول الدين من توحيد وبعث ورسالة، وجاءت لتوطيد دعائم الإسلام العظيم، من حيث إقامة البراهين والحجج على وحدانيته، وبيان عظيم آياته في الكون، وما يؤول إليه حال البشرية بعد انتهاء الكون وعودتهم لخالقهم، سميت بهذا الاسم؛ تخليداً للمؤمنين حيث أن الله سبحانه وتعالى قد ذكر فيها جل أوصافهم وكرائم صفاتهم.⁽⁵⁾

سادساً: سورة النور:

سورة مدنية، عدد آياتها أربع وستون آية⁽⁶⁾، افتتحت بافتتاح لم تشاركها فيه سورة من سور القرآن الكريم⁽⁷⁾، حيث بدأت بقوله تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾⁽⁸⁾، وقد قال القرطبي: "السورة في اللغة: اسم للمنزلة الشريفة".⁽⁹⁾ وافتتاحها بهذه اللفظة كناية عن شرفها وعلو منزلتها.

(1) انظر: الصابوني، إيجاز البيان في سور القرآن (ص92).

(2) انظر: المرجع السابق، ص92.

(3) [الحج:27].

(4) انظر: زغلول، نشأة الفنون البلاغية (ص7).

(5) انظر: الصابوني، إيجاز البيان في سور القرآن (ص97).

(6) انظر: زغلول، نشأة الفنون البلاغية (ص7).

(7) انظر: المرجع السابق، ص7.

(8) انظر: المرجع نفسه، ص7.

(9) انظر: المرجع نفسه، ص7.

تناولت الأحكام العامة التي تتعلق بالأسرة والتي تعتبر النواة الأولى للمجتمع، كما ووضحت الآداب الاجتماعية التي ينبغي أن يتحلى بها المجتمع المسلم من استئذان عند الدخول وغض للبصر وحفظ للفرج وغيرها من الأحكام التي تحافظ على عفة وطهارة المجتمع المسلم، كما وذكرت عدداً من الحدود كحد الزنا والقذف واللعان، فحفظت المجتمع من كل فساد أو ضياع قد يصيبه.(1)

سميت بهذا الاسم؛ لما فيها من إشعاعات النور الرباني التي هي قبس من نور الله وفيض رحمته بعباده.(2)

سابعاً: سورة الفرقان:

"سورة مكية وآياتها اثنتا عشرة ومائة"(3).

تهتم بأمور العقيدة وأصول الإيمان، وتعالج شبهات المشركين حول الوحدانية والرسالة والبعث والجزاء، ومعجزة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الخالدة (القرآن الكريم).(4)

سميت بهذا الاسم؛ "لأن الله عز وجل فرق فيها بين الهدى والضلال، وبين الحق و الباطل".(5)

ثامناً: سورة الشعراء:

سورة مكية وآياتها سبع وعشرون ومائتان، رأى بعض العلماء تداخلاً فيها، من حيث النزول؛ أي: أن بعض آياتها نزلت بمكة والبعض الآخر في المدينة،(6) إلا أن جمهور العلماء قد أجمعوا على كونها مكية، حيث قال الشوكاني: "هي مكية عند الجمهور".(7) "وهي السورة السادسة والعشرون في ترتيب المصحف".(8)

(1) انظر: الصابوني، إيجاز البيان في سور القرآن (ص101).

(2) انظر: المرجع السابق، ص102.

(3) الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد (ج3/229).

(4) انظر: الصابوني، إيجاز البيان في سور القرآن (ص105).

(5) المرجع السابق، ص105.

(6) الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد (ج3/350)، وانظر: أبو زهرة، زهرة التفسير (ج10/5328).

(7) الشوكاني، فتح القدير (ج4/108).

(8) المرجع السابق ج10/229.

تناولت موضوعات الإيمان بالله واليوم الآخر، والبعث بعد الفناء، والتذكير والإنذار و الوحي والرسالة، وقصص الأنبياء، وأخبار الأقسام السابقة.⁽¹⁾

سميت بهذا الاسم؛ لأن الله سبحانه وتعالى ذكر فيها أخبار الشعراء رداً على تهم المشركين بأن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم شاعر، وما جاء به شعراً من عنده، فبين الله عز وجل الحق من الباطل، وميز الرسل عن الشعراء وبرأ نبيه مما يكيّدون، كما هو واضح في قوله تعالى: ﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾⁽²⁾، فالشاعر إن كان كاذباً فهو رئيس للطغاة لا يتوقع منه الصلاح، وإن كان صادقاً فلا يتوقع من الفساد والافتراء، وبذلك ثبت صدق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.⁽³⁾

تاسعاً: سورة النمل:

سورة مكية وآياتها ثلاث وتسعون آية، نزلت بعد سورة الشعراء⁽⁴⁾، "عالجت أصول الدين من التوحيد والرسالة والبعث"⁽⁵⁾، سميت بهذا الاسم؛ لذكر قصة النمل مع سيدنا سليمان عليه السلام فيها.⁽⁶⁾

عاشراً : سورة القصص:

سورة مكية، آياتها ثمان وثمانون، نزلت بعد سورة النمل.⁽⁷⁾

تناولت موضوعات السور المكية كالبعث والرسالة والتوحيد وغير ذلك ...، سميت بهذا الاسم؛ لأن الله سبحانه وتعالى ذكر فيها قصص نبي الله موسى عليه السلام، وأحواله منذ ولادته

(1) انظر: الصابوني، إيجاز البيان في سور القرآن (ص109).

(2) [الشعراء:224-227].

(3) انظر: الصابوني، إيجاز البيان في سور القرآن (ص109).

(4) انظر: ابن الجزري، التسهيل لعلوم التنزيل (ج2/98).

(5) انظر: الصابوني، إيجاز البيان في سور القرآن (ص113).

(6) انظر: المرجع السابق، ص113.

(7) انظر: المراغي، تفسير المراغي (ج20/30)، وانظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور

(ج6/389).

وحتى بعث نبياً في بني إسرائيل، وحياته فيها من المعجزات ما لا يخفى على أحد، وفي هذا تأكيد على حفظ الله ورعايته لأوليائه.⁽¹⁾

الحادي عشر: سورة العنكبوت:

سورة مكية، عدد آياتها تسع وستون، وموضوعها العقيدة في أصولها الكبرى؛ أي: الإيمان بالله واليوم الآخر، والإيمان بالبعث والجزاء، والرسول والكتب.⁽²⁾

سميت بهذا الاسم؛ لأن الله سبحانه وتعالى ضرب العنكبوت مثلاً للأصنام التي اتخذت آلهة من دونه، ومثل لعابديها في اعتمادهم عليها بالعنكبوت الضعيفة التي احتمت ببيت من خيوط واهية، لا يقياها حر الصيف ولا برد الشتاء، فهم في تقربهم من الأوثان وعبادتها، كالعنكبوت في لجوئها لهذا البيت الواهن.⁽³⁾

(1) انظر: الصابوني، إيجاز البيان في سور القرآن (ص117).

(2) انظر: المرجع السابق، ص121.

(3) انظر: المرجع نفسه، ص121.

الفصل الأول

التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية

" في علم المعاني "

علم المعاني

علم المعاني: هو "علم يعرف به أحوال اللفظ التي يطابق بها مقتضى الحال".⁽¹⁾

ويقصد بمطابقة الكلام لمقتضى الحال: "أن يكون اللفظ مطابقاً لأحوال المخاطبين"⁽²⁾، وبما أن الخطاب عملية تواصلية بين المخاطب والمخاطب تهدف إلى التأثير والإقناع في نفس ذلك المخاطب، كان لابد له أن يراعي أحوال المخاطبين؛ حتى يتحقق عنصر الإقناع والتشويق، فقد يكون المخاطب خالي الذهن من الحكم الذي يتضمنه الكلام أو قد يكون متردداً به، أو منكرأ له.

بناءً على ذلك فإن كل حالة من هذه الحالات تتطلب تعبيراً مناسباً لحال المخاطب.

ولقد تنبه القدماء لأهمية ذلك فربطوا حسن الكلام وقبحه بمراعاة مقتضى الحال وفي ذلك يقول القزويني: "وارتفاع شأن الكلام في الحسن والقبول بمطابقته للاعتبار المناسب، وانحطاطه بعدم مطابقته له".⁽³⁾ ويقول السكاكي: "إن مدار حسن الكلام وقبحه على انطباق تركيبه على مقتضى الحال وعلى لا انطباقه".⁽⁴⁾

ومن هنا فقد صدق علماؤنا الأجلاء حين قالوا: لكل مقام مقال.

موضوعات علم المعاني:

الخبر .. الإنشاء .. القصر .. التقديم والتأخير .. الإيجاز والإطناب.

قيمة هذا العلم :

لهذا العلم قيمة عظيمة تتمثل فيما يلي:

أولاً: معرفة إعجاز القرآن الكريم وحسن الوصف وجودة السبك وبراعة التركيب، ولطافة الإيجاز الذي يعتبر أهم ما تميز به منهج العرب، وجزالة الكلمات وعذوبة الألفاظ وصحتها الأمر الذي جعل العرب تعجز عن تحدي هذا الكتاب العظيم.
ثانياً: الوقوف على أسرار البلاغة العربية وفصاحتها.

(1) القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة (ج1/52).

(2) علوان، من بلاغة القرآن (ص19).

(3) القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة (ج1/43).

(4) السكاكي، مفتاح العلوم (ص175).

المبحث الأول:

التركيب النحوية للخبر ودلالاتها البلاغية

الخبر

الخبر لغة:

الخبر: هو "النبأ، والخبر بالتحريك واحد الأخبار، والخبر ما أتاك من نبأ عن تستخبر عنه".⁽¹⁾

الخبر اصطلاحاً:

هو "ما احتمل الصدق أو الكذب لذاته"⁽²⁾ "يقطع النظر عن الذي ينطق بالخبر سواء أكان مقطوعاً بصدقه أو كذبه ويقطع النظر عن البدهيات كالسماء فوقنا والأرض تحتنا فهذه مما لا يشك أحد في صدقها، ولكننا نعتبرها خبراً إلى ذات الكلام نفسه".⁽³⁾

وللخبر نسبتان :

"نسبة تفهم من الخبر ويدل عليها الكلام وتسمى النسبة الكلامية، ونسبة تعرف من الواقع وتسمى النسبة الخارجية".⁽⁴⁾

إذاً: فالخبر يصح أن يقال لقائله إنه صادق فيه أو كاذب. فإن كان الكلام مطابقاً للواقع كان قائله صادقاً؛ أي: طابقت النسبة الكلامية النسبة الخارجية إيجاباً ونفيًا، وإن كان غير مطابق له كان قائله كاذباً؛ أي: لم تطابق النسبة الكلامية النسبة الخارجية إيجاباً و نفيًا.⁽⁵⁾

وظائف الخبر:

للخبر وظيفتان أساسيتان هما: فائدة الخبر، ولازم الفائدة.

-
- (1) ابن منظور، لسان العرب(ج4/227) وانظر: الفراهيدي، العين (ج4/258) وانظر: صاحب بن عباد، المحيط في اللغة (ج4/335).
 - (2) الجرجاني، أسرار البلاغة (ج1/248)، والهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع (ص55).
 - (3) علوان، من بلاغة القرآن (ص20)، وانظر: الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع (ص55).
 - (4) المرجع السابق، ص20.
 - (5) انظر: عتيق، علم المعاني (ص46).

أولاً : فائدة الخبر:

إذا كان المخاطب خالي الذهن من الحكم الذي تضمنه الخبر، فأفاد منه مالم يكن يعرف، مثل: وصل أخوك من السفر⁽¹⁾ فالمخاطب هنا كان جاهلاً بهذا الحكم.

ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا * وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾⁽²⁾

لما خرجت مريم عليها السلام على قومها تحمل طفلها بين يديها وكانت قد التزمت الصوم في ذلك اليوم بأمر ربها، استهجن القوم فعلتها وطعنوا في عرضها، فما كان منها إلا أن أشارت إلى مولودها؛ ليبرأها مما قيل، فظن القوم أنها تستهزأ بهم، وفي هذه اللحظة نطق الصبي مؤكداً العبودية لله عز وجل ومنزهاً أمه عما نسب إليها ومخبراً القوم عن نبوته وما كلف به من رسالة، فالمخاطب هنا جاهلاً بما تضمنه الخبر؛ لذلك خرج لغرض الفائدة.

ثانياً: لازم الفائدة:

إذا كان المخاطب عارفاً بالخبر، كأن نقول له: "لقد كنت بالأمس بالمكتبة الظاهرية" فأنت لم تقدم له شيئاً جديداً سوى رغبتك في إعلامه معرفتك بالحكم الذي تضمنه الخبر⁽³⁾ فالمخاطب هنا لم يكن جاهلاً بهذا الحكم.

ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾⁽⁴⁾

في هذه الآية يدعو سيدنا زكريا عليه السلام ربه واصفاً من حاله ما تشتد معه الحاجة إلى الولد، فيقول: لقد عودتني دائماً على استجابة دعائي، ولم تحرمني من قبولها أبداً، والآن وقد أصبحت كبيراً وعاجزاً فأجدني أحوج من السابق إلى أن تستجيب دعائي ولا تخيبيني.

وهو في وصفه لحاله، يعلم أن الله سبحانه وتعالى عالم بذلك، لكنه ألح في الدعاء؛ ليستعطف ربه تبارك وتعالى.

(1) انظر: سلطاني، المختار من علوم البلاغة والعروض (ص18).

(2) [مريم:30-33].

(3) انظر: سلطاني، المختار من علوم البلاغة والعروض (ص18).

(4) [مريم:4].

التركييب النحوية للخبر

أولاً: الخبر بين الاسمية والفعلية:

من المعلوم أن الخبر هو جزء الجملة الذي نُثبت به المعنى للمُخبر عنه أو نفيه، و الخبر قد يأتي اسماً أو فعلاً، فما الفرق بين مجيئه اسماً أو فعلاً؟؟

يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني في الفرق بين الخبر إذا كان بالاسم وإذا كان بالفعل: "وبيانه أن موضوع الاسم على أن يُثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجده شيئاً بعد شيء وأما الفعل فموضوعه على أنه يقتضي تجدد المعنى المُثبت به شيئاً بعد شيء".⁽¹⁾

ثم نجده يضرب مثلاً ليوضح ذلك بقوله: "فإذا قلت: "زيد منطلق" فقد أثبت الانطلاق فعلاً له، من غير أن تجعله يتجدد ويحدث منه شيئاً فشيئاً، بل يكون المعنى فيه كالمعنى في قولك: "زيد طويل" و"عمرو قصير". فكما لا تقصد ههنا إلى أن تجعل الطول والقصر يتجدد و يحدث، بل توجبهما وتثبتهما فقط، وتقتضي بوجودهما على الإطلاق، كذلك لا تتعرض في قولك "زيد منطلق" لأكثر من إثباته لزيد.

وأما الفعل فإنه يقصد فيه إلى ذلك، فإذا قلت: "زيد ها هو ذا ينطلق"، فقد زعمت أن الانطلاق يقع منه جزءاً فجزءاً، وجعلته يزاوله ويزجييه".⁽²⁾

من خلال ما سبق يتضح لنا أن الاسم يدل على الثبوت والاستمرار، والفعل يدل على التجدد والحدوث، فعند قولنا: زيدٌ منطلق وزيد ينطلق، نجد أن هناك فرقاً بين الانطلاقتين، فالأول لا يتوقف وهذا يدل على أن الصفة ملازمة له، أما الثاني فانطلاقه يتجدد بين الفينة والأخرى ويحدث شيئاً فشيئاً.

كما أن التجدد والحدوث يكون أقوى في الفعل المضارع من الفعل الماضي، فالمضارع يدل على حدوث الأمر في زمن الحال واستمرارية حدوثه في الزمن المستقبل، بمعنى أنه يفيد التجدد الاستمراري، بينما الماضي يفيد حدوث الأمر في زمن مضي مع إمكانية وقوعه أكثر من مرة أو مرة واحدة؛ أي: أن الاستمرار لا يكون فيه كدرجته في الفعل المضارع، وفي ذلك يقول الغرناطي: " قد يقول فعلت من أوقع الفعل مرةً واحدة".⁽³⁾

(1) الجرجاني، دلائل الإعجاز (ص174).

(2) المرجع السابق، ص174.

(3) الغرناطي، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من أي التنزيل (ص198).

ونستطيع أن نفهم من قول الجرجاني: "وإذا ثبت الفرق بين الشيء والشيء في مواضع كثيرة، وظهر الأمر، بأن ترى أحدهما لا يصلح في موضع صاحبه، وجب أن تقضي بثبوت الفرق حيث ترى أحدهما قد صلح في مكان الآخر، وتعلم أن المعنى مع أحدهما غيره مع الآخر، كما هو العبرة في حمل الخفي على الجلي. وينعكس لك هذا الحكم أعني أنك كما وجدت الاسم يقع حيث لا يصلح الفعل مكانه، كذلك نجد الفعل يقع ثم لا يصلح الاسم مكانه، ولا يؤدي ما كان يؤديه" (1)

أن للاسم مواضع لا يصح أن يحل محلها الفعل، وكذلك للفعل مواضع لا يصح أن يحل محلها الاسم، وقد ساق الجرجاني العديد من الشواهد المؤكدة لصحة ما ذهب إليه ومنها:

1- بيت الأعشى:

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة ... إلى ضوء نارٍ في يفاع تحرق (2)

فقد استخدم الفعل المضارع (تحرق) الذي يوحي بالتجدد والاستمرار، فكما قرأت البيت حسبت تلك النار لازالت متوهجة، وكأنها موقداً يتجدد منه الإلهاب والإشعال حالاً فحالاً، أما لو استخدم الاسم (متحرق) لأثبت صفة الاشتعال للنار، دون إعطاء معنى التجدد والتكرار الحي للصورة كما هو المعنى في الفعل المضارع. (3)

2- بيت طريف العنبري :

أو كلما وردت عكاظ قبيلة
بعثوا إلى عريفهم يتوسم (4)

يقول الجرجاني: "استخدم الفعل المضارع؛ لأن المعنى على توسم وتأمل ونظر يتجدد من العريف هناك حالاً فحالاً، وتصفح منه للوجوه واحداً بعد واحد، ولو قيل: (بعثوا إلي عريفهم متوسماً)، لم يفد ذلك حق الإفادة." (5)

(1) الجرجاني، دلائل الإعجاز (ص176).

(2) ميمون بن قيس، ديوان الأعشى الكبير (ص223).

(3) انظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز (ص177).

(4) البيت من الكامل، وهو لطريف بن تميم العنبري في الأصمعيات (ص127)، وابن منظور، لسان العرب (ج1/548).

(5) الجرجاني، دلائل الإعجاز (ص176).

3- بيت النضر بن جؤية:

لا يألف الدرهم المضروب خرقتنا ... لكن يمر عليها وهو منطلق⁽¹⁾

الشاهد في قوله: "وهو منطلق" حيث يقول الجرجاني معقّباً على ذلك: "هذا هو الحسن اللائق بالمعنى، ولو قلته بالفعل "لكن يمر عليها وهو ينطلق" لم يحسن".⁽²⁾

ثانياً: الخبر بين التعريف بأل والتجرد منها:

قد يأتي الخبر معرفاً بأل، وقد يأتي مجرداً منها، فمن الأول قولنا: (زيدٌ المنطلق) ومن الثاني: (زيدٌ منطلق)، فما الفرق بينهما وما دلالة ذلك؟!

يقول الجرجاني مُجيباً عن هذا السؤال: "اعلم أنك إذا قلت: "زيد منطلق"، كان كلامك مع من لم يعلم أن انطلافاً كان، لا من زيد ولا من عمرو، فأنت تقيده ذلك ابتداءً.

وإذا قلت: "زيد المنطلق" كان كلامك مع من عرف أن انطلافاً كان، إما من زيد وإما من عمرو، فأنت تعلمه أنه كان من زيد دون غيره."⁽³⁾

بمعنى عندما جاء الاسم نكرة لم يكن السامع على علم بوقوع ذلك الفعل من الأساس، أما عندما جاء معرفاً بأل كان السامع على علم بوقوع الفعل لكن دون علم بوقوعه من زيد أو من غيره، وعندما قلنا: زيد المنطلق، قد أفدناه أنه وقع من زيد، فصار ما كان معلوماً على سبيل الجواز معلوماً على سبيل الوجوب.

وفي ذلك يقول الجرجاني: "فإذا قيل لك: "زيد المنطلق"، صار الذي كان معلوماً على جهة الجواز، معلوماً على جهة الوجوب."⁽⁴⁾

ثم تحدث الجرجاني عن إمكانية تأكيد ذلك المعنى الذي صار العلم به واجباً، فقال: "ثم إنهم إذا أرادوا تأكيد هذا الوجوب أدخلوا الضمير المسمى "فصلاً" بين الجزأين فقالوا: "زيد هو المنطلق".⁽⁵⁾

(1) البيت من البسيط، وهو للنضر بن جؤية، انظر: أبو الفتح العباسي، معاهد التنصيص (ج1/207) والعكبري، شرح ديوان المتنبي (ج1/116).

(2) الجرجاني، دلائل الإعجاز (ص175).

(3) الجرجاني، دلائل الإعجاز (ص177).

(4) المرجع السابق، ص178.

(5) المرجع نفسه، ص178.

وثمة فرق أساسي وضحه الجرجاني إذا جاء الخبر معرفة أو نكرة يقول: "ومن الفرق بين المسألتين، وهو مما تمس الحاجة إلى معرفته، أنك إذا نكرت الخبر جاز أن تأتي بمبتدأ ثان، على أن تشركه بحرف العطف في المعنى الذي أخبرت به عن الأول، وإذا عرفت لم يجز ذلك".⁽¹⁾

ويقصد بهذا أننا إذا قلنا: (زيد منطلق) جاز أن نقول: زيد منطلق وعمرو، بمعنى أننا جئنا بمبتدأ ثان أشركناه مع المبتدأ الأول بحرف العطف، فالمعنى وعمرو منطلق أيضاً، فلم نخصص بذلك الانطلاق لزيد وحده.

أما في قولنا: (زيد المنطلق) فلا يجوز أن نأتي بمبتدأ آخر؛ لأن التعريف يفيد التخصيص والتعيين، فنكون قد خصصنا الانطلاق لزيد وأثبتناه له، فلا يصح إثباته لغيره.

(1) الجرجاني، دلائل الإعجاز ص 178.

أضرب الخبر

أولاً : الخبر الابتدائي:

"هو الخبر الذي يكون خالياً من المؤكدات، ويكون فيه المخاطب خالي الذهن من الحكم الذي تضمنه الخبر"⁽¹⁾.

أ. الخبر الابتدائي بين الاسمية والفعلية:

قال تعالى: ﴿قَالَ آيَتُكَ إِلَّا تَكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾⁽²⁾

يقول الله سبحانه وتعالى مخبراً عن زكريا عليه السلام أنه قال: رب اجعل لي علامة ودليلاً على وجود ما وعدتني به؛ وذلك لتستقر نفسي ويطمئن قلبي إليه، وكان الله تبارك اسمه قد وعده بغلام رغم كبر سنه، فأخبره ربه قائلاً له: علامتك أن تحبس لسانك عن الكلام ثلاث ليال، وأنت صحيح سوي من غير مرض ولا علة.⁽³⁾

وقد عبر الله سبحانه وتعالى عن هذا الخبر بالفعل المضارع (تكلم) الدال على الاستمرارية، ومما يجدر ذكره هنا أن الفعل المضارع قد سبق بالنهاي أيضاً، وهذا دليل على استمرار نهييه عن الكلام مدة ثلاثة أيام؛ كي تتحقق المعجزة، وبذلك فإن الفعل المضارع ناسب السياق القرآني بدرجة بليغة وفصيحة.

قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾⁽⁴⁾

احتوت هذه الآية على فعلين ماضيين "أرسلنا - تمثّل"، وقد جاء الإخبار بهما للدلالة على تحقق وقوع الفعل وانتهائه، فالله سبحانه وتعالى قد أرسل جبريل عليه السلام لمريم وهي متعبدة ببيت المقدس فتمثّل لها على هيئة بشر ونفخ من روحه، فحملت بعبسى عليه السلام، فأمر الإرسال والتمثّل قد وقع سابقاً ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن يستمر أو يتجدد؛ لذلك كان مناسباً التعبير بالفعل الماضي الذي هو أضعف في المعنى من المضارع الدال على التجدد والاستمرار.

(1) مطلوب، معجم المصلحات البلاغية وتطورها (ج2/465).

(2) [مريم:10].

(3) انظر: إعداد جماعة من العلماء، المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير (ص850).

(4) [مريم:17].

ب. الخبر الابتدائي بين التعريف بأل والتجرد منها:

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾⁽¹⁾

تتحدث هذه الآية عن معجزة عظيمة، وهي معجزة الخلق، فالله سبحانه وتعالى خلق الأرض ومن عليها والسموات ومن فيهن وفق حكمة بالغة، وقد أخبر الحق تبارك وتعالى عن هذه المعجزة في هذه الآية وخص فيها خلقه في الأرض، فجاءت كلمة (دَابَّةٍ) نكرة؛ لتدل على كثرة الدواب التي خلقها الله على هذه الأرض وتتنوعها ما بين إنسان وحيوان ومخلوقات لا يعلمها إلا هو، فلم يعين الله سبحانه وتعالى دابة بعينها ليخصها بالخلق، وإنما أطلق الأمر على عمومته وشموله؛ ليفيد الكثرة والتنوع وكما يقال: كل من دب على الأرض فهو دابة، ثم جاء الحديث عن الأصل الذي خلقت منه الدواب ألا وهو الماء، وجاء نكرة أيضاً ليس مصادفة وإنما إعجازاً من الله، فالله خلق كل دابة من ماء محدد مختص بها، فأطلق اللفظ على عمومته أيضاً ولكن عند الرجوع إلى معنى الماء نجد أنه النطفة، فالدواب جميعها اشتكرت في أصل الخلق من ماء - وهذا يفهم من لفظة (كل) الدالة على الشمول - ولكنها اختلفت في نوعية وصفات الماء الذي خلقت منه.⁽²⁾

وقد استعمل القرآن الكريم لفظة (من) الموضوعية للعاقل بدلاً من (ما) الموضوعية لغير العاقل وذلك على سبيل التغليب، فالدابة تشمل العاقل وغير العاقل.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾⁽³⁾

جاءت هذه الآية في سياق حديث الله سبحانه وتعالى عن قصة سيدنا موسى عليه السلام والتي تعتبر من أكثر القصص وروداً في القرآن الكريم، فقد أرسل الحق تبارك وتعالى نبيه موسى عليه السلام لطاغية زمانه فرعون يدعو لعبادته وحده وأيده بكافة المعجزات الدالة على وحدانيته، وبالرغم من ذلك فقد قوبل بالرفض والتكذيب والتوعد بالعذاب، فأخبر الله سبحانه وتعالى عن هذه الآيات والمعجزات بأنها واضحة ومبصرة، وقد جاءت لفظة (آيَاتُنَا) معرفةً بالإضافة؛ لتدل على وضوح وشيوع أمر هذه الآيات وأنها معلومة عندهم، وكذلك لتعظيمها وتخصيصها من الله سبحانه وتعالى لفرعون وقومه، وقد وُصفت هذه الآيات بأنها "مبصرة"،

(1) [النور:45].

(2) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج18/266).

(3) [النمل:13].

وجاء التعبير عن هذا الوصف بالاسم وليس بالفعل؛ للدلالة على ثبوت وضوحها وتحقق ذلك، مما ساعد في تقوية المعنى ورفعها إلى أعلى درجات البلاغة.

كما أن تنكير الوصف (مُبَصَّرَةً) أضاف للمعنى قوة من حيث كون هذه الآيات واضحة وشاهدة على وحدانية الله عز وجل، فلو لم تذكر هذه الكلمة واكتفى النص القرآني بلفظة (آيَاتُنَا) ، لفتح المجال للمشككين في أمر الآيات والمعجزات لأخذ عذر لفرعون وقومه باعتبار أن الآيات لم تكن مقنعة أو واضحة بالدرجة الكافية، إلا أن هذا الوصف قطع عليهم الطريق وأفحمهم.

وقد أخبر الله سبحانه وتعالى عن تكذيبهم لتلك الآيات بالخبر الابتدائي في قولهم: "سحر مبين"، حيث جاءت لفظة "سحر" نكرة؛ للدلالة على تعدد هذه الآيات وتنوعها فضلاً عن تعظيمها وتهويلها، وقد أضاف الوصف "مبين" مزيداً من التأكيد على الوضوح والانتشار، فهي كالشمس واضحة.

ثانياً الخبر الطلبى :

هو "الخبر الذي يتردد المخاطب فيه، ولا يعرف مدى صحته فيحسن عندئذ أن يؤكد له الكلام بمؤكد واحد لنزيل منه الشك ونمحو التردد، ويتمكن الخبر من نفسه".⁽¹⁾

أ. الخبر الطلبى بين الاسمية والفعلية:

قال تعالى: ﴿إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾⁽²⁾

من المعلوم أن قصة سيدنا موسى عليه السلام التي أخبر عنها القرآن الكريم قد جاءت مجزأة في أكثر من سورة، وهذه الآية أخبرت باستخدام الفعل الماضي (آنست) عن إيجاد موسى عليه السلام ضوءاً هُيء له أنه نار، وهو في طريق عودته لمصر مع أهله - زوجته وابنه وخادمه - وكانوا قد ضلوا الطريق، ثم تبين له بعد ذلك أنه نور الله سبحانه وتعالى،⁽³⁾ حيث كلم نبيه قائلاً: ﴿يَا مُوسَى * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى * وَأَنَا اخْتَرْتُكَ

(1) علوان، من بلاغة القرآن (ص25)، ومطلوب، معجم المصطلحات البلاغية (ج2/480).

(2) [طه:10].

(3) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية (ص285). وانظر: الشعراوي، خواطر حول القرآن الكريم(ج15/9228)

فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ * إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي * إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ * فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ. (1)

فاستخدام القرآن للفعل الماضي أبلغ من غيره؛ لأنه أوجز الحدث ودل على انتهائه، في حين لو استخدم الفعل المضارع لكان على النقيض تماماً، وهذا لا يتوافق مع الآية. قال تعالى: ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ (2)

التأمل لهذه الآية يجدها قد اختصرت من القصة ما يفهم من سياقها ثقةً في نباهة السامع، وأنه قادر على إكمال المعنى، فكأن معنى الآية: "سمع الله دعاء زكريا وحيثيات طلبه، فأجابه بقوله: يا زكريا، وتوجيه الكلام إلى زكريا عليه السلام هكذا مباشرة دليلٌ على سرعة الاستجابة لدعائه، فجاءت الإجابة مباشرة دون مُقَدِّمات". (3)

جاء الخبر طليبي باستخدام الفعل المضارع (نُبَشِّرُكَ) الدال على الاستمرارية والتجدد، وقد ناسب هذا الفعل المعنى الذي تشير إليه الآية، فدل على أن البشرية حاصلة لذكريا في الزمن الحاضر، وهي متجددة أيضاً لمن هم على شاكلته ممن آمنوا وخرموا من الذرية ولكنهم صبروا على قضاء ربهم، فأعطاهم ربهم سؤالهم، فالبشرى مستمرة للمؤمنين بعده.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ (4)

يصور الله سبحانه وتعالى مشهداً عظيماً من مشاهد يوم القيامة، يوم يتبين الحق، فيفرح من يفرح ويجزع من يجزع، ويشكو الناس بعضهم بعضاً، وهذه الآية تبين شكوى الرسل من أقوامهم، فيقول الرسول منادياً ربه وشاكياً له إعراض قومه عما جاء به، ومتأسفاً على ذلك منهم: يا رب إن قومي الذين أرسلتني لهديتهم وتبليغهم، قد أعرضوا عن القرآن وهجروه وتركوه مع أن الواجب عليهم الانقياد لحكمه والإقبال على أحكامه، والمشي خلفه. (5)

وقد جاء المبتدأ اسم إن (قَوْمِي) معرفاً بالإضافة؛ لأن كل رسول يعرف قومه، وكل رسول يُعرف به قومه،

(3) [طه:11-16].

(2) [مريم:7].

(3) الشعراوي، خواطر حول القرآن الكريم (ج15/9031).

(4) [الفرقان:30].

(5) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص582).

وكل قوم معلومٌ رسولهم، ولا عجب من ذلك فقد أفاد التعريف معنى التخصيص والتعيين وإسناد كل قوم لرسولهم، وجاء الخبر جملة فعلية فعلها ماضٍ (اتَّخَذُوا)؛ للدلالة على تحقق وقوع الفعل.

ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾⁽¹⁾

جاءت هذه الآية لتؤكد استمرارية علم الله سبحانه وتعالى لكل ما في السماوات والأرض، إلا أنها خصصت العلم بالقول دون غيره مما يعلمه الله؛ وذلك لحديث الآية السابقة لها والتي يقول الحق فيها: ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأَ النَّجْوَى﴾⁽²⁾ فقد أطلع الله سبحانه وتعالى رسوله على نجواهم فلم يتم لهم ما أرادوا من الإسرار بها، فبعد أن حكى ما تتاجوا به وكنتموه من أمر كفرهم وعدم إيمانهم بالنبي وإقناع من حاول الإيمان بأنه بشر مثلهم، أمره بأن يخبرهم بأن الله الذي علم نجواهم يعلم كل قول في السماء والأرض من جهر أو سر، فالتعريف في القول أفاد الاستغراق؛ أي: إحاطة علم الله للسر والعلن.⁽³⁾

وقد استخدم النص القرآني الإخبار عن علمه بالفعل المضارع (يعلم)؛ للدلالة على استمرارية علم الله لما كان وما هو كائن وما سيكون، ولما جمع بين السماوات والأرض دل ذلك على شمول علمه وعمومه، بالإضافة إلى تذييل الآية بـ "السميع العليم" مع ضمير الفصل (هو) مما أفاد تأكيد علمه لكل قول وفعل.

أما لو استخدم الفعل الماضي (علم) أو الاسم (عليم) لما أدت المعنى المطلوب، كون المضارع حقق المعنى بالاستمرار الأزلي لعلم الله لكل شيء

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفْهًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرَضُونَ﴾⁽⁴⁾

يكشف الحق تبارك وتعالى في هذه الآية إعراض الكفار عن الإيمان به وآياته ماثلة أمامهم، فهم "لا يتفكرون فيما خلق الله فيها من الاتساع العظيم، والارتفاع الباهر، وما زُينت به من الكواكب الثوابت والسيارات في ليلها، وفي نهارها من هذه الشمس التي تقطع الفلك بكامله، في يوم وليلة فتسير غاية لا يعلم قدرها إلا الذي قدرها وسخرها وسيرها"⁽⁵⁾، فهم عن آياتها

(1) [الأنبياء:4].

(2) [الأنبياء:3].

(3) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج14/17).

(4) [الأنبياء:32].

(5) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج5/299).

الدالة على وحدانيته تعالى وعلمه وحكمته وقدرته وإرادته التي بعضها محسوسٌ وبعضها معلوم بالبحث عنه في علمي الطبيعة والهيئة معرضون لا يتدبرون فيها فيبقون على ما هم عليه من الكفر والضلال".⁽¹⁾

واستخدم القرآن التعبير عن الخبر بالصيغة الاسمية (مُعْرَضُونَ) والتي تعتبر بليغة في مكانها؛ لما يحملها الاسم من معنى الثبوت والتحقق، فإعراض الكفار عن تدبر آيات الله وصف ملازم لهم، في حين إن استخدم القرآن الفعل الماضي لكان ذلك أقل بلاغةً وإعجازاً؛ لما يُفیده هذا الفعل من ضعف، وكذلك الفعل المضارع، فرغم كونه يفيد الاستمرارية إلا أنه يفتقر لصفة الثبوت والتحقق التي يتميز بها الاسم، لذلك كان الاسم أنسب في التعبير.

كما أكد الله سبحانه وتعالى إعراضهم بضمير الفصل (هم) للدلالة على ملازمة الوصف لهم. ومنه قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ﴾⁽²⁾

ب. الخبر الطلبي بين التعريف بأل والتجرد منها:

قال تعالى: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعْذِْبُهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾⁽³⁾

أي: فأتيا ياموسى وهارون إلى فرعون، وادخلا عليه داره أو مكان سلطانه، وقولا له بلا خوف أو وجل: إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ الذي خلقك فسواك فعدلك.

وكان البدء بهذه الجملة؛ لتوضيح أساس رسالتهما، وإلحاق الحق من أول الأمر، وإشعاره منذ اللحظة الأولى بأنهما مرسلان من ربه وربهما ورب العالمين؛ لدعوته إلى الدين الحق، وإلى إخلاص العبادة لله الواحد القهار، وإلى التخلي عن الكفر والطغيان، وأنهما لم يأتياه بدافع شخصي منهما وإنما أتياه بتكليف من ربه ورب العالمين.

وقد أمرهما الله بأن يقولوا لفرعون: أطلق سراح بني إسرائيل، ودعهم يعيشون أحراراً في دولتك ولا تعذبهم باستعبادهم وقهرهم، وقتل أبنائهم، واستحياء نسائهم.⁽⁴⁾

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب السليم (ج6/65).

(2) [النمل:56].

(3) [طه:47].

(4) انظر: طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم (ج9/110).

قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ * يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ * وَفِي نَارِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾.(1)

فقد جنناك بمعجزة من ربك- تشمل العصا واليد وغيرها- تثبت صدقنا، وتؤيد مدعانا، وتشهد بأننا قد أرسلنا الله سبحانه وتعالى إليك لهدايتك ودعوتك أنت وقومك إلى الدخول في الدين الحق، فالأمن والأمان لمن اتبع هدى الله.(2)

نلاحظ في الآية السابقة أن موسى وهارون عليهما السلام خاطبا فرعون بصيغة التعريف في قولهما (رَسُولَا رَبِّكَ) ولعل ذلك يرجع؛ لكون المتلقي يعرف من خلال قصة موسى عليه السلام من اللذين أرسلنا إلى فرعون وقومه، فلم يكن هناك داعٍ لذكر الأسماء بلفظها طالما قد عُلم الفاعل، وبذلك قد أفاد تعريف الخبر التعيين والتخصيص.

قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (3)

يقول سبحانه وتعالى مخاطباً المؤمنين: "إن الله يوسع رزقه على من يشاء من خلقه، ويقتر على من يشاء، فالأرزاق وقسمتها بيده تعالى لا بيد أحد سواه، فلا يؤخرنكم عن الهجرة وجهاد عدوكم خوف العيلة والفقر، فمن بيده تكوين الكائنات لا يعجز عن أرزاقها".(4)

وقدم المسند إليه على الخبر الفعلي في قوله: (اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ)؛ لإفادة الاختصاص، نأى: الله لا غيره يبسط الرزق ويقدر، والتعبير بالمضارع؛ لإفادة تجدد البسط والقدر، وزيادة (لَهُ) بعد (وَيَقْدِرُ)؛ للتعريض بتبصير المؤمنين الذين ابتلوا في أموالهم من اعتداء المشركين عليها كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَكَايِنٍ مِّنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ (5) فذلك القدر في الرزق هو لهم لا عليهم لما ينجر لهم منه من الثواب ورفع الدرجات (6)، فعبر الله عز وجل عن قدرته بالعطاء أو التقليل والمنع بالخبر الابتدائي؛ لأن المشركين لا ينكرون قدرة الله ووجوده والدليل قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ (7) فلا داعي لتأكيد قدرته سبحانه وتعالى، في حين جاء الخبر طلبى آخر الآية وهو نكرة "عليم"؛ ليفيد شمولية علمه

(1) [البقرة:49].

(2) انظر: طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم (ج9/110).

(3) [العنكبوت:62].

(4) [المراغي، تفسير المراغي (ج21/17-18)].

(5) [العنكبوت:60].

(6) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج21/27).

(7) [الزمر:39].

تبارك وتعالى واتساعه وامتداده لكل شيء ولذلك قدم "بكل شيء" على الخبر؛ لتفيد الإحاطة وتحقق الشمول، أما لو جاء الخبر معروفاً لأفاد التخصيص وقصر العلم على جانب أو جوانب محددة، وكذلك جاء اسماً؛ ليفيد الثبات والبقاء وتمكن الصفة من الموصوف.

ثالثاً: الخبر الإنكاري:

هو "الخبر الذي ينكره المخاطب إنكاراً يحتاج إلى أن يؤكد بأكثر من مؤكد".⁽¹⁾

أ. الخبر الإنكاري بين الاسمية والفعلية:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾⁽²⁾

بدأ الله سبحانه وتعالى سورة العنكبوت بالحديث عن غفلة الناس وظنهم أن الله لن يبنتلي إيمانهم ولن يختبر صدقهم وكذبهم، وأنهم سيتركون هكذا دون فتنة، فأكد سبحانه وتعالى في هذه الآية حقيقة اختباره للعباد بالخبر الإنكاري المكون من الفعل الماضي "فتنا" المسبوق بلام التوكيد وقد تقيّد مع الفعل الماضي التحقيق علاوةً على التأكيد، مما أفاد أن أمر ابتلائهم واقع لا محالة.

ثم عبر سبحانه وتعالى أيضاً عن علمه الأزلي لكل شيء بالفعل المضارع المسبوق بلام القسم ونون التوكيد، وهذا يدل على استمرارية علمه في كل زمان ومكان، ولم يكتف المولى عز وجل بتأكيد علمه بذلك، بل أكده أيضاً بإعادة تكرار الفعل المضارع المسبوق بلام القسم "ليعلمن"؛ زيادة في تقوية الحكم وتقريره في نفس السامع.

ومن الملاحظ أنه استخدم الفعل المضارع المسبوق بلام القسم مع صيغة الفعل الماضي في المرة الأولى، ومع اسم الفاعل في المرة الثانية؛ وذلك لأن وقت نزول الآية كانت الحكاية عن قوم قريبي العهد بالإسلام في أوائل إيجاب التكليف، وعن قوم مستديمين للكفر مستمرين عليه فقال في حق المؤمنين: (الذين صدقوا)؛ أي: وجد منهم الصدق وعبر عن ذلك بصيغة الفعل الماضي؛ لأنه لا يدل على ثبات الصفة ورسوخها كما هو الحال في الاسم، فلم يكن إيمانهم راسخاً متمكناً منهم كونهم حديثي الإسلام، وقال في حق الكافرين: (الكاذابين) بالصيغة المنبئة عن الثبات والدوام وهي صيغة اسم الفاعل الدالة على ثبوت المصدر في

(1) علوان، من بلاغة القرآن (ص26).

(2) [العنكبوت:3].

الفاعل ورسوخه فيه وهذا ناسب حقيقة كفرهم ودوامهم عليه، وفي هذا إشارة إلى فصاحة ألفاظ القرآن الكريم ودقة اختيارها وسبكها في قوالب مناسبة لما وُضعت لأجله.⁽¹⁾

ومن هنا كان الخبر الإنكاري مناسباً لموضع إنكار فتنة الله لعباده.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْلَىٰ ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾⁽²⁾

تتنوع القصص في حياة الناس وكذلك في القرآن الكريم، فالناس في حياتهم إذا أصابهم شر تحلى عنهم الجميع، أما إن أصابهم خير التفوا حولهم، وما هذا إلا حال الجمع المنافقين، وفي هذه الآية يقول تعالى ذكره: ومن الناس من يقول: أقررنا بالله فوحدناه، فإذا آذاه المشركون في إقراره بالله، جعل فتنة الناس إياه في الدنيا، كعذاب الله في الآخرة، فارتد عن إيمانه بالله، راجعاً على الكفر به، أما إن جاء نصر الله قال هؤلاء المرتدون عن إيمانهم، الجاعلون فتنة الناس كعذاب الله: أيها المؤمنون نحن معكم ننصركم على أعدائكم، وما ذلك إلا كذباً وإفكاً⁽³⁾، وقد كشف الله سبحانه وتعالى كذبهم وادعاءهم الباطل بالخبر الإنكاري الذي يشتمل على أكثر من مؤكد، ففي قوله: "لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ" جاء التعبير بالفعل المضارع المقترن باللام الموطئة للقسم ونون التوكيد؛ للدلالة على استمرارية أقوالهم وعدم انقطاعها، ومحاولة إثبات ولائهم للمؤمنين بشتى الطرق؛ لينالوا نصيباً من هذا النصر المؤزر، بالإضافة إلى التوكيد بـ "إنا" الذي زاد المعنى قوة وتأكيذاً وكأن قولهم صادقاً، لكن الله سبحانه يعلم ما تخفي نواياهم ويجازيهم على ذلك، وفي ذلك إشارة أيضاً إلى تحقيق نصر الله للمؤمنين لا محالة، وقد "جاء الاستهزام إنكاري في قوله: "أليس الله" إنكاراً عليهم قولهم: "آمنا بالله" وقولهم: "إنا كنا معكم"؛ لأنهم قالوا قولهم ذلك ظناً منهم أن يروج كذبهم ونفاقهم على رسول الله، فكان الإنكار عليهم متضمناً أنهم كاذبون في قولهم المذكورين".⁽⁴⁾

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾⁽⁵⁾

(1) انظر: الرازي، التفسير الكبير (ج25/26).

(2) [العنكبوت:10].

(3) انظر: ابن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن (ج20/12).

(4) التحرير والتنوير (ج20/217).

(5) [العنكبوت:12].

أي: قال الذين كفروا بالله من قريش للذين آمنوا بالله منهم كونوا على مثل ما نحن عليه من التكذيب بالبعث بعد الممات ووجود الثواب والعقاب على الأعمال، فإنكم إن اتبعتم سبيلنا في ذلك، فبعثتم من بعد الممات، وجوزيتم على الأعمال، فإننا نتحمل آثام خطاياكم حينئذ. (1)

ومن الملاحظ أن ما يتعلق بالخطايا قد استخدم بصيغتين: الفعل المضارع على لسان الكفار، والاسم على لسان الحق تبارك وتعالى .. والسؤال هنا لماذا تم التحول من الفعل إلى الاسم؟!

يرجع ذلك إلى أن الكفار كانوا في الدنيا ويتحدثون عن أمر لم يحصل بعد، وهو ادعائهم باستمرار حمل أوزار من يتبعهم، ولكن في حديث الله تعالى باستخدام الاسم عبر عن أمر تم واستقر يوم الحساب، فقضيت الأمور وكل وقف بين يدي ربه، لا يفكر سوى بنفسه وكيف يحاول أن يدافع عنها، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِيٍّ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ (2) فناسب ذلك استخدام الاسم الدال على الثبوت وحسم الأمر وانقضائه.

وفي نهاية الآية يعبر المولى عز وجل باستخدام الاسم "كاذبون" عن بطلان ادعائهم بأنهم سيحملون أوزار غيرهم، وقد دل الاسم على ثبات الصفة فيهم وتمكنها منهم. وقد أخبر الله تبارك وتعالى عن كذبهم بالخبر الإنكاري الذي اشتمل على مؤكدين التوكيد بـ "إنهم" و"اللام" الواقعة في خبرها في قوله: "إنهم لكاذبون"، رداً على من ينكر عذاب ربه بما اقتترف من ذنوب ويتبع المشركين ظاناً صحة قولهم بحمل أوزاره وذنوبه.

قال تعالى: ﴿لَنْ اتَّخَذَتْ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ (3)

في سياق حديث الله سبحانه وتعالى عن قصة سيدنا موسى عليه السلام، جاءت هذه الآية على لسان فرعون بعد فشله في إيجاد حجج مقنعة لإرجاع موسى عن الحق ومواجهته، فقد لجأ إلى اتباع أسلوب التهديد، فأخبر هنا عن اعتقاده بوجود إله غيره، وقد كُشف ذلك بقوله: ﴿لَنْ اتَّخَذَتْ إِلَهًا﴾ حيث جاءت لفظة (إِلَهًا) نكرة؛ للدلالة على تعدد الآلهة، فكانت رداً لفرعون

(1) انظر: ابن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن (ج14/20).

(2) [عبس:34-37].

(3) [الشعراء:29].

على لسانه، فبالرغم من زعمه بعدم وجود إله سواه، إلا أنه استخدم لفظ (إله) النكرة الذي لا يفيد التخصيص، فقد يكون هناك إلهاً غيره، وهذا حجة قوية عليه.

وكما قد يحمل تكرير الكلمة معنى التقليل من الشأن والنظر بدونية لما يعبدون غيره من آلهة.

واستخدام الفعل المضارع (اتَّخَذْتُ)؛ للدلالة على استمرارية وإصرار موسى على نشر دعوته بوجود إله حق غير فرعون الفاجر.

وفي الشق الآخر من الآية أوضح فرعون العقاب المنتظر لمن ينكر ألوهيته بصيغة الخبر الإنكاري الذي يحتوي على أكثر من مؤكد، كما في قوله: (لَأَجْعَلَنَّكَ)، فاشتملت على مؤكدين: اللام الموطئة للقسم ونون التوكيد الثقيلة، واتصال هذه الأفعال بالفعل المضارع الدال على الاستمرارية، تدل على عزم فرعون على إيقاع العذاب بموسى عليه السلام إن لم يتراجع عن دعوته، فضلاً عن استمراريته في تعذيب كل من يتصدى لجبروته.

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (1)

أي: إن فرعون تكبر وتجبر وطغى في الأرض وجعل أهلها أصنافاً قد صرف كل صنف فيما يريد من أمور دولته، واستضعف من هذه الأصناف بني إسرائيل، وكانوا في ذلك الوقت خيار أهل زمانهم، وقد سُلط عليهم هذا الملك الجبار العتيد يستعملهم في أخس الأعمال، ويكدهم ليلاً ونهاراً في أشغاله وأشغال رعيته، ويقتل مع هذا أبناءهم ويستحيي نساءهم؛ إهانة لهم واحتقاراً وخوفاً من أن يوجد منهم الغلام الذي كان قد تخوف هو وأهل مملكته منه فيكون سبب هلاكه وذهاب دولته على يديه. (2)

وقد أخبرت الآية عن شنيع صنْع فرعون بالفعل المضارع الدال على التجدد و الاستمرارية مع أن طغيانه قد انتهى، فقد أخذه الله أخذ عزيز مقتدر؛ وذلك ليدلل على استمرار وقوع العذاب في زمانه وطول المدة التي تحكم فيها ببني إسرائيل، مع الإشارة إلى ما يحتويه هذا الفعل من دلالة على الحركة مع الاستمرارية وفي ذلك تمكين للقارئ من استحضار تلك الصورة الفظيعة كلما قرأ الآية فكأنها تحدث أمامه.

(1) [القصص:4].

(2) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج6/198).

ومما يمكن ملاحظته أن جُل ما ورد في القرآن الكريم مما يتعلق بعذاب المؤمنين من قبل جبابرة زمانهم، كقوم موسى وإبراهيم عليهما السلام وغيرهم من الأنبياء، إنما جاء بالفعل المضارع ولعل ذلك يدل على أن الأمر غير متوقف على ما حصل في ذلك الزمن للمؤمنين من عذاب وظلم، فالظلم لا ينحصر في زمن محدد، وما هو ظلم للمؤمنين في زماننا وقهر لهم وتناول عليهم لصددهم عن دينهم، ولو لم يكن ذلك لما كانت جنات ربهم تنتظرهم في الآخرة جزاءً لصبرهم وإخلاصهم وإيمانهم، وهذا يندرج تحت إطار الفتنة التي يختبر بها الله سبحانه وتعالى صبر وقوة إيمان المؤمنين.

وقد كشف الله سبحانه وتعالى فساد فرعون بالخبر الإنكاري الذي يشتمل على أكثر من مؤكد، حيث جاء (فرعون) اسماً لأن مرتين، الأولى بلفظه، والثانية في آخر الآية "إنه كان من المفسدين" ولكن بالضمير العائد عليه؛ لأن هذه الآية مبينة ومفسرة للآية السابقة في قوله تعالى: ﴿نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾⁽¹⁾

فاستفتح الآية بحرف التوكيد؛ ليدل على عظم هذا الخبر وأهميته، ثم ذكر اسم فرعون وأتبعه مفصلاً أقبح صفاته وأفعاله، وفي آخر الآية أجمل ذلك بكونه من الفئة المفسدة الضالة، فلما قدم التفصيل بالأمر كان من الضروري ذكر اسم فرعون؛ لتحقيره بارتباطه بما يتعلق به من صفات وأفعال، ولما انتهى التفصيل جاء الإجمال آخر الآية مع الضمير العائد عليه لتحقيره أيضاً ولتقليل شأنه فلا داعي لإعادة ذكره بعدما عُرف بما نُسب إليه من حقارة وإهانة.

وقد جاء خبر إن في المرتين جملة فعلية فعلها ماضٍ "علا-كان من المفسدين"؛ للدلالة على انتهاء علو فرعون وجبروته وفساده.

ب. الخبر الإنكاري بين التعريف بأل والتجرد منها:

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾⁽²⁾

جاء الحق تبارك وتعالى هنا بصفة (العزیز) بعد أن قال: ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾⁽³⁾ لنعلم أن الذين كفروا لم يكفروا رَغماً عنه، إنما كفروا بما أودع فيهم من الاختيار، فهو سبحانه الذي أعانهم عليه لما أحبوه وأصروا عليه؛ لأنه تعالى ربهم بدليل أنه لو تركهم مجبرين مرغمين

(1) [القصص:3].

(2) [الشعراء:9].

(3) [الشعراء:8].

ما فعلوا شيئاً يخالف منهجه أبداً، لكن لما أعطاهم سبحانه وتعالى الصلاحية والاختيار اختاروا الكفر، فأعانهم على ما أحبوا، وختم على قلوبهم حتى لا يخرج منها كفر، ولا يدخلها إيمان.⁽¹⁾

ولم يكتف السياق بالمعرفة اسم الإشارة بل جاء بـ "إن" واسمها المعرف واللام المؤكدة وضمير الفصل (هو)⁽²⁾ وخبره المحلى بأل التعريف؛ لتكون بذلك من أقوى صيغ التوكيد في العربية، وهي صيغة الخبر الإنكاري، رداً على من يُنكر ذلك.

قال تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾⁽³⁾

يتحدث الله سبحانه وتعالى في هذه الآية عن معجزة نجات إبراهيم عليه السلام من قومه، حيث أخرجته تبارك وتعالى من النار سالماً بعد عزم قومه على إحراقه.

ومن المعلوم أن آيات الله كثيرة وعظيمة ولم تقتصر على نبي دون غيره، بل أعطيت لهم جميعاً، لذلك جاء الإخبار عن هذه الآيات بالنكرة؛ لتفيد الكثرة والتعظيم.

كما أن الإخبار عن هذه الآيات جاء بصيغة الخبر الإنكاري الذي يُوجّه للمنكرين لحقيقة وجود هذه الآيات، ولذلك ختمت الآية بلفظة "يؤمنون"؛ لتربط الإقرار بوجود الآيات بالإيمان بالله.

قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾⁽⁴⁾

في هذه الآية يصور الله سبحانه وتعالى المشركين الذين اتخذوا أولياء من دونه لا ينفعونهم ولو بالقليل، بحال العنكبوت التي احتمت ببيتها الضعيف الذي لا يقاها حر الصيف أو برد الشتاء؛ لوهنه على سبيل الاستعارة التمثيلية، ووجه الشبه مركب من: "ضعف المعتمد، ووهاء المستند".⁽⁵⁾

(1) انظر: الشعراوي، خواطر حول القرآن الكريم (ج17/10543).

(2) ضمير الفصل هو الذي يفصل بين الخبر والصفة؛ لمنع توهم أن يكون الخبر صفة، حيث أن الفصل به يوضح كون الثاني خبراً لا تابعاً، وموقعه بين المبتدأ والخبر أوبين ما أصله المبتدأ والخبر. انظر:

الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (ص644).

(3) [العنكبوت:24].

(4) [العنكبوت:41].

(5) الرماني، النكت في إعجاز القرآن الكريم (ص84).

وقد جاءت لفظة "البيوت" معرفة بلام الجنس التي تفيد الاستغراق⁽¹⁾؛ أي: استغراق جميع بيوت المشركين، وعليه فالاستغراق حقيقةً⁽²⁾؛ لأنه شمل وهن جميع أوليائهم الذين اتخذوهم من دون الله سبحانه وتعالى.

أما لفظة "العنكبوت" فجاء التعريف فيها بلام العهد الذهني؛ للإشارة إلى حقيقتها في الذهن باعتبار عهديتها وإقامة القرينة.⁽³⁾

ويُقصد بالعهد الذهني: "أن يكون مدخول (أل) معلوماً لدى المخاطب".⁽⁴⁾

وقد أكد الله سبحانه وتعالى الآية ب "إن ولام التوكيد"؛ لتأكيد وهن بيت العنكبوت الذي يمثل صورة ومراة لوهن أوليائهم، كما وجاء خبر إن "بيت" معرفاً بالإضافة؛ لتحقير شأنهم وتعيين الوهن والضعف لهم ولأوليائهم.

وقد ذُيلت الآية بقوله تعالى: "لو كانوا يعلمون" ومعنى ذلك "أنهم لو علموا أن عبادة الأوثان كاتخاذ بيت العنكبوت التي لا تغني عنهم شيئاً، وأن هذا مثلهم لما عبدوها، لا أنهم يعلمون أن بيت العنكبوت ضعيف".⁽⁵⁾

(1) انظر: الألويسي، روح المعاني (ج10/ 364).

(2) انظر: الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (ص117).

(3) انظر: المرجع السابق، ص117.

(4) الفوزان، تعجيل الندى بشرح قطر الندى (ص111).

(5) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج13/345).

الأغراض البلاغية التي يخرج إليها الخبر

ومن الأغراض البلاغية التي يخرج إليها الخبر على سبيل الذكر لا الحصر:

1- الوعد:

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾⁽¹⁾

يعد الله سبحانه وتعالى في هذه الآية المؤمنين الذين آمنوا به وعملوا الصالحات وجاهدوا فيه بدخولهم جنات النعيم وحشرهم مع زمرة الأنبياء والمرسلين⁽²⁾، وقد أكد هذا الوعد بالفعل المضارع المقترن بلام التوكيد ونون التوكيد؛ للدلالة على استمرارية إدخال من يقوم بذلك في جنات النعيم إلى يوم البعث والحساب.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾⁽³⁾

يعد الله سبحانه وتعالى المؤمنين الذين صح إيمانهم عند ابتلائه إياهم وفتنته لهم، ولم يرتدوا عن أديانهم بأذى المشركين لهم، بتكفير سيئاتهم التي سلفت منهم في شركهم وإثابتهم على صالحات أعمالهم في إسلامهم.⁽⁴⁾

وهنا تتجلى العظمة الإلهية، حيث بدأ بتكفير السيئات وقدمها على إعطاء الحسنات؛ لأن "التخلية قبل التحلية، والقاعدة تقول: إن ذرّة المفسدة مُقدّم على جلب المصلحة والخالق عزّ وجلّ يعلم طبيعة عباده وما يحدث منهم من غفلة وانصراف عن المنهج يُوقعهم في المعصية، وما دام أن الشرع يُعرّف لنا الجرائم ويُقنن العقوبة عليها، فهذا إذنّ منه بأنها ستحدث؛ لذلك يقول تعالى لعباده: اطمئنوا، فسوف أطهركم من هذه الذنوب أولاً قبل أن أعطيكم الحسنات؛ لأن الإنسان بطبعه أميل إلى السيئة منه إلى الحسنة".⁽⁵⁾

(1) [العنكبوت:9].

(2) انظر: السمرقندي، بحر العلوم (ج2/532).

(3) [العنكبوت:7].

(4) انظر: ابن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن (ج10/11-10/20).

(5) الشعراوي، خواطر حول القرآن الكريم (ج18/11082-11083).

ولا يقتصر الأمر على تكفير السيئات بل يتعداه إلى مضاعفة الجزاء، وفي ذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "يقول الله عز وجل: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد، ومن جاء بالسيئة فجزاؤه سيئة مثلها".⁽¹⁾

وقد استخدم الخطاب القرآني لام التوكيد ونون التوكيد مع الفعل المضارع؛ للدلالة على استمرارية تكفير ذنوبهم ومجازاتهم أضعاف أعمالهم الحسنة بشرط أن يبقوا مؤمنين به، عاكفين على طاعته وهذا يفهم من التخصيص في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾⁽²⁾

أي: "من لقي ربه يوم المعاد مؤمن القلب قد صدق ضميره بقوله وعمله فأولئك لهم الدرجات العاليات، والغرف الآمات، والمسكن الطيبات في الجنة".⁽³⁾

وقد جاء وعد الله سبحانه وتعالى جواباً لشرط إيمانهم وعملهم الصالحات، وجاء فعل الشرط مضارعاً؛ للدلالة على استمرارية إيمانهم، وجاء الفعل المقترن بالصالحات من الأقوال والأفعال ماضياً مسبقاً بقدر؛ لإفادة التحقيق علاوة على التأكيد، وثبات صفة الأعمال الصالحة فيهم.

ومنه قوله تعالى: ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا﴾⁽⁴⁾

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾⁽⁵⁾

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذُرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًا﴾⁽⁶⁾

ملاحظة: أول الآية وعد وآخرها وعيد.

(1) [النيسابوري: صحيح مسلم، الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار/ فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله، 2068/4: رقم الحديث 2687].

(2) [طه:75].

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج5/269).

(4) [مريم:61].

(5) [مريم:60].

(6) [مريم:72].

2- الوعيد والتهديد:

قال تعالى: ﴿وَلِيَحْمِلَنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾⁽¹⁾

يتوعد الله سبحانه وتعالى الكفار الذين يغررون بالمؤمنين ويدعونهم لترك دينهم، محتجين بأنهم سيحملون ذنوبهم وأوزارهم، بأنهم سيحملون أوزارهم بالإضافة إلى أوزار غيرهم، ثم يكون لهم الخسران وتكون جهنم مأوى لهم.

واستخدم الحق تبارك وتعالى في حديثه هذا التوكيد باستخدام لام القسم مع نون التوكيد التي اتصلت بالفعل المضارع؛ للدلالة على استمرارية حملهم للأثقال والذنوب وذلك في حياتهم وحتى بعد مماتهم، ثم يكون العرض عليه سبحانه وتعالى والسؤال عما فعلوا.

وجاء التوكيد أيضاً بتكرار لفظة "أثقالهم" ثلاث مرات؛ ليدل ذلك على عظيم الذنوب التي اقترفوها والأوزار التي جُعلت على ظهورهم.

قال تعالى: ﴿اٰخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدٍ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾⁽²⁾

أي لما اختلفت أقوال أهل الكتاب في عيسى عليه السلام بعد بيان أمره ووضوح حاله، وأنه عبد الله ورسوله وكلمته التي ألقاها إلى مريم وروح منه، وصممت طائفة - وهم جمهور اليهود، عليهم لعائن الله - على أنه ولد زانية، وقالوا: كلامه هذا سحر، وقال آخرون: هو ابن الله، وقال آخرون: ثالث ثلاثة، وقال آخرون: بل هو عبد الله ورسوله، وهذا هو قول الحق الذي أرشد الله إليه المؤمنين⁽³⁾، توعد الله سبحانه وتعالى المشركين الذين قالوا الأباطيل في حق نبيه عليه السلام بالعذاب يوم القيامة حيث الجزاء والحساب والخلود في النار، كما في قوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾⁽⁴⁾

(1) [العنكبوت:13].

(2) [مريم:37].

(3) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج5/204).

(4) [الأحزاب:64-65].

قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾⁽¹⁾

الصلاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام، وهي عمود هذا الدين وأول ما يحاسب عليه المرء يوم القيامة، وهي الحد الفاصل بين الإيمان والكفر وهي كذلك آخر ما يرفع من أركان ومظاهر الإسلام في الأرض.

وفي هذه الآية الكريمة يتحدث المولى عز وجل عن الأقوام التي تأتي من بعد الأقوام الصالحة التي تحدث عنها في الآية السابقة، فتضيع الصلاة بتأخيرها أو تركها أو توجيهها لغير الله كالصلاة للأصنام .. الخ، ويتوعدهم على ذلك بالعذاب الشديد والغى، والغى: واد في جهنم بعيد القعر خبيث الطعم شديد الحرارة، خصص لتاركي الصلاة.⁽²⁾ ومن هنا كان الربط بين الصلاة والغى فكونها من أعظم العبادات تطلب تركها أعظم العقوبات.

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾⁽³⁾

وقوله تعالى: ﴿كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾⁽⁴⁾

3- التوبيخ:

قال تعالى: ﴿قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى﴾⁽⁵⁾

جاء الأسلوب الخبري حاملاً معنى التوبيخ للذين أتتهم آيات ربهم بينة وواضحة، فأعرضوا عنها أو نسوها أو كفروا بها، فعاشوا عيشة ضنكة وصعبة وحُشروا عمياناً يوم القيامة، فسألوا ربهم عن سبب ذلك، فكان جوابه توبيخاً وتقريراً لهم؛ لتركهم تلك الآيات واتباعهم الشهوات، وكان نسيانهم من باب الجزاء المترتب على فعلتهم، مما يحمل معنى العذاب و العقاب وعدم الرحمة بهم.

كما جيء بلفظة (آياتنا) مموعة ومعرفة بالضمير العائد إلى المولى عز وجل؛ وذلك لتشريفها وتعظيمها وبيان فضلها فضلاً عن تعددها وتنوعها.

(1) [مريم:59].

(2) انظر: العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري (ج15/162). وانظر: الصابوني، صفوة التفاسير

(ج20/202). وانظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج16/135).

(3) [طه:74].

(4) [مريم:79].

(5) [طه:126].

قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (1)

لما كان المشركون يقرون بوحداية الله تعالى وقدرته ومع ذلك يصرون على كفرهم، وبخهم الله سبحانه وتعالى على ذلك، فكيف يكفرون به بعد ذلك الإقرار؟؟
فقد جاء وصفهم بأنهم لا يعقلون؛ توبيخاً على فعلتهم.

4- الإلهاب والتهيج:

قال العلوي: "هما مقولان على كل كلام دال على الحث على الفعل لمن لا يتصور منه تركه وعلى ترك الفعل لمن لا يتصور منه فعله، ولكن يكون صدور الأمر والنهي ممن هذه حاله على جهة الإلهاب والتهيج له على الفعل أو الكف لا غير". (2)
ومنه قوله تعالى: ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾ (3)

أي: إن الطاعات التي يبقى ثوابها لأهلها خير عند ربهم جزاءً وخير عاقبة من مقامات هؤلاء المشركين بالله وأنديتهم التي بها يفخرون على أهل الإيمان في الدنيا، فإن عاقبة الأولين السعادة الأبدية، وعاقبة أولئك الحسرة الدائمة والعذاب المقيم، وفي هذا إلهاب وتهيج لمشاعر المؤمنين لحثهم على مواصلة الدرب. (4)

وقد ختمت الآية بقوله تعالى: "خير مردا" ويقصد بذلك: أن هذه الأعمال هي أفضل ما يرجع بها العبد لربه يوم القيامة فتكون عوناً لدخوله جنات النعيم.
وقوله تعالى: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (5)

يلهب الله تبارك وتعالى مشاعر المؤمنين بأن الحياة الدنيا ماهي إلا دار ممر ولعب ولهو زائل بزوالها، وأن الآخرة هي الحياة الحقيقية.

(1) [العنكبوت:63].

(2) العلوي، الطراز (ج3/93).

(3) [مريم:76].

(4) انظر: المراغي، تفسير المراغي (ج16/79).

(5) [العنكبوت:64].

ومما يمكن ملاحظته في التركيب النحوي أنه استخدم أسلوب القصر عند الحديث عن الحياة الدنيا؛ وذلك ليخصص هذا اللهو بوجوده في الدنيا وزواله بزوالها، في حين استخدم أسلوب التوكيد عند الحديث عن الآخرة؛ ليدل بذلك أنها الحياة الحقيقية التي تستحق الانقياد لطاعته تبارك وتعالى.

5- التحذير:

ومن قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾⁽¹⁾

أي إن كذبتكم وقتلتم يوم الحساب لم تكن نعلم بحال من سبقنا أو لم تأتتنا آيات ربنا فإن الرسول عليه الصلاة والسلام قد بلغكم ما حل في الأمم السابقة من العذاب والنكال في مخالفة الرسل، وما على الرسول إلا أن يبلغكم ما أمره الله تعالى به من الرسالة، والله يضل من يشاء ويهدي من يشاء، فاحرصوا لأنفسكم أن تكونوا من السعداء.⁽²⁾

وفي هذا تحذير لهم، ودعوة لأخذ العظة والعبرة ممن سبقهم من الأمم.

6- إظهار الضعف:

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾⁽³⁾

"وهذا في غاية الخضوع والتذلل وإظهار الضعف والقصور عن نيل مطالبه، وبلوغ مآربه".⁽⁴⁾

وقال تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾⁽⁵⁾

والتعبير بالفعل الماضي (وهن-اشتعل)؛ للدلالة على تحقق وقوع الفعل.

(1) [العنكبوت:18].

(2) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج6/243).

(3) [مريم:4].

(4) الشوكاني، فتح القدير (ج3/379).

(5) [القصص:24].

7- الاسترحام والاستعطاف:

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾⁽¹⁾

هذه الآية تتحدث عن قصة سيدنا موسى عليه السلام مع القبطي والإسرائيلي، حيث خرج موسى ذات يوم يتفرّج.. فدخل مدينة لفرعون، وبينما هو يسير، فإذا به يرى رجلين يقتتلان (هذا من شيعته) من بني إسرائيل (وهذا من عدوه) من القبط، فكان أحدهما يقول بقول موسى، وكان الآخر يقول بقول فرعون فقال الإسرائيلي: يا موسى نجني من هذا القبطي. فتقدم موسى إلى القبطي فضربه بيده، وكانت الضربة شديدة؛ لما كان لموسى من قوة وبطش فمات القبطي في مكانه فقال موسى: هذا الاقتتال من عمل الشيطان، فما كان منه سوى مناجاة ربه بأن يغفر له هذه الفعلة، فحُذِفَ حرف النداء (يا) وياء المتكلم والأصل: قال ياربي؛ وذلك لتعظيم المنادى واستشعاره بقربه منه آملاً أن يستجيب دعاءه بوقت قصير، معترفاً بما بدر منه بالخبر المؤكد ب إن: (إني ظلمت نفسي) وهذا "من باب الاسترحام والاستعطاف".⁽²⁾

قال قتادة: "عرف المخرج فقال: ﴿إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾".⁽³⁾

أي عرف أن التوبة إلى الله والندم على الذنب هو السبيل لمغفرة الذنوب.

فالاعتراف بالذنب والندم عليه هو طلب للرحمة، وقوله (فاغفر لي) أسلوب إنشائي للأمر غرضه طلب الرحمة أيضاً، وبناءً على ذلك فإن الرحمة قد طلبت بأسلوبين بلاغيين (خبر، إنشاء) وهذا دليل على فصاحة اللغة وتفرداها على غيرها من اللغات الأخرى.

8- الأمر:

قال تعالى: ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾⁽⁴⁾

معنى اسمه يحيى أي: سمه يحيى، فالكلام "خبر مستعمل في الأمر".⁽⁵⁾

(1) [القصص:16].

(2) عباس، البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني) (ص111).

(3) ابن ياسين، الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور (ج4/46).

(4) [مريم:7].

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج16/68).

قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾⁽¹⁾

يعني: "ووصينا الإنسان أن يفعل بوالديه ما يحسن".⁽²⁾ ومعناه "ألزمناه أن يفعل بهما براءً".⁽³⁾

9- الإقناع:

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾⁽⁴⁾

يهدف هذا الأسلوب الخيري على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام إلى إقناع قومه بعدم فائدة الآلهة التي يعبدونها من دون الله تبارك وتعالى، فساق لهم الأدلة المؤكدة على ذلك ومنها كونهم لا يملكون لهم رزقاً ينفعهم، فلا فائدة من عبادتهم، وقد عبر إبراهيم عليه السلام عن هذا الأمر بالفعل المضارع الدال على استمرارية عبادة قومه للأصنام.

10- التعريض:

ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾⁽⁵⁾

وقوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾⁽⁶⁾

ففي كلتا الآيتين يعرض الله سبحانه وتعالى بالكفار الذين لا يؤمنون بآيات الله البينة ويصرون على جحدها وإنكارها، ويصفهم بالاسم "الكافرون، الظالمون"؛ للدلالة على تمكن الصفة منهم و ثباتها فيهم.

(1) [العنكبوت:8].

(2) السمرقندي، بحر العلوم (ج2/531).

(3) الماوردي، النكت والعيون (ج4/276).

(4) [العنكبوت:195].

(5) [العنكبوت:47].

(6) [العنكبوت:49].

المبحث الثاني

التركيب النحوية للأساليب الإنشائية ودلالاتها البلاغية

الإنشاء لغة:

الإيجاد والابتداء، فهو يفيد إيجاد شيء ابتداءً، فليس لمفهومه واقع يطابقه أو لا يطابقه تقول: أنشأ الله العالم؛ أي: أوجدهم وابتدأ خلقهم⁽¹⁾، وهو الشروع والوضع، تقول: أنشأ الغلام يمشي: إذا شرع في المشي، وأنشأ فلان الحديث؛ أي: وضعه.⁽²⁾

الإنشاء اصطلاحاً:

"الكلام الذي لا يحتمل صدقاً ولا كذباً لذاته"⁽³⁾.

وهذا ما عبر عنه الخطيب القزويني بقوله: "الكلام إما خبر أو إنشاء؛ لأنه إما أن يكون لنسبته خارج تطابقه، أو لا تطابقه أو لا يكون لها خارج. الأول الخبر، والثاني الإنشاء"⁽⁴⁾.

وينقسم الإنشاء إلى نوعين: الإنشاء الطلبي، الإنشاء غير الطلبي.

1- **الإنشاء الطلبي:** هو ما يستدعي مطلوباً غير حاصل عند الطلب، وأنواعه خمسة: الأمر، النهي، الاستفهام، التمني، النداء.⁽⁵⁾

2- **الإنشاء غير الطلبي:** هو ما لا يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب⁽⁶⁾، وله أساليب صياغة كثيرة، منها: صيغ المدح والذم وما جرى مجراهما، ألفاظ العقود، أساليب التعجب، أساليب القسم، أساليب الرجاء.

(1) انظر: ابن منظور، لسان العرب (ج1/170)، وانظر: الرازي، مختار الصحاح (ج1/310).

(2) الهاشمي، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب (ص15).

(3) علوان، من بلاغة القرآن (ص27).

(4) القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة (ص24).

(5) علوان، من بلاغة القرآن (ص299).

(6) المرجع السابق، ص27.

الإِنشاء الطلبي

أولاً: الأمر:

هو "طلب حصول الفعل من المخاطب على وجه الاستعلاء والإلزام"⁽¹⁾.

ومن أمثلة الأمر الحقيقي:

قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ

لِلتَّقْوَى﴾⁽²⁾

أمر صلى الله عليه وسلم بأن يأمر أهل بيته أو التابعين له من أمته بالصلاة بعدما أمر هو بها؛ ليتعاونوا على الاستعانة على خصائصهم ولا يهتموا بأمر المعيشة ولا يلتفتوا لفت أرباب الثروة، فالرزق مقدر عند الله، والثواب ينتظر أهل التقوى والإيمان، وحذف المضاف (أهل)؛ أي: أهل التقوى، وأقام المضاف إليه مقامه (التقوى)؛ للدلالة على أهمية التقوى وأنها ملاك الأمر، فكما ازداد الإنسان تقوى كلما تقرب إلى ربه أكثر⁽³⁾.

إذاً فالأمر عام يشمل الرسول صلى الله عليه وسلم وأمته، وقد قال عليه الصلاة والسلام: "حُبب إلي من الدنيا النساء والطيب وجُعِل قرة عيني الصلاة"⁽⁴⁾، فلم أمر بالصبر على الصلاة؟ بل بالأعظم من ذلك (الاصطبار)، ومن كانت قرة عينه الصلاة لا يستدعي أن يوضع في هذا المقام؟!

هنا يأتي دور البلاغة وقدرتها في الكشف عن سر الفصاحة والبيان في القرآن الكريم، فمن المعلوم أن كل زيادة في المبنى تدل على زيادة في المعنى أيضاً، فاصطبر فوق اصبر، بمعنى اصبر ثم زد في الصبر.

يقول الشاعر: لولا اصطبار لأودى كل ذي مقة لما استقلت مطاياهن للظعن⁽⁵⁾

أي: لولا التجلد والصبر، وحمل النفس على عدم الجزع لهلك كل محب عند تهيؤ أحبائه للسفر والرحيل، ومفارقتهم له.

(1) علم المعاني، (ص75).

(2) [طه:132].

(3) انظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (ص51).

(4) المقدسي، الأحاديث المختارة مما لم يخرجها البخاري ومسلم في صحيحهما (ج5/112).

(5) يعقوب، المعجم المفصل في شواهد العربية (ج8/224)، البيت من البسيط، قائله مجهول.

فالاصطبار يكون للأشياء التي تتطلب مداومة مستمرة، ولما كانت الصلاة مستمرة كل يوم ولها أوقات معلومة وتتطلب خشية وإيمان، جاءت اصطبر وليس اصبر.

وقوله تعالى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةً فَإِيَّايَ فَاعْبُدُون﴾ (1)

لما ذكر سبحانه وتعالى حال الكفرة من أهل الكتاب ومن المشركين وجمعهم في الإنذار وجعلهم من أهل النار، اشتد عنادهم، وزاد فسادهم، وسعوا في إيذاء المسلمين بكل وجه فقال سبحانه: يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإن كنتم في ضيق بمكة من إظهار الإيمان، وفي مكيدة للكفار، فاخرجوا منها؛ لتتيسر لكم عبادتي وحدي، وتتسهل عليكم. (2)

فهذا تذكير وتوجيه لهم بأن أرض الله واسعة، وأن هناك أماكن عدة يستطيع المسلم أن يقيم بها مطمئن النفس مرتاح القريرة ليتسنى له أداء فروضه، كما قال إياس بن قبيصة الطائي:

ألم تر أن الأرض رحبٌ فسيحةٌ ... فهل تعجزني بقعةً من بقاعها (3)

أي: "إنك تعلم أن الأرض واسعة عريضة، وأن بقاعها لا تنبو بي، ولو نبت لم تعجزني" (4)، ومثل هذا ما جاء في الآية من معنى أن الأرض واسعة رحبة لعبادة الله فإن ضاق مكان لسبب ما، فهناك الكثير من الأماكن الأخرى.

وفي إضافتهم إليه بعد خطابهم تشريف وتكريم لهم، وفي نعتهم بالإيمان دلالة على مكانتهم عنده وتمييزهم عن غيرهم.

وقال الزجاج: "أمروا بالهجرة من الموضع الذي لا يمكنهم فيه عبادة الله، وكذلك يجب على من كان في بلد يعمل فيها بالمعاصي ولا يمكنه تغيير ذلك أن يهاجر إلى حيث يتهيأ له أن يعبد الله حق عبادته". (5)

والفاء في الأمر "فاعبدون" جواب شرط محذوف إذ المعنى إن أرضي واسعة إن لم تخلصوا العبادة لي في أرض فأخلصوها في غيرها، ثم حذف الشرط وعوض عن حذفه تقديم

(1) [العنكبوت:56].

(2) انظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (ج4/198).

(3) أبو تمام، ديوان الحماسة (ص37).

(4) الأصفهاني، شرح ديوان الحماسة، باب الحماسة (ص153).

(5) الزجاج، معاني القرآن (ج4/172).

المفعول به الضمير المنفصل "إيأي" على الفعل والفاعل "اعبدون" وجوباً؛ ليفيد الحصر و التخصيص؛ أي: اعبدوا الله وحده ولا تعبدوا أحداً سواه.⁽¹⁾

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾⁽²⁾

"(وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ) جواب لقولهم: هل هذا بشر مثلكم؛ أي: وما أرسلنا من قبلك يا محمد إلى أمة من الأمم، للدعاء إلى توحيدنا، والانتهاة إلى أمرنا ونهينا، إلا رجالاً من بني آدم نوحى إليهم وحيناً لا ملائكة، فلم نرسل إلى قومك إلا مثل الذي كنا نرسل إلى من قبلهم من الأمم من جنسهم وعلى مناهجهم، (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ) لمشركي قريش: أي: وإن كنتم لا تعلمون أن الذين كنا نرسل إلى من قبلكم من الأمم رجال من بني آدم مثل محمد صلى الله عليه وسلم وقلتم: هم ملائكة: أي: ظننتم أن الله كلمهم قبلاً فاسألوا أهل الذكر، وهم الذين قد قرؤوا الكتب من قبلهم: التوراة والإنجيل، وغير ذلك من كتب الله التي أنزلها على عباده".⁽³⁾

الأغراض البلاغية التي يخرج إليها الأمر:

أي: الأغراض التي يخرج فيها الأمر عن معناه الحقيقي إلى معان مجازية أخرى

ومنها:

1- الدعاء:

وهو "الطلب على سبيل التضرع"⁽⁴⁾ ويكون "من خطاب الأدنى لمن هو أعلى منزلة،

كدعاء الإنسان ربه".⁽⁵⁾

ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾⁽⁶⁾

(1) انظر: الزمخشري، الكشاف (ج3/461).

(2) [الأنبياء:7].

(3) ابن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن (ج17/207 - 208).

(4) مطلوب، أساليب بلاغية (ص111).

(5) حسين، فن البلاغة (ص117).

(6) [طه:25].

"هذا سؤال من موسى عليه السلام لربه عز وجل، أن يشرح له صدره فيما بعثه به، فإنه قد أمره بأمر عظيم، وخطب جسيم، بعثه إلى أعظم ملك على وجه الأرض آنذاك، وأجبرهم، وأشدهم كفراً، وأكثرهم جنوداً، وأعمرهم ملكاً، وأطغاهم وأبلغهم تمرداً، بلغ من أمره أن ادّعى أنه لا يعرف الله، ولا يعلم لرعاياه إلهاً غيره".⁽¹⁾

"هذا وقد مكث موسى في داره مدة وليداً عندهم، في حجر فرعون، على فراشه، ثم قتل منهم نفساً فخافهم أن يقتلوه، فهرب منهم هذه المدة بكاملها"⁽²⁾.

وبعد هذا بعثه ربه عز وجل إليهم نذيراً يدعوهم إلى أن يعبدوه وحده لا شريك له⁽³⁾؛ لذلك لجأ موسى عليه السلام يدعو ربه محسناً الظن به، فإن الداعي يُعطى طلبه على قدر ظنه بربه، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي الذي يرويه عن ربه: "أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني"⁽⁴⁾.

فلذلك دعى ربه بأن يشرح له صدره ويسر أمره، وكأنه يقول: إن لم تكن معي ياربي ولم تكن سندي، فلا طاقة لي بهذا الأمر العظيم.

وفي تركيب الآية النحوي نجدها قد أضافت الجار والمجرور (لي) قبل (صدري-أمري) مع أن ياء المتكلم تعني عن ذلك وتفي بالمراد، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى التأكيد والتعليل وذلك بما تفيده اللام من معنى العلة، وعليه فالمعنى: يارب اشرح صدري لأجلي ويسر أمري لأجلي، وفي هذا تأكيد على إلهام سيدنا موسى عليه السلام في الدعاء لنفسه والتقرب إلى الله عز وجل.

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾⁽⁵⁾

يبين الله عز وجل في هذه الآية الكريمة أن أهل النار يوم القيامة يدعون ربهم فيها فيقولون: ربنا ردنا إلى الدار الدنيا، فإن عدنا إلى ما سلف منا وإلى ما لا يرضيك بعد إخراجنا

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج5/249).

(2) المرجع السابق، ج5/249.

(3) انظر: المرجع نفسه، ج5/249.

(4) [البخاري: صحيح البخاري، التوحيد/باب قول الله تعالى: {ويحذركم الله نفسه} [آل عمران: 28]، 9/121: رقم الحديث 7405].

(5) [المؤمنون: 107].

منها، فنحن ظالمون مستحقون للعقوبة.⁽¹⁾ وهذا دلالة على الندم والحسرة وهول الموقف حيث لا مفر من العذاب المنتظر.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾⁽²⁾

جاءت هذه الآية في سياق الحديث عن صفات عباد الرحمن التي ذكرها الله عز وجل في آخر سورة الفرقان، فكانت هذه الصفة الرابعة لهم، فهم كما أخبر الله سبحانه وتعالى عنهم يمشون دون تكبر بالسكينة والوقار، ولا يسفهون ويتعصبون، ويبيتون ليلهم سجداً وقياماً وبالرغم من هذا فهم يتضرعون إليه عز وجل بالدعاء بأن يصرف عنهم عذاب جهنم وينجيهم منه، معللين ذلك بأن عذابها غراماً، أي: شراً دائماً وهلاكاً لازماً غير مفارق لمن عُذِبَ به من الكفار⁽³⁾، "فكل شيء يصيب ابن آدم ويزول عنه ليس بغرام، وإنما الغرام اللازم مادامت السماوات والأرض".⁽⁴⁾

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾⁽⁵⁾

هذه دعوة أخرى من دعوات عباد الرحمن الذين جمعوا الخصال والفعال الحميدة، فقالوا: ربنا هب لنا من هباتك العظيمة الوفيرة أزواجاً وذريةً سالحة، وفي هذا الدعاء لأزواجهم وذريتهم بالصلاح دعاء لأنفسهم؛ لأن نفعه يعود عليهم بالخير، كما جاء في قول النبي صلى الله عليه وسلم: "إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ".⁽⁶⁾ بل ويعود إلى نفع عموم المسلمين أيضاً؛ "لأن بصلاح من ذكر يكون سبباً لصلاح كثير ممن يتعلق بهم وينتفع بهم".⁽⁷⁾

(1) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج5/433).

(2) [الفرقان:65].

(3) انظر: البروسوي، روح البيان في تفسير القرآن (ص258-259).

(4) البصري، تفسير الحسن البصري (ج2/173).

(5) [الفرقان:74].

(6) [النيسابوري: صحيح مسلم، الوصية/ما يلحق الإنسان من الثواب بعد الموت، ج3/1631: رقم الحديث 1631].

(7) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص587).

كما أن التعبير بالفعل المضارع (يقولون)، يدل على الإلحاح والاستمرارية في سؤال الله عز وجل والتقرب إليه، وهذا قمة في البلاغة والبيان والإعجاز والنظم؛ لأن دلالة الماضي الأصل فيها الانقطاع عن الوجود المستمر بخلاف المضارع الذي يفيد التجدد والاستمرارية.

ويرى الزمخشري أن تنكير "أعين" جاء لأحد أمرين:

1- "لأجل تنكير القرّة؛ لأن المضاف لا سبيل إلى تنكيره إلا بتكثير المضاف إليه.

2- قيل أَعْيُنٍ دون عيون؛ لأنه أراد أعين مخصوصة "أعين المتقين"، وهي قليلة بالإضافة إلى عيون غيرهم".⁽¹⁾

ويرى أبو السعود أن تنكير القرّة جاء من أجل تعظيمها.⁽²⁾ وكلاهما صحيح.

وفي قوله **(وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا)** إشارة للأبَاء والأمهات إن أرادوا الدعاء لأبنائهم وذرياتهم، بأن يقتدوا بهؤلاء المؤمنين، فلا يكتفوا بالدعاء لصلاح أبنائهم وتربيتهم تربية صالحة فحسب، بل يعدوهم لقيادة الأمة والريادة فيها بالخير والصلاح.

وقوله تعالى: **﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾**⁽³⁾

الشاهد في قوله: (فاغفر لي) حيث خرج الأمر لمعنى الدعاء، وقد جاءت الإجابة عنه مبدوءة بفاء التعقيب؛ لبيان سرعة الإجابة بالمغفرة وصدق إنابته وتوبته.

ومنه أيضاً قوله تعالى: **﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾**⁽⁴⁾

هنا استرسال في قصة موسى عليه السلام، فلما انتشر أمره في الناس، وقالوا: إنه قتل رجلاً من القبط، خرج في غد ذلك اليوم يتحسس الأخبار، فإذا به يمرّ بذلك الرجل الإسرائيلي، وهو يناقش مع رجل قبطي آخر.. ولما رأى الإسرائيلي موسى استصرخه وطلب منه العون في إنجائه من القبطي، فتوجه موسى إلى الإسرائيلي، وقال له: **(إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ)**⁽⁵⁾ كل يوم تقاتل رجلاً؟!!

(1) الكشاف (ج3/296).

(2) انظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (ج6/231).

(3) [القصص:16].

(4) [القصص:21].

(5) [القصص:18].

لكن موسى بعدما قال هذا الكلام للإسرائيلي، نحى نحو القبطي ليزجره وينصر الإسرائيلي فزعم الإسرائيلي أن موسى يريد الانتقام منه.. فاضطرب وتوجه إلى موسى قائلاً: هل تريد قتلي كما قتلت غيري إنك جبار وليس من المصلحين، فخاف موسى أن يتبين أمره، ويلقى القبض عليه فهرب من محل المنازعة، واختفى.

وكان خازن فرعون مؤمناً بموسى عليه السلام وكان قد كتم إيمانه عن فرعون.. وبعد الواقعة استشار فرعون أصحابه في أمر موسى؟ وأخيراً استقرّ رأيه على أن يقتله.

فأخذ الخازن يناقش فرعون في قتل موسى، ولكن لم تنفع المناقشة، وصدر حكم القتل، فلم ير الخازن حلاً للمسألة إلا أن يخبر موسى بالمؤامرة لينجو بنفسه.

فذهب الخازن لموسى عليه السلام وأخبره بنية فرعون، فسمع موسى كلام الخازن فخرج بغير دابة، ولا خادم ولا زاد متضرعاً إلى الله تعالى⁽¹⁾، قائلاً: "رب خلصني منهم واحفظني من لحوقهم".⁽²⁾

2- النصح والإرشاد:

قال تعالى: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾⁽³⁾

يقول الرازي: "اتبعتني ليس أمر إيجاب بل أمر إرشاد".⁽⁴⁾

قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾⁽⁵⁾

فالأمر في الفعل "اخرج" للنصح والإرشاد، والدليل على ذلك قوله: "إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ".

وقد جاءت لفظة (رجل) نكرة؛ لأنه من المعلوم لدينا أن من دواعي استعمال النكرة ألا يكون هناك فائدة في تعيين المتحدث عنه، بل تعيينه يكون زائداً فحينئذ يحسن التكرير، ولما كان تعيين الرجل لا فائدة فيه بل الفائدة في كلامه جيء بلفظة (رجل) نكرة.

(1) انظر: ابن كثير، قصص الأنبياء (ج2/13-14-15).

(2) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (ج4/174).

(3) [مريم:43].

(4) الرازي، التفسير الكبير (ج21/544).

(5) [القصص:20].

قال تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾⁽¹⁾

فالأمر في قوله: "سلموا" للنصح والإرشاد؛ وذلك لأنه أدب من آداب الإسلام التي حث عليها المولى عزوجل وليس أمراً واجباً لاتباعه.
قال النووي: "اعلم أن ابتداء السلام سنة ورده واجب."⁽²⁾

3- التعجيز:

هو الطلب بما لا يقدر عليه المخاطب ليظهر عجزه.⁽³⁾

قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبِ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ﴾⁽⁴⁾

إن الله سبحانه وتعالى ناصر نبيه ومن اتبعه من أمته، فمن كان يظن أن الله سبحانه و تعالى لن ينصر نبيه محمد عليه الصلاة والسلام بعلو دينه وإعلاء درجته في الدنيا والآخرة، فليستقص في إزالة غيظه أو جزعه بأن يفعل كل ما يفعله الممتلئ غيظاً، وليمدد حبلاً إلى سماء الدنيا ثم ليقطع به المسافة حتى يبلغ عنانها فيجتهد في دفع نصره أو تحصيل رزقه، وقد سمى فعله هذا بالكيد؛ لأنه منتهى ما يقدر عليه أي: غيظه أو الذي يغيظه من نصر الله، وهذا الفعل لا يقدر عليه أحد، فهذا تعجيز لهم وبيان لضعفهم.⁽⁵⁾

وقوله تعالى: ﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلَيْهَ مَعِ اللَّهُ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾⁽⁶⁾

يخاطب الله عزوجل المشركين منكرات عليهم اتخاذهم إلهاً آخر معه، فيسألهم من الذي أنشأ الخلق من عدم؟، ومن القادر على إعادته؟! أو ليس هو الخالق العظيم لهذا الكون كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾⁽⁷⁾ ومن يرزقكم من

(1) [النور:61].

(2) النووي: شرح النووي على مسلم، السلام/ يسلم الراكب على الماشي والقليل على الكثير، ج 14/140.

(3) انظر: مطلوب، أساليب بلاغية (ص113).

(4) [الحج:15].

(5) انظر: النيساوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (ج67/4).

(6) [النمل:64].

(7) [الروم:27].

السماء والأرض بأسباب سماوية وأرضية؟ أإله مع الله يفعل ذلك؟!، إن كنتم ترون ذلك وظننتم أنكم صادقون في إشراككم، فإن كمال القدرة من لوازم الألوهية، فلتأتوا ببرهانكم وحججكم على أن غيره يقدر على شيء من ذلك.⁽¹⁾

إذا بدأت الآية بالاستفهام؛ لإنكار المشركين البعث، ثم دُيِّلت بأمر التعجيز للمشركين؛ للإتيان ببرهان على عدم البعث.

وقد استخدم حرف التشكيك "إن"؛ للدلالة على ضعفهم وقلة حيلتهم والتهكم بهم أيضاً، وإضافة البرهان إلى ضمير المخاطبين وهم المشركون، "يشير إلى أن البرهان المُعْجِزِ عَلَيْهِ هو برهان عدم البعث؛ أي: إن كنتم صادقين فهاتوه؛ لأن الصادق هو الذي قوله مطابق للواقع، والشيء الواقع لا يعدم دليلاً عليه".⁽²⁾

4- الإهانة والتحقير:

قال تعالى: ﴿قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾⁽³⁾

"هذا جواب من الله تعالى للكفار إذا سألوا الخروج من النار والرجعة إلى هذه الدار، يقول: (اخْسَئُوا فِيهَا) أي: امكثوا فيها صاغرين مهانين أذلاء. (وَلَا تُكَلِّمُونِ) أي: لا تعودوا إلى سؤالكم هذا، فإنه لا جواب لكم عندي".⁽⁴⁾

قال الزجاج: "معنى (اخْسَئُوا) تباعدوا تباعداً سُخْطاً، يقال: خَسَأْتُ الكلبَ أَخْسُوهُ إذا زجرته ليتباعد"⁽⁵⁾. فالمعنى على هذا: ابعدوا في جهنم، كما يقال للكلب اخساً: أي ابعد، ولا تكلمون في إخراجكم من النار ورجوعكم إلى الدنيا، أو في رفع العذاب عنكم وهذا قمة في إهانته واحتقارهم وذلكهم.

(1) انظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (ج4/165).

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج20/18).

(3) [المؤمنون: 108].

(4) ابن عاشور، تفسير القرآن العظيم (ج5/434).

(5) الزجاج، معاني القرآن (ج4/24).

وهناك أغراض بلاغية أخرى، منها على سبيل الذكر لا الحصر:

5- الإباحة:

قال سيبويه: "جالس عمراً أو خالداً أو بشراً، كأنك: قلت: جالس أحد هؤلاء ولم ترد إنساناً بعينه." (1)

ونص المبرد على هذا المعنى فقال: "وقد يكون لها موضع آخر معناه الإباحة وذلك قولك جالس الحسن أو ابن سيرين وائت المسجد أو السوق؛ أي: قد أذنت لك في مجالسة هذا الضرب من الناس وفي إتيان هذا الضرب من المواضع." (2)

ومنه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (3)

قال شهاب الخفاجي: "إباحة الطيبات إشارة إلى أن الأمر للإباحة والترفيه." (4)

وكذا الحال مع الفعل (واعملوا صالحاً).

وقوله تعالى: ﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى﴾ (5)

6- التفويض:

أي: التسليم، ومنه قوله تعالى: ﴿فَافْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (6)

جاءت هذه الآية رداً من المؤمنين على جبروت فرعون عندما أصروا على إيمانهم فهددهم بقطع أيديهم وأرجلهم .. الخ، فقالوا له: احكم ما أنت حاكمه، إنما تقضي وتحكم هذه الحياة الدنيا؛ أي: جبروتك وقوتك في هذه الحياة فقط ثم ينتهي بعد ذلك ولا سبيل لك علينا، و هذا دليل على تسليمهم وتفويض أمرهم لله عز وجل.

"والقصر المستفاد من (إنما) قصر موصوف على صفة، أي إنك مقصور على القضاء

في هذه الحياة الدنيا لا يتجاوزه إلى القضاء في الآخرة، فهو قصر حقيقي." (7)

(1) سيبويه، الكتاب (ج3/184).

(2) المبرد، المقتضب (ج1/11).

(3) [المؤمنون:51].

(4) المصري، حاشية الشهاب (ج6/334).

(5) [طه:54].

(6) [طه:72].

(7) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج16/267).

7- الاعتبار:

ويكون لأخذ العظة والعبرة من الأمم السابقة، ولأجل التفكير والتدبر في آيات الله وقدرته الدالة على وحدانيته واستحقاقه الأفراد بالعبادة والطاعة.

كقوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ (1)

أي: قل يا محمد للمنكرين للبعث والعقاب: سيروا في هذه الأرض وتأملوا قدرة الخالق وانظروا لأنفسكم كيف خلقها من عدم، فالذي قدر على ذلك قادر على إحيائها مرة أخرى، فاعتبروا بتلك الآيات وتوبوا لله. (2)

"وجيء في جانب بدء الخلق بالفعل الماضي؛ لأن السائر ليس له من قرار في طريقه فندر أن يشهد حدوث بدء مخلوقات، ولكنه يشهد مخلوقات مبدوءة من قبل فيفطن إلى أن الذي أوجدها إنما أوجدها بعد أن لم تكن وأنه قادر على إيجاد أمثالها فهو بالأحرى قادر على إعادتها بعد عدمها. والاستدلال بالأفعال التي مضت أمكن لأن للشيء المتقرر تحققاً محسوساً. وجيء في هذا الاستدلال بفعل النظر؛ لأن إدراك ما خلقه الله حاصل بطريق البصر وهو بفعل النظر أولى وأشهر لينتقل منه إلى إدراك أنه ينشئ النشأة الآخرة". (3)

وقوله تعالى: ﴿وَمَكْرُوهًا مَكْرًا وَمَكْرُوهًا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (4)

8- التسخير:

التسخير: التذليل، يقال: سخرته؛ أي: ذلته وقهرته، كتسخير الشمس والقمر للأدمنيين للانتفاع بها. (5)

كقوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ (6)

فالنار مسخرة ومطبعة لربها بأمره.

(1) [العنكبوت:20].

(2) انظر: ابن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن (ج20/21).

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج20/230).

(4) [النمل:50-51].

(5) انظر: ابن منظور، لسان العرب (ج4/353).

(6) [الأنبياء:69].

9- التهديد: ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (1)

في قوله: "فسوف يعلمون" السين الدالة على المستقبل الذي ينتظرهم من عذاب وويلات، وفي هذا تهديد لهم إن لم يتوبوا إلى الله عز وجل قبل فوات الأوان.

وقوله تعالى: ﴿فَذَرَهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ (2)

10- التحفيز والترغيب:

كقوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (3)

ففي الآية ترغيب في هذا الدين العظيم بما فيه من توازن واعتدال، حيث تدعو للعمل للأخرة دون الانغلاق وترك متع الدنيا، إنما التوسط في ذلك والتمتع بما يرضي الله عز وجل.

11- الامتنان:

منَّ عليه مناً؛ أي: أنعم عليه نعمة طيبة، يقال: من الله على عباده؛ أي: جاد عليهم من نعمه وفضله. (4)

قال تعالى: ﴿فَكُلِّي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا﴾ (5)

أي: إن الله امتن عليها بهذه النعم، فلتأكل من الرطب الشهية ولتشرب من الماء العذب ولتتعم وتطيب نفساً بهذا المولود.

"وفتح القاف في ﴿قَرِّي عَيْنًا﴾؛ لأنه مضارع قَرَرْتُ عينه من باب رضي، أدغم فنقلت حركة عين الكلمة إلى فائها في المضارع؛ لأن الفاء ساكنة". (6)

(1) [العنكبوت:66].

(2) [المؤمنون:54].

(3) [القصص:77].

(4) انظر: مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط (ج2/888).

(5) [مريم:26].

(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج16/89).

12- التعجب:

قال تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ (1)

حيث ذكر ابن فارس في كتابه الصحابي أن الأمر في هذه الآية خرج لغرض التعجب فهؤلاء الكفار يسمعون ويبصرون في الآخرة مالم يسمعونه ويبصرونه في الدنيا. (2)

13- الدوام:

ويقصد به الاستمرار دون انقطاع .

قال تعالى: ﴿وَلَا يَصُدُّنَكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنْزَلْتُ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (3)

قال ابن عاشور: "الأمر في قوله (وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ) مستعمل في الأمر بالدوام على الدعوة إلى الله لا إلى إيجاد الدعوة لأن ذلك حاصل؛ أي: لا يصرفك إعراض المشركين عن إعادة دعوتهم إنذاراً لهم." (4)

14- الرجاء:

قال ابن عاشور: "هو ترقب الخير مع تغليب ظن حصوله، فإن وعد الله وإن كان لا يخلف فضلاً منه وصدقاً، ولكن الخواتم مجهولة ومصادفة العمل لمراد الله قد تقوت لموانع لا يدرىها المكلف ولئلا يتكلوا في الاعتماد على العمل." (5)

ومنه قوله تعالى: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ (6)

فالرجاء في قوله: (فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ)

(1) [مريم: 38].

(2) انظر: ابن فارس، الصحابي في فقه اللغة (ص 139).

(3) [القصص: 87].

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج 20/196).

(5) المرجع السابق، ج 2/ 338.

(6) [طه: 47].

15- التمني:

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (1)

في هذه الآية يتجلى مشهد الاحتضار، وإعلان التوبة عند مواجهة الموت، وطلب وتمني الرجعة إلى الحياة؛ لتدارك ما فات، وكأنما المشهد معروض اللحظة للأنظار، مشهود كالعيان! لكن بلا جدوى، والنتيجة مسموعة على الأشهاد بالرفض (كلا). (2)

وضمير الجمع في قوله: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ تعظيم للمخاطب.

16- التكذيب :

قال تعالى: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (3)

أي: إن كنت صادقاً أنك نبي، فادع الله أن يسقط علينا كسفاً من السماء. وما كان طلبهم ذلك إلا لتصميمهم على الجحود والتكذيب، ولو كان فيهم أدنى ميل إلى التصديق لما أخطروه ببالهم فضلاً أن يطلبوه (4).

17- تحقيق الأمن والطمأنينة:

قال تعالى: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدَبِّرًا لَّمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾ (5)

هذه الآية تصور لنا الحالة النفسية التي كان عليها سيدنا موسى عليه السلام عندما ألقى عصاه بأمر ربه فوجدها تهتز كالجان. فما كان منه سوى الخوف والهرب، فجاء الأمر الإلهي "أقبل" بعد النداء؛ لطمأنته وبث السكينة في نفسه، ومما يؤكد ذلك قوله تعالى "لا تخف إنك من الآمنين"، وفيه زيادة بتحقيق أمنه بما دل عليه التأكيد ب "إن" وجعله بجملة الآمنين، فإنه أشد في تحقيق الأمن من أن يقال: إنك آمن. (6)

(1) [المؤمنون:99-100].

(2) انظر: قطب، في ظلال القرآن (ج4/2480).

(3) [الشعراء:187].

(4) [الزمخشري، الكشاف (ج3/333)].

(5) [القصص:31].

(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج20/113).

قال تعالى: ﴿قَالَ لَهُم مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾ (1)

عندما بدأت المباراة بين الحق والباطل؛ أي: بين رسول الله موسى عليه السلام وسحرة فرعون، كان موسى مطمئناً واثقاً بوعد ربه بأنه دائماً ينصر الحق ويكشف زيف الباطل، فبعد ما قالوا له: إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين، أمرهم أن يلقوا؛ لأنه يعلم أن عملهم صغير وحقير الشأن أمام معجزته التي وهبها الله له.

18- الخبر:

قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾ (2)

مد له الرحمن يعني: "أمهله وأملى له في العمر." (3)

قال البغوي: "هذا أمر بمعنى الخبر، معناه يدعه في طغيانه ويمهله في كفره." (4)

وقال ابن عطية: "كأنه يقول من كان ضالاً من الأمم فعادة الله فيه أنه يمد له ولا يعاجله حتى يفضي ذلك إلى عذابه في الآخرة، فاللام في قوله "فَلْيَمْدُدْ": لام أمر دخلت في معنى الخبر ليكون أوكد وأقوى." (5)

ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (6)

قال الزجاج: "ولنحمل" هو أمر في تأويل الشرط والجزاء؛ أي: إن تتبعوا سبيلنا نحمل خطاياكم، والمعنى إن كان فيه إثم فنحن نَحْتَمِلُهُ. (7)

وقال القرطبي: (وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ) جزم على الأمر، فلما كان الأمر يرجع في المعنى إلى الخبر وقع عليه التوكيد كما يوقع عليه الخبر. (8)

(1) [الشعراء:43].

(2) [مريم:75].

(3) [الزمخشري، الكشاف (ج3/37)].

(4) [البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن (ج3/250)].

(5) [انظر: الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (ج4/29)].

(6) [العنكبوت:12].

(7) [الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج4/161)].

(8) [انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج13/330-331)].

وتأكيداً لخروج الأمر لمعنى الخبر قوله تعالى: "إنهم لكاذبون"، فالتكذيب لا يكون للأساليب الإنشائية، بل للخبرية فقط؛ لأن الإنشاء مما لا يحتمل الصدق أو الكذب لذاته.

19- الالتماس:

وهو "الطلب من المساوي، كقولك بلا استعلاء لمن يساويك رتبة: اسقني ماء".⁽¹⁾ ومنه قوله تعالى على لسان هارون يخاطب أخاه موسى: «قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي»⁽²⁾

ثانياً: الاستفهام:

الاستفهام لغة: الفهم، وفهمت الشيء: عقلته وعرفته. وفهمت فلاناً وأفهمته، وتفهم الكلام: فهمه شيئاً بعد شيء. وأفهمه الأمر وفهمه إياه: جعله يفهمه، واستفهمه: سأله أن يفهمه، وقد استفهمني الشيء فأفهمته و فهمته تفهيماً.⁽³⁾

الاستفهام اصطلاحاً: طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل بأداة مخصوصة.⁽⁴⁾

الأغراض البلاغية التي يخرج إليها الاستفهام:

1- الإنكار:

قوله تعالى: «وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ إِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا»⁽⁵⁾

بدأت هذه الآية بالفعل المضارع "يقول"؛ "لاستحضار حالة هذا القول؛ للتعجب من صاحبه تعجب إنكار".⁽⁶⁾

والمراد بالإنسان معظم الناس المخاطبين أول نزول القرآن، أو أنه حصل إيجاز بالحذف، فالأصل ويقول الإنسان الكافر، فحذف الوصف؛ لأنه صار معلوماً.⁽⁷⁾ وقد جاء الاستفهام "إنكار لتحقيق وقوع البعث، ولذلك أتى بالجملة المسلطة عليها الإنكار مقترنة بلام

(1) السبكي، عروس الأفراح (ج1/466).

(2) [طه:94].

(3) انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة فهم (ج12/459).

(4) انظر: السكاكي، مفتاح العلوم (ص308).

(5) [مريم:66].

(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج16/144).

(7) انظر: المرجع السابق، ص144.

الابتداء الدالة على توكيد الجملة الواقعة هي فيها؛ أي: يقول لا يكون ما حَقَّقْتُمُوهُ من إحيائي في المستقبل".⁽¹⁾

"وقد دخلت لام الابتداء في قوله: "سوف أخرج" علي المضارع المستقبل بصريح وجود حرف الاستقبال"⁽²⁾، وأيد هذا رأي ابن مالك بأن لام الابتداء تدخل على المضارع المراد به الاستقبال ولا تخلصه للحال.⁽³⁾

وقوله تعالى: ﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾⁽⁴⁾

أي: ما آتينا قرية من القرى الذين بعث فيهم الرسل آية على يدي نبيها فأمنوا بها، بل كذبوا، فأهلكناهم بذلك، أفهؤلاء يؤمنون بالآيات لو رأوها دون أولئك؟ بالطبع لا يؤمنون، فجاء الاستهزام في قوله "أفهم يؤمنون" إنكاراً لكذب هؤلاء المشركين؛ لأن الآيات والبراهين حتى لو انساقت لهم لم يؤمنوا بها كما فعل من سبقهم.⁽⁵⁾

والقرية مجاز مرسل علاقته المحلية حيث أطلق المحل وأراد الحال؛ أي: أهلها، وذكرت ليبنى عليها الوصف بإهلاكها؛ لأن الإهلاك أصاب أهل القرى وقراهم، لذلك قيل أهلكتناها ولم يقال أهلكتناهم⁽⁶⁾، لأن أهلكتناهم المقصود بها أهل القرية دون القرية، أما أهلكتناها شملت القرية وأصحابها، وهذا قمة في الإبداع البلاغي وفصاحة اللغة.

قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾⁽⁷⁾

هذه الآية توبيخ وتقريع لمن أنكر البعث، فأنكر الله عليهم حسابانهم أنهم خلقوا كالبهائم للطعام والشراب واللهو واللعب دون محاسبة على ذلك، فالهمزة أدت هذا الغرض؛ لأن لازم إنكارهم البعث أن يكون خلق الناس مشتملاً على عبث فنزلوا منزلة من حسب ذلك فوبخوا أخذاً لهم بلازم اعتقادهم.⁽⁸⁾

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ص145).

(2) المرجع السابق، ج145/16.

(3) انظر: الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعراب (ج1/301).

(4) [الأنبياء:6].

(5) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج5/291).

(6) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج17/18).

(7) [المؤمنون:115].

(8) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج18/133).

وبدخول أداة الحصر (أَنَّمَا) أصبح الفعل "حسب" لا ينصب إلا مفعولاً به واحداً، وهو المصدر من (أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ) ، والتقدير: أَفَحَسِبْتُمْ خَلَقْنَا إِيَّاكُمْ لِأَجْلِ الْعَيْثِ. (1)

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾ (2)

في هذه الآية تظهر فصاحة المتكلم وبراعة التركيب النحوي، فسيدنا إبراهيم عليه السلام كان يعلم أن والده وقومه يعبدون الأصنام، وكان بمقدوره القول لهم: تعبدون أصناماً لا تنفع، أو الاستفهام بالهمزة للإنكار والتوبيخ أتعبدون أصناماً لا تنفع؟ إلا أنه استفهم عن ذلك بقوله "ما تعبدون"؛ لأنه أراد بالاستفهام افتتاح المجادلة معهم، فألقى عليهم هذا السؤال ليكونوا هم المبتدئين بشرح حقيقة عبادتهم ومعبوداتهم، فتلوح لهم من خلال شرح ذلك لوائح ما فيه من فساد؛ لأن الذي يتصدى لشرح الباطل يشعر بما فيه من بطلان عند نظم معانيه أكثر مما يشعر بذلك من يسمعه؛ ولأنه يعلم أن جوابهم ينشأ عنه ما يريده من الاحتجاج على فساد دينهم وقد أجابوا استفهامه بتعيين نوع معبوداتهم؛ لأن "ما" اسم استفهام يسأل به عن تعيين الجنس. (3)

ومنه قوله تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ (4)

وقوله تعالى: ﴿فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ﴾ (5)

و قوله تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ (6)

وقوله تعالى: ﴿أَجِئْنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ﴾ (7)

2- التعجب واطهار الدهشة:

قال تعالى: ﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾ (8)

(1) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ص134).

(2) [الشعراء:70].

(3) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج19/137).

(4) [الشعراء:165].

(5) [الشعراء:203].

(6) [النمل:54].

(7) [الأنبياء:55].

(8) [الفرقان:9].

بعد فشل محاولات المشركين في التشكيك بالقرآن الكريم، اتبعوا طريقة أخرى للقضاء على دين محمد، فلجؤوا للطعن في نبوته عليه الصلاة والسلام، فاتهموه بالسحر والشعر و العديد من الاتهامات الباطلة، فخطب الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بقوله: انظر لهؤلاء المشركين كيف ضربوا لك الأمثال الباطلة فجعلوك مسحوراً، فخرج الاستفهام للتعجب من حالهم وإصرارهم وكفرهم وعنادهم.

والتعبير بفعل النظر، دلالة على أن الأمر بلغ من الوضوح أن يكون منظوراً⁽¹⁾، فضلالتهم وكفرهم أبعدهم عن طريق الرشد والحق مع أنه واضح أمامهم، فتأهوا عنه واستحقوا العذاب.

والضرب بمعنى "الوصف والتبيين"⁽²⁾، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً﴾⁽³⁾ أي: وصف وبين، واللام في "لك" للتعليل، فالمعنى ضربوا الأمثال؛ لأجل تمثيلك ووصفك بالمسحور.

ومنه قوله تعالى: ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْأَمْهَادِ صَبِيًّا﴾⁽⁴⁾

وقوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ﴾⁽⁵⁾

3- الانتناس:

ويقصد به أن المتكلم يريد مؤانسة من يخاطبه فيطرح عليه أسئلة يجره بها إلى المحادثة، مع أن المتكلم عالم بجواب أسئلته.⁽⁶⁾

قال تعالى: ﴿وَمَا تَلَكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾⁽⁷⁾

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله: قال بعض المفسرين: إنما قال له ذلك على سبيل الانتناس له؛ لأنه قبل أن يرسله إلى فرعون وأن يخاطبه بما خاطبه به من أمر الرسالة سأله

(1) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج15/121).

(2) الرازي، مختار الصحاح (ص183).

(3) [النحل:112].

(4) [مريم:29].

(5) [طه:95].

(6) انظر: الميداني، البلاغة العربية (ج1/300).

(7) [طه:17].

عن أمور ليست هي المقصودة؛ ليزيل عنه الخوف والارتباك وقيل: إنما قال له ذلك على وجه التقرير؛ أي: أما هذه التي في يمينك عصاك التي تعرفها فسترى ما نصنع بها الآن من معجزات. (1)

وعلى الرغم من صحة القولين إلا أن معنى الائتناس هو الأقرب إلى الصواب؛ لأن موسى عليه السلام كان يقف بين يدي ربه في موقف رهيب، فأراد الله سبحانه وتعالى أن يسأله عما في يديه؛ ليؤنسه ويزيل رهبته وخوفه ويملئ قلبه أمناً وطمئينة وهو يعلم ما في يده. (2)

وقد خص سبحانه وتعالى ذكر اليمين دون الشمال؛ لأن العرب كانت تعتمد اليمين في أمورها، فلا تحمل العصا إلا بها، ولا تأكل إلا بها، ... الخ، فهي اليد المفضلة، ولو بحثنا عنها لديمهم لا نجد لها أصلاً سوى أنها ظاهرة أو عادة تعودوها، فلا مانع من استخدام الأخرى، إلا أنهم فضلوا اليمين عليها ما لم يكن هناك عذر يعيق استخدامها.

فالله سبحانه وتعالى خاطبهم بما تواضعوا عليه من حضارة في كثير من الآيات، ليكون الأمر أبلغ وأوضح عندهم، ولعل هذه الحكمة من ذكر اليمين دون الشمال والله تعالى أعلم.

4- التقرير:

"هو إلقاء المُخاطَب إلى الإقرار بأمر يعرفه". (3)

ومنه قوله تعالى: ﴿الْمُ تُرَبِّكُ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ (4)

فالمراد بالاستفهام تذكير موسى عليه السلام بنشأته وتربيته فيهم، وحمله على الإقرار بذلك أملاً من فرعون بأن يُقْلَع ويكف عما جاء به من قبل الله عز وجل، ولكن أنى له ذلك وموسى رسول رب العالمين!!

ومنه قوله تعالى: ﴿أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتِنَا يَا إِبْرَاهِيمَ﴾ (5)

طلب المشركون من إبراهيم عليه السلام أن يقر ويعترف بأنه هو الذي كسر الأصنام، ولم يطلبوا منه أن يقر بوجود تكسير؛ لأن التكسير حاصل وواقع. (1)

(1) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج5/246).

(2) انظر: علوان، من بلاغة القرآن (ص278).

(3) الرضي الإسترأبادي، شرح الكافية (ج4/83).

(4) [الشعراء:18].

(5) [الأنبياء:62].

وتتجلى هنا براعة التركيب النحوي، فالآية بدأت بالاستفهام بالهمزة ثم تلاها اسم، فكان السؤال والشك في الفاعل من هو؟ أي: من الذي قام بالفعل، دون السؤال عن الفعل نفسه، أما لو بدأت بالفعل كقولنا: أفعلت، لكان السؤال عن الفعل نفسه كان أم لم يكن، دون السؤال عن فاعله؛ لأن البداية بالاسم تختلف عن البداية بالفعل، وفي هذا كشف عن دقة اللغة العربية والعناية بمفرداتها وتراكيبها، فباختلاف بسيط يختلف المعنى اختلافاً كلياً، وهذا مما لا نجده في اللغات الأخرى.

5- التوبيخ والتقريع:

ومنه قوله تعالى: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ ۗ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ (2)

هذا خطاب للمشركين يحمل توبيخاً وتقريعاً لهم؛ أي: كيف تنكرون أن القرآن من عند الله مع أنكم بمقتضى فصاحتكم تدركون من بلاغته ما لا يدركه غيركم، ومع أنكم تعترفون بنزول التوراة على موسى وهارون؟! إن إنكاركم لكون القرآن من عند الله، لهو دليل واضح على جحودكم للحق بعد أن تبين لكم. (3)

وتقديم الجار والمجرور على المتعلق، دل على التخصيص؛ أي: أفأنتم للقرآن خاصة دون كتاب اليهود تنكرون؟ (4)

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ (5)

أي: ينادي الله سبحانه وتعالى المشركين يوم القيامة على الملأ، قائلاً لهم: أين الذين زعمتم وادعيتهم أنهم شركائي في الدنيا؟ وفي هذا توبيخ وتقريع لهم؛ لإظهار كذبهم وافتراءهم.

وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (6)

أي: لو سألت يا محمد هؤلاء المشركين، من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر لمصالح العباد، سيقولون لك: الله، فلم يكذبون ويعدلون عن الحقيقة؟

(1) انظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز (ص113).

(2) [الأنبياء:50].

(3) طنطاوي، التفسير الوسيط (ج9/219).

(4) المرجع السابق، ص219.

(5) [القصص:74].

(6) [العنكبوت:61].

وهذا توبيخ وتقريع لهم.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَوْ لَآ تَسْمَعُونَ﴾ (1)

وهناك بعض الأغراض البلاغية الأخرى، ومنها على سبيل الذكر لا الحصر:

6- التسوية:

حيث تكون في مقام يتوهم فيه المخاطب رجحان أحد الطرفين. (2)

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَّعْتُمْ أَمْ لَمْ تُكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾ (3)

أي: إن وعظتنا أو لم تعظنا فكله سواء بالنسبة لنا، ولم يؤثر فينا ولم يدفعنا للإيمان.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَدْرِي أَقْرَبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ (4)

7- الإغراء:

ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّا لَنَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْعَالِيِينَ

* قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقْرَبِينَ﴾ (5)

حيث اتبع فرعون أسلوب الإغراء مع سحرة القوم، حين أخبرهم بجعلهم من الفئة المقربة لديه وإعلاء منزلتهم عنده إن غلبوا موسى عليه السلام، وجاء جوابه مقترناً بـ "إن" و اللام المزحلقة الواقعة في خبرها للتأكيد.

(1) [القصص:71].

(2) انظر: الفزويني، الإيضاح في علوم البلاغة (ج/243).

(3) [الشعراء:136].

(4) [الأنبياء:109].

(5) [الشعراء:41-42].

8- التشويق والترغيب:

ومنه قوله تعالى: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ﴾ (1)

فقوله: "هل أدلكم" من أساليب التشويق في اللغة العربية وهي بمعنى: "هل أخبركم، ألا أنبئكم"، ولهذا الأسلوب قيمة عظيمة فهو يسترعي انتباه الناس، بحيث تكون حواسهم كلها مجتمعة لسماع ما يدلهم عليه المخبر.

9- الاستبعاد:

استبعد الشيء: نحاه وعده بعيداً غير ممكن. (2)

كقوله تعالى: ﴿مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (3)

حيث أخبر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية عن استبعاد الكفرة لقيام الساعة، مع أنها آتية لا محالة، فهم يستعجلون العذاب على غفلة من أمرهم حيث ينتظروهم العذاب العظيم. (4)

وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ (5)

قوله: (أنى) استفهام خرج لغرض الاستبعاد والدهشة من هذه العطية التي من الله بها على سيدنا زكريا عليه السلام، فبالرغم من كبر سنه ووهنه وعقر زوجته، شاء الله أن يرزقه بالغلام الذي تمناه؛ ليكون وريثاً من بعده في أداء الرسالة والدعوة إلى طريق الحق.

ففي هذه الآية ظهرت الحالة النفسية التي كان عليها سيدنا زكريا عليه السلام، وهي حالة طبيعية، فهو يواجه الواقع ويواجهه معه وعد ربه، ويريد أن يعرف كيف يكون تحقيق ذلك الوعد مع ذلك الواقع الذي يواجهه ليطمئن قلبه، فيأتي الجواب الإلهي بقوله: ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ (6) فكلمة "كذلك" توحى بأن الأمر مألوف حين يتعلق بالله عز وجل،

(1) [القصص:12].

(2) انظر: مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط (ج1/63).

(3) [الأنبياء:38].

(4) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج6/516).

(5) [مريم:8].

(6) [مريم:9].

وذكره بمثل قريب في نفسه: خلقته هو وإيجاده بعد أن لم يكن ﴿وَقَدْ خَلَقْتَكُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾⁽¹⁾، وهو مثل لكل حي، ولكل شيء في هذا الوجود.⁽²⁾

والأصل قال يا رب، ولكن حذف أداة النداء (يا)؛ للدلالة على قربيه من ربه واستشعاره بأنه معه في كل حين.

10- العرض:

هو طلب الشيء بلين.⁽³⁾

قال تعالى: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾⁽⁴⁾

الهمزة للاستفهام و"لا" نافية وهي: أداة عرض وتحضيض، "تحبون" فعل مضارع مرفوع و"أن" وما في حيزها مفعول تحبون و"اللهم" فاعل و"لكم" متعلقان ب"يغفر" و"اللهم" مبتدأ و"غفور" خبر أول و"رحيم" خبر ثان.⁽⁵⁾

وقوله تعالى: ﴿فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾⁽⁶⁾

11- التبكيت :

ويقصد به "الغلبة بالحجة والإلزام والإسكات".⁽⁷⁾

قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾⁽⁸⁾

الهُوَى: أن تكون هناك قضية ظاهر فيها وجه الحق، إلا أنك تميل عنه وأنت تعرفه، لا أنك تجهله، ولا أدل على ذلك من أن الرجل من الكفار كان يسير فيجد حجراً أجمل من حجره الذي يعبد، فيلقي الإله الذي يعبد له ليأخذ هذا الذي هو أجمل منه فيتحذه إلهاً.⁽⁹⁾

(1) [مريم:9].

(2) انظر: قطب، في ظلال القرآن (ج4/2303).

(3) انظر: الصافي، الجدول في إعراب القرآن (ج10/295).

(4) [النور:22].

(5) انظر: درويش، إعراب القرآن وبيانه (ج6/586)، وانظر: الصافي، الجدول في إعراب القرآن الكريم (ج18/245).

(6) [النمل:28].

(7) نكري، دستور العلماء (ج1/185).

(8) [الفرقان:43].

(9) انظر: شعراوي، خواطر حول القرآن الكريم (ج17/10451).

وقوله: (أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا)؛ أي أفأنت يا محمد تكون حفيظاً وكفيلاً للكافر حتى ترده إلى الإيمان وتخرجه من هذا الفساد؟، بالطبع لا؛ لأن الهداية والضلالة ليست موكولتين إلى مشيئتك، وإنما عليك التبليغ.⁽¹⁾

12- النفي:

قال تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾⁽²⁾

أي: "هل تعلم يا محمد لربك هذا الذي أمرناك بعبادته، والصبر على طاعته مثلاً في كرمه وجوده، فتعبده رجاء فضله وطوله دونه كلا ما ذلك بوجود".⁽³⁾

إذاً الاستفهام خرج لغرض النفي .

وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَكْلُؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾⁽⁴⁾

أي: من يحفظكم ويرعاكم في الليل والنهار بدل الله؟ الجواب نفي ذلك عن سواه .

وقوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ﴾⁽⁵⁾

13- الأمر:

قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَآهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِّنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾⁽⁶⁾

أي: "اختص الله داود عليه السلام بأن علمه صناعة الدروع يعملها حلقاً متشابكة، تسهل حركة الجسم؛ لتحمي المحاربين من وقع السلاح فيهم، فهل أنتم شاكرون نعمة الله عليكم حيث أجزاها على يد عبده داود؟".⁽⁷⁾

والمعنى اشكروا الله.

(1) انظر: القطر، الجامع لأحكام القرآن (ج36/13).

(2) [مريم:65].

(3) ابن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن (ج226/18).

(4) [الأنبياء:42].

(5) [الحج:15].

(6) [الأنبياء:80].

(7) نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر (ص328).

ومن المعلوم أن لـ (هل) مزيد من الاختصاص بالفعل، إلا أن القرآن الكريم عدل عن الصيغة الفعلية إلى الاسمية فقال: «فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ»، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى ما تقتضيه الاسمية من معنى الثبات والاستمرار، فالمعنى: فهل تقرر شكركم وثبت بعد ذلك. (1)

وقوله تعالى: «قُلْ إِنَّمَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» (2)

أي: اسلموا .

14- التهديد والوعيد:

ومنه قوله تعالى: «قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِمَّنْ ذُكِّرُمُ النَّارَ وَعَدَّهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ» (3)

قل يا محمد للمشركين إن كنتم غاضبين لما تُلِي عليكم من الآيات الواضحة، فازدادوا غضباً بهذا الذي أنبئكم به؛ أي: اتل عليهم الآيات الأشد كراهة لهم، المبينة والمنذرة لكفرهم و دخولهم النار. (4)

فالمقصود بالشر: النار، والشر: اسم تفضيل، أصله: أشر، وحذفت الهمزة تخفيفاً لكثرة الاستعمال؛ لأن الأصل فيها كما يقول أبو البركات الأنباري: "أخير منك وأشر منك، إلا أنهم حذفوا الهمزة منهما لكثرة الاستعمال، وأدغموا إحدى الرأين في الأخرى من قولهم "شر منك"؛ لئلا يجتمع حرفان متحركان من جنس واحد في كلمة واحدة؛ لأن ذلك مما يستثقل في كلامهم". (5)

وقوله تعالى: «فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ» (6)

(1) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج17/122).

(2) [الأنبياء:108].

(3) [الحج:72].

(4) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج17/336).

(5) الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف (ج2/401).

(6) [النمل:69].

15- التعظيم:

قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾⁽¹⁾

نزلت هذه الآية للدعوة إلى التسليم لله تعالى وترك التحديد؛ لأن الكفار سألوا وألحوا عن وقت القيامة التي يعدهم محمد صلى الله عليه وسلم، فأعلم عز وجل أنه لا يعلم وقت الساعة سواه فجاء بلفظ يعم الساعة وغيرها، وأخبر عن البشر أنهم لا يشعرون متى يُبْعَثُونَ.⁽²⁾

وباختصاص الله سبحانه وتعالى بعلم الغيب، دلالة على أن الكمال له وحده، وفي هذا تعظيم له، وانقاص لما سواه.

16- التشكيك:

قوله تعالى: ﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾⁽³⁾

قال القرطبي: ﴿سَنَنْظُرُ﴾ من النظر الذي هو التأمل والتصفح.⁽⁴⁾

أي: قال سليمان للهدد بعد أن استمع لحجته: سننظر في أقوالك لنرى إن كنت صادقاً أم كاذباً، وفي هذا دلالة على عدم تسرع سيدنا سليمان عليه السلام في أخذ الحكم وإصدار العقوبة، بل كان ينتظر الحجة؛ ليعرف مدى صدقها من كذبها، ثم يبني على ذلك حكمه.

فجاء الاستفهام للتشكيك في صحة ما أخبر به الهدد.

والسين في قوله تعالى: ﴿سَنَنْظُرُ﴾ سين الاستقبال المختصة بالدخول على الفعل المضارع واختارها القرآن دون (سوف) مع أنها تدخل على المضارع أيضاً؛ لأن تدل على المستقبل القريب، في حين سوف تكون في المواطن التي يتوقع فيها بعداً أو تأخيراً، فإن قلنا: سننظر، فالمعنى أننا قد ننظر بمجرد انتهاء الكلام أي بعد فترة بسيطة، أما لو قلنا: سوف ننظر، فننظر لمدى النظر لمدى مستقبلية أطول أي فيها تأخير.

فاستعمال القرآن الكريم لهذا الحرف دون غيره دلل على دقته العجيبة ومراعاته لسياق

الكلام.

(1) [النمل:65].

(2) انظر: الأندلسي، المحرر الوجيز (ج4/267).

(3) [النمل:27].

(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج17/189).

17- الاختبار:

ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآه مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ (1)

حين أحضر عرش بلقيس لسليمان أيقن بأن هذا اختبار له، فلم ينشغل بالفخر بسلطانه ولا بمقدرة رجاله، ولكنه انصرف إلى شكر الله تعالى على ما منحه من فضل وأعطاه من جند مسخرين بالعلم والقوة، فمزايا جميعهم وفضلهم راجع إلى تفضيله. (2)

وقد اضاف سيدنا سليمان الفضل إلى ربه في قوله: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي﴾؛ ليؤكد عدم انشغاله بسلطانه وقدرة رجاله ويرسخ منهجاً واضحاً أنه بشر مثلنا ما عنده هو من فضل الله عليه وكرمه.

و (من) في قوله: (من الكتاب) ابتدائية؛ أي عنده علم مكتسب من الكتب والحكمة.

وفي قوله: (فإن ربي غني كريم) إظهار في مقام الإضمار، فقد كان مقدرته القول: (فإنه غني كريم)، لكن بذكر الله سبحانه وتعالى أفاد مزيداً من الاعتراف بفضله وعطائه. (3)

18- التزيين:

قال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى﴾ (4)

أي: إن الشيطان أغوى سيدنا آدم عليه السلام بأن يأكل من الشجرة التي نهاه الله عنها؛ ليكون خالداً في الجنة، وكان إغواؤه بصوت خفي؛ لئلا تسمعه الملائكة فتحذر آدم من كيده، وبذلك كان استفهامه تزييناً ومباغته لسيدنا آدم عليه السلام.

(1) [النمل:40].

(2) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج19/270).

(3) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج19/271-272).

(4) [طه:120].

ثالثاً: النهي:

النهي لغة:

"خلاف الأمر. نهاه ينهاه نهياً فانتهى وتناهى: كف " (1)

النهي اصطلاحاً:

"طلب الكف عن الفعل أو الامتناع عنه على وجه الاستعلاء والإلزام". (2)

ومن أمثلة النهي الحقيقي:

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ (3)

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (4)

الأغراض البلاغية التي يخرج إليها النهي:

1- النصح والإرشاد:

قال تعالى: ﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ (5)

في هذه الآية يتجلى خلق نبينا إبراهيم عليه السلام مع أبيه، إذ ابتدأ النصيحة بقوله: يا أبت؛ أي: بالنداء استعطافاً ورحمةً بوالده لعل قلبه يلين ويستجيب لطريق الهداية والصواب، ثم نهاه عن عبادة الشيطان، والمراد بعبادة الشيطان: عبادة الأصنام، إلا أنه عبر عنها بلفظ الشيطان إفساحاً عن فسادها وضلالها، فإن نسبة الضلال والفساد إلى الشيطان مقررة في نفوس البشر، ولكن الذين يتبعونه لا يفتنون إلى حالهم ويتبعون وساوسه تحت ستار التمويه،

(1) ابن منظور، لسان العرب (ج15/343).

(2) عتيق، علم المعاني (ص83).

(3) [النور:21].

(4) [النور:22].

(5) [مريم:44].

ففي الكلام إيجاز؛ لأن معناه: لا تعبد الأصنام؛ لأن اتخاذها من تسويل الشيطان، فمن عبد الأصنام فقد عبد الشيطان وكفى بذلك ضلالاً معلوماً.⁽¹⁾

وجملة "إن الشيطان كان للرحمن عصياً" تعليل للنهي عن عبادته وعبادة آثار وسوسته بأنه شديد العصيان للرب الواسع الرحمة، وإظهار اسم الشيطان في مقام الإضمار، إذ لم يقل: إنه كان للرحمان عصياً؛ لزيادة التنفير منه، ففي ذكر صريح اسمه تنبيهاً إلى النفرة منه؛ ولتكون الجملة موعظة قائمة بنفسها، والتعبير عنه بالوصف "عصياً" الذي هو من صيغ المبالغة في العصيان مع زيادة فعل (كان)؛ للدلالة على أنه لا يفارق عصيان ربه وأنه متمكن منه، فلا جرم أنه لا يأمر إلا بما ينافي الرحمة؛ أي: بما يفضي إلى النعمة، ولذلك اختير وصف الرحمان من بين صفات الله تعالى؛ تنبيهاً على أن عبادة الأصنام توجب غضب الله فتفضي إلى الحرمان من رحمته، فمن كان هذا حاله فهو جدير بأن لا يتبع.⁽²⁾

وهذا الخلق في الدعوة ينبغي أن يكون نهج يتبعه كل مسلم؛ لنشر الرسالة المحمدية، فاستمالة القلوب أنجح طريقة للوصول إلى العقول.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ وَابْتَغَ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾⁽³⁾

تتحدث هذه الآيات عن قصة قارون وهو أحد الطغاة المفسدين من قوم موسى عليه السلام، إذ من الله عليه بالعديد من النعم، إلا أنه قابلها بالجحود والنكران والتكبر على العباد، و لم يستجب للناصحين له، فما كان جزاؤه إلا أن خسف الله به وبداره الأرض كما في قوله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾⁽⁴⁾؛ لأن الجزاء من جنس العمل.

والمتمأمل لهذه الآيات يلحظ أنها اشتملت على جملة من النصائح القيمة التي تمثل جماع ما في المنهج الإلهي القويم من قيم وخصائص تفرده بين سائر مناهج الحياة.⁽⁵⁾

(1) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج16/116).

(2) انظر: المرجع السابق، ج16/116.

(3) [القصص:76-77].

(4) [القصص:81].

(5) انظر: قطب، في ظلال القرآن (ج5/2711)، وانظر: القاسمي، محاسن التأويل (ج7/536).

فقوله: "لا تفرح"، نهي عن فرح البطر الذي ينسي المنعم بالمال وينسي نعمته، وما يجب لها من الحمد والشكران، فالله سبحانه وتعالى لا يحب المتطاولين والمتكبرين على الناس؛ لأن الفرح بالمال ناتج عن حب الدنيا والرضا بها، وقد حُذِفَ المتعلق بالفعل "لا تفرح" أي: لا تفرح بملذات الدنيا معرضاً عن الدين والعمل للأخرة؛ وذلك لدلالة السياق عليه، في قوله: "إن الله لا يحب الفرحين"؛ أي: المفرطين في الفرح، والفرح على وزن "فعل" وهو صيغة مبالغة دالة على تعليل النهي، فالجملة علة لما قبلها، وفي قوله: "وابتغ فيما آتاك الله..... ولا تنس نصيبك من الدنيا" يتبين اعتدال المنهج الإلهي القويم، المنهج الذي يعلق قلب واجد المال بالأخرة، ولا يجرمه أن يأخذ بقسط من المتاع في هذه الحياة، بل يحضه على هذا ويكلفه إياه تكليفاً، كي لا يتزهّد الزهد الذي يهمل الحياة ويضعفها، ثم يأمره بأن يحسن في تصرفه بهذا المال، وأن يداوم على شكره ولا يتجبر على العباد، فهذا المال ما هو إلا نعمة من الله بها عليه، فليقابلها بكل خير، وأخيراً يأمره بترك ما كان عليه من طغيان وفساد؛ ويعلل ذلك بأنه سبحانه وتعالى لا يحب الظلم والطغيان في الأرض. (1)

وإذا نظرنا إلى التركيب النحوي للآية نجدها قد بدأت بـ "إن" المؤكدة للخبر الذي جاء بعدها، وفي هذا لطيفة رائعة حيث أن البدء بالتوكيد عمل على لفت انتباه المتلقي للخبر وأشعره بأهميته.

وفي العدول عن القول: كان من بني إسرائيل إلى "كان من قوم موسى"؛ إيماءً إلى أن لقارون اتصالاً خاصاً بموسى فهو اتصال القرابة. (2)

كما وفيها كناية عن إرادة التنظير بما عرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم من بغي بعض قرابته من المشركين عليه، وفي هذا تأكيد على تحمل الرسل شتى صنوف الأذى حتى من أقاربهم. (3)

والفاء في قوله: "فبغى عليهم" أفادت الترتيب والتعقيب؛ أي: ما إن أنعم الله عليه إلا وتبطر سريعاً على النعمة وبغى على ذوي قرابته. (4)

(1) انظر: قطب، في ظلال القرآن (ص2711). وانظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج178/20).

(2) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج176/20).

(3) انظر: المرجع السابق، ج176/20.

(4) انظر: المرجع نفسه، ج176/20.

وجيء بلفظة "مفاته" بصيغة الجمع؛ للكناية عن كثرة الخزائن ووفرة الأموال التي كان يمتلكها، واللام في قوله "لتنوء بالعصبة" اللام المزلقة الواقعة في خبر إن للتوكيد، والباء في "بالعصبة" للملابسة، فهذه الكنوز من شدة ثقلها تنقل مع أن حملتها عصبة من الرجال الأقوياء.⁽¹⁾

فالنهي في قوله: (لا تفرح - لا تنسى - لا تبغي) خرج لغرض النصح والإرشاد.

2- الرجاء:

ومنه قوله تعالى: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ﴾⁽²⁾

تصور لنا هذه الآية حرص موسى وأخاه هارون عليهما السلام في إنقاذ بني إسرائيل من بطش فرعون، فبعد أن طمأنهم سبحانه وتعالى بالنصر وأكد تأييده لهم في قوله: (قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ)⁽³⁾، انطلقا لفرعون فقالا له: "إنا رسولا ربك؛ ليعلم بأن هناك إلهاً ليس مختصاً بهما، بل هو إله لفرعون وللجميع، ثم طلبا منه برجاء فاق كل رجاء أن يُطلق معهم بني إسرائيل وأن لا يعذبهم، فالأمر خرج للرجاء وكذا النهي، وأخيراً استدلا على صدق رسالتهما بمجيبهم بأمر ربهم⁽⁴⁾، واستمالوه لعله يتوب بقولهم: (وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ).⁽⁵⁾

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قَرَّتْ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾⁽⁶⁾

تكشف لنا هذه الآية مشهداً عظيماً من مشاهد قدرة الله سبحانه وتعالى، تلك القدرة التي فاقت كل من تحداها، فهذه الآية تبين لنا كيف حمى الله نبيه موسى من بطش فرعون، فبعد أن ألقته أمه في اليم بأمر ربها وذلك خوفاً من فرعون عليه، ها هو يتربى في أحضان فرعون وزوجته ليكون هماً وحرزاً كبيراً عليه.

والسؤال الذي قد يُطرح، كيف حمته تلك القدرة؟

(1) انظر: المرجع نفسه، ج20/177.

(2) [طه:47].

(3) [طه:46].

(4) انظر: قطب، في ظلال القرآن (ج4/2337).

(5) [طه:47].

(6) [القصص:9].

لقد حمته بإلقاء حبه في قلب زوجته، لا بالسلاح ولا بالجاء ولا بالمال، وتحدث به قسوة فرعون وغلظته وحرصه وحذره، وهان فرعون على الله أن يحمي منه الطفل الضعيف⁽¹⁾، فقالت زوجته متوسلة مترجية فرعون: لا تقتله فقد يكون منبع سرور لنا، أو يخدمنا، أو يكون لنا ولداً.

فخرج النهي إلى غرض الرجاء، كما فهم من السياق والتراكيب.

3- الدعاء:

ومنه قوله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾⁽²⁾

فالنهي في قوله: لا تذرني؛ أي: لا تتركني منفرداً، خرج لغرض الدعاء.

وقوله تعالى: ﴿وَاعْفُرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ * وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾⁽³⁾

حيث دعا إبراهيم عليه السلام لأبيه أن يغفر الله له ولا يفضحه به يوم القيامة.

فالأمر (اعفّر) والنهي (لا تخزني) خرجا للدعاء.

ومنه دعاء سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام: (رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) ⁽⁴⁾

4- الإلهاب والتهيج:

قال تعالى: ﴿الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ * وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ

آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾⁽⁵⁾

هذا الخطاب موجه للنبي محمد صلى الله عليه وسلم: أي ما كنت تظن يا محمد قبل

إنزال الوحي إليك أن الوحي ينزل عليك ولكن أنزل الوحي عليك من الله من رحمته بك وبالعباد

بسببك، فإذا منحك بهذه النعمة العظيمة فلا تكن معيناً للكافرين ولكن فارقههم وناذبهم وخالفهم

ولا تتأثر لمخالفتهم لك وصددهم الناس عن طريقك، فإن الله معك كلمتك ومؤيد دينك ومظهر ما

أرسلك به على سائر الأديان؛ ولهذا ادع إلى عبادة ربك وحده لا شريك له ولا تكن من

المشركين.⁽⁶⁾

(1) انظر: قطب، في ظلال القرآن (ج5/2679).

(2) [الأنبياء:89].

(3) [الشعراء:86-88].

(4) [المؤمنون:94].

(5) [القصص:86-87].

(6) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج6/235).

"النهي للتهييج لإثارة غضب النبي صلى الله عليه وسلم عليهم وتقوية داعي شدته معهم، ووجه تأويل النهي بصرفه عن ظاهره أو عن بعض ظاهره هو أن المنهي عنه لا يفرض وقوعه من الرسول صلى الله عليه وسلم حتى ينهى عنه فكان ذلك قرينة على أنه مؤول".⁽¹⁾

وقوله تعالى: ﴿فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾⁽²⁾

أي: فلا يردنك يا موسى عن التأهب للساعة، من لا يؤمن ويقرّ بقيام الساعة، ولا يصدّق بالبعث بعد الممات، ولا يرجو ثواباً، ولا يخاف عقاباً، فتهلك إن أنت انصدت عن التأهب للساعة، وعن الإيمان بها، وبأن الله باعث الخلق لقيامها من قبورهم بعد فنائهم بصدّ من كفر بها واتبع أهواءه ورغباته.⁽³⁾

وقال أبو السعود: "هذا نهى بطريق الإلهاب والتهييج"⁽⁴⁾

ومن المعلوم أن الأنبياء معصومون عن الأخطاء، فمن المستحيل أن يتبع هواهم أو يصدوه عن دعوته ويدخلوه في كفرهم، ولكن قال له ذلك؛ ليستثير غضبه ويشد من أزره ويدفعه للحق بقوة.

5- التهديد والوعيد:

ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُم مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افترى﴾⁽⁵⁾

يقول موسى عليه السلام للسحرة: لا تكذبوا على الله فيكون جزاءكم الهلاك وقد ندم من سبقكم بذلك، فخرج النهي لتهديدهم ووعيدهم.

وقوله تعالى: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ * إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ﴾⁽⁶⁾

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج9/20).

(2) [طه:16].

(3) انظر: ابن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن (ج15/291).

(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (ج9/6).

(5) [طه:61].

(6) [النمل:29-31].

لما أرسل سليمان رسالة لملكة سبأ يدعوها للإسلام ويهددها بألا تتكبر بسطانها، قالت لقومها: "يا أيها الملأ..."، فخرج النهي في قوله: "ألا تعتلوا" للتهديد والوعيد.

6- تحقيق الأمن والطمأنينة والتسليّة:

ومنه قوله تعالى: ﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾⁽¹⁾

أي: إن الغلام ناداها عند وضعه قبل أن ترفعه مبادرة للتسليّة والبشارة وتصويراً لتلك الحالة التي هي حالة تمام اتصال الصبي بأمه، ونهاها عن الحزن؛ لأن حالتها حالة جدية بالمسرة دون الحزن لما فيها من الكرامة الإلهية.⁽²⁾

فجاء النهي هنا للتسليّة وبث الطمأنينة في نفسها.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾⁽³⁾

هذا خطاب موجه لموسى وهارون عندما أمرا بالذهاب لفرعون لنصحه، فخافا منه فجاء النهي عن ذلك، بأن الله معهما مؤيداً لهما، وهذا كاف لطمأنتهما.

وقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا

تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾⁽⁴⁾

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا

مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾⁽⁵⁾

فالأمر والنهي على الترتيب "أقبل، لا تخف" لتحقيق الأمن والطمأنينة.

(1) [مريم:24].

(2) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج8/16).

(3) [طه:46].

(4) [القصص:7].

(5) [القصص:31].

رابعاً: التمني:

التمني لغة:

"(تمنى) الشيء قدره وأحب أن يصير إليه والحديث اخترعه وافتعله، والأمنية البغية وجمعها أمانى".⁽¹⁾

التمني اصطلاحاً:

هو طلب أمر محبوب لا يرجى حصوله إما لكونه مستحيلاً، وإما لكونه ممكناً غير مطموع في نيله.⁽²⁾

ومنه قوله تعالى: ﴿يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّسِيًّا﴾⁽³⁾

عندما جاء الوقت لتضع مريم عليها السلام مولودها تمنى الموت، ليس لتسخطها القدر، ولكن لخوفها من فتنة الناس بها، حيث تخشى أن لا يصدقوها، وقد تمنى الموت قبل الحمل والوضع، ولم تتمن أن تكون ماتت بعد ذلك؛ لأن الموت حينئذ لا يدفع الطعن في عرضها بعد موتها ولا المعرفة على أهلها إذ يشاهد أهلها بطنها بحملها وهي ميتة فتطرقتها القالة، وهذا دليل على مقام صبرها وصدقها في تلقي البلوى التي ابتلاها الله تعالى.⁽⁴⁾

وقوله تعالى: ﴿يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾⁽⁵⁾

كناية عن الندم الشديد الذي يقع فيه المشركون يوم القيامة، حيث لا مفر من العذاب.

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾⁽⁶⁾

فالتمني هنا أمر محبوب لكنه مستحيل الحصول.

وقد عبر بالفعل المضارع (يعض-يقول)؛ للدلالة على استمرارية الندم والحسرة.

وقوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا

مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَأُدُو حَظًّا عَظِيمًا﴾⁽¹⁾

(1) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، باب الميم (ج2/889).

(2) علوان، من بلاغة القرآن (ص57) وانظر: العلوي، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم العربية (ج3/160).

(3) [مريم:23].

(4) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج16/84).

(5) [الفرقان:28].

(6) [الفرقان:27].

يقول تعالى مخبراً عن قارون أنه خرج على قومه وهو في أبهى حله، وبزينة عظيمة وتجل باهر من مراكب وملابس عليه وعلى خدمه، فلما رآه من يريد الحياة الدنيا وزخرفتها، تمنوا أن يكون لهم مثل ما عنده من حظ وافر في الدنيا.

فهذه أمنية محببة للنفس، ولكن غير مطموح في نيلها كون تحقيقها صعباً.

وقد يكون التمني بـ "لعل"، ومنه قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ (2)

وقد يكون أيضاً بـ "لو"، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (3)

تكشف لنا هذه الآية مشهداً من مشاهد يوم القيامة، حيث يتمنى المشركون العودة للدنيا؛ لعمل الصالحات والإيمان بالله سبحانه وتعالى، وليس هذا إلا دليل على ندمهم، وعلى عظم ما يرون من أهوال، وقد استعمل "لو" للتمني بدلاً من ليت؛ وذلك لإظهار الممتنع في صورة الممكن علماً بأن "لو" في أصل استعمالها حرف امتناع الامتناع، فامتنع كونهم مؤمنين لامتناع العودة للدنيا. (4)

كما في قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ (5)

أي: امتنع الفساد لامتناع تعدد الآلهة.

ملاحظة/ خرجت "لو" لإفادة التمني لغة لا اصطلاحاً.

(1) [القصص:79].

(2) [المؤمنون:99-100].

(3) [الشعراء:102].

(4) انظر: علوان، من بلاغة القرآن (ص59).

(5) [الأنبياء:22].

خامساً: النداء:

النداء لغة:

"الدعاء برفع الصوت، يقولون: أناديك ولا أناجيك".⁽¹⁾

النداء اصطلاحاً:

"طلب إقبال المخاطب بـ "يا" أو إحدى أخواتها، وعرف أيضاً بأنه طلب الإقبال بحرف نائب مناب أدعو، ملفوظ به أو مقدر"⁽²⁾.

ومن أمثله:

قوله تعالى: ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾⁽³⁾

نادى الله سبحانه وتعالى نبيه زكريا عليه السلام زافاً إليه بشري عظمة، أنه سيهبه مولوداً وليسمه يحيى، وهذا المولود له من الفضائل ما لم تكن لنبي قبله، فأوتي النبوة منذ صباه ولم يُسمى أحد باسمه من قبل؛ تشريفاً وتعظيماً لمقامه.

ومنه قوله تعالى: ﴿يَا أُخْتُ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا﴾⁽⁴⁾

قوله تعالى: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتِنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾⁽⁵⁾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾⁽⁶⁾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾⁽⁷⁾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾⁽⁸⁾

(1) الصاحب بن عباد، المحيط في اللغة (ج2/361).

(2) عوض الله، اللمع البهية في قواعد اللغة العربية (ص351) وانظر: علوان، من بلاغة القرآن (ص69).

(3) [مريم:7].

(4) [مريم:28].

(5) [مريم:12].

(6) [الحج:1].

(7) [الحج:77].

(8) [المؤمنون:51].

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (1)

قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (2)

(1) [النور:27].

(2) [النمل:46].

الإِنشاء غير الطلبي :

وهو "ما لا يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب". (1)

وله أساليب صياغة كثيرة ومنها:

أولاً: المدح:

لغة:

جاء في لسان العرب: "المدح: نقيض الهجاء وهو حسن الثناء؛ يقال: مدحته مدحة واحدة ومدحه يمدحه مدحا ومدحة، هذا قول بعضهم، والصحيح أن المدح المصدر، والمدحة الاسم، والجمع مدح، وهو المديح والجمع المدائح والأماديح". (2)

اصطلاحاً:

تعداد لجميل المزايا، ووصف للشمائل الكريمة والمكانة العالية التي حظي بها مستحقوها. (3)

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾. (4)

في هذه الآية المباركة يقسم الله سبحانه وتعالى بأن الذين آمنوا وعملوا الصالحات، سيسكنهم منازل عالية في الجنة، تجري من تحتها الأنهار؛ جزاء صبرهم وتمسكهم بدينهم، وهو بهذا تبارك اسمه لا يحتاج لقسم، إلا أنه عبر عن ذلك باللام الموطئة للقسم مع الفعل المضارع الدال على الاستمرارية؛ ليبث الطمأنينة في نفوس المؤمنين مما يعمل على تحفيزهم وتهييجهم على مواصلة الدرب.

وقد عبر عنهم بالاسم "خالدين"؛ للدلالة على تمكن صفة الخلود منهم، فهي ملازمة لهم غير مفارقة.

ثم إن الأجر نفسه أمر ممدوح، فلم عبرت الآية بمدح الممدوح؟!!

(1) علوان، من بلاغة القرآن (ص27).

(2) ابن منظور، لسان العرب (ج2/589).

(3) انظر: عبد المنعم، المعجم الأدبي (ص245).

(4) [العنكبوت:58].

عبرت بذلك؛ تعظيماً لفضل الله وتكرمه على عباده مرات عديدة ومضاعفة الأجر، فهو ليس بحاجة إلى أعمالنا، إلا أنه يقابل الصالح منها بأجر كبير، جنة فيها ما لا رأتها عين ولا سمعته أذن ولا خطر ببال إنس ولا جان⁽¹⁾. فسبحان من غمرنا بفيض كرمه رغم ما بدر منا من تقصير.

ثانياً: الذم:

هو أسلوب يستخدم عند استحقاق أمر الاستهجان والذم.

كقوله تعالى: ﴿يَدْعُو لِمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لِبِئْسَ الْمَوْلَىٰ وَلِبِئْسَ الْعَشِيرُ﴾⁽²⁾

فهؤلاء الكفار يدعون آلهتهم التي تضرهم في الآخرة ولا تنفعهم، ويلجؤون إليها، فبئس النصير وبئس صاحب.

وقدد تكرر فعل الذم مرتين لغرض التحقير والزيادة في الذم وتقويته.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ نَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا فُلْ أَفَأَنْبِتُكُمْ بِشَرِّ مَنْ نَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَّهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾⁽³⁾

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلِبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾⁽⁴⁾

ثالثاً : الرجاء :

هو "تعلق القلب بمحصول محبوب في المستقبل".⁽⁵⁾

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾⁽⁶⁾

فقوله: "عسى ربي أن يهديني سواء السبيل"؛ أي: راجياً ربه أن يبين له قصد السبيل إلى مدين؛ لأنه لم يكن يعرف الطريق إليها.⁽⁷⁾

(1) انظر: أبو سمعان، التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية في الخمس أجزاء الأول (ص 81-82).

(2) [الحج:13].

(3) [الحج:72].

(4) [النور:57].

(5) الجرجاني، التعريفات (ص109).

(6) [القصص:22].

(7) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج19/549).

قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (1)

رابعاً: القسم:

"ربط النفس - بالامتناع عن شيء أو الإقدام عليه - بمعنى معظم عند الحالف حقيقة أو اعتقاداً. وسمي الحلف يمينا؛ لأن العرب كان أحدهم يأخذ بيمين صاحبه عند التحالف." (2)

قوله تعالى: ﴿قَالَ لئن اتَّخَذتِ إلهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ (3)

اللام في قوله: لئن اتخذت إلهاً موطئة للقسم، والمعنى: إن فرعون أكد وعيده بما يساوي اليمين المجملة التي تؤذن بها اللام الموطئة في اللغة العربية كأن يكون فرعون قال: عليّ يمين، أو بالأيمان، أو أقسم. وقد عبر بالفعل المضارع " اتخذت "؛ للدلالة على الاستمرارية؛ أي: إن أصررت على أن لك إلهاً غيري أرسلك لأسجناك. (4)

فقد اتخذ القسم لتهديد موسى وترويعه من السجن.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (5)

تبين لنا هذه الآية قاعدة شرعية مفادها أن الجزاء من جنس العمل، فالله سبحانه و تعالى بالرغم من غناه عن الخلائق جميعهم من إحسانه وبره بهم، يجازي الذين آمنوا وعملوا الصالحات أحسن الجزاء، وهو أنه يكفر عنهم أسوأ الذي عملوا، ويجزيهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون، فيقبل القليل من الحسنات، ويثيب عليها الواحدة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، ويجزي على السيئة بمثلها أو يعفو ويصفح. (6)

قوله تعالى: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾ (7)

(1) [القصص:9].

(2) البغا ومستو، الواضح في علوم القرآن (ص207).

(3) [الشعراء:29].

(4) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج19/121).

(5) [العنكبوت:7].

(6) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج6/238).

(7) [الأنبياء:57].

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدِمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾⁽¹⁾

خامساً: التعجب:

له صيغتان: ما أفعل - أفعل ب، ومنه قوله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكَنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾⁽²⁾

فقوله: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ للتعجب، ومعنى الآية "أن الكفار يوم القيامة يسمعون ويبصرون الحقائق التي أخبرتهم بها الرسل سمعاً وإبصاراً عجيبين، وأنهم في دار الدنيا في ضلال وغفلة لا يسمعون الحق ولا يبصرونه"⁽³⁾

وفي الآية مجاز مرسل علاقته الحالية، حيث أطلق الحال (الضلال) وأراد المحل (جهنم).

كما واختار القرآن الكريم التعبير عن الإتيان بالفعل المضارع (يأتوننا)؛ للدلالة على استمرارية إتيانهم إلى المصير المحتوم، وهذا دليل على حقيقة البعث التي أنكروها، في حين عبر عن ظلمهم بالاسم (الظالمون)؛ للدلالة على ملازمة الوصف لهم.

(1) [الحج:40].

(2) [مريم:38].

(3) الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (ج3/421).

المبحث الثالث:

التركيب النحوية للتقديم والتأخير ودلالاتها البلاغية

التقديم لغة:

يقول ابن منظور: " القدمة والقدم: السابقة في الأمر، والقدم التقدم وقدام؛ أي: تقدم، وقدام فلان قومه: أي: يكون أمامهم،⁽¹⁾ والتأخير ضد التقديم ومؤخر كل شيء خلاف مقدمه⁽²⁾.

التقديم اصطلاحاً:

وعليه فالتقديم اصطلاحاً: وضع الشيء أمام غيره، والتأخير نقيض ذلك.

وموضوع التقديم والتأخير موجود في لغة العرب منذ القدم، ليس أدل على ذلك من قول ابن تيمية: التقديم والتأخير من خصائص لغة العرب، ولا ينكره إلا من لم يعرف اللغة.⁽³⁾

ومع ذلك فالأصل إقرار الكلام على نظمه وترتيبه لا تغيير ترتيبه؛ لأن الألفاظ في اللغة قوالب للمعاني، إلا أنه قد يعرض لبعض الكلم من المزايا ما يدعو لتقديمه وإن كان حقه التأخير فيكون من الحسن التقديم؛ ليكون المقدم مشيراً إلى الغرض الذي يُراد.⁽⁴⁾

وبناءً على ذلك فإن التقديم والتأخير له منافع كثيرة، فهو لا يأتي عبثاً في الكلام، بل له حكمة بالغة وقدرة فائقة في التأثير على النفوس، وهذا ما دفع الجرجاني للقول عنه: "هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بدیعة، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعراً يروك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنتظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك، أن قدم فيه شيء، وحول اللفظ عن مكان إلى مكان."⁽⁵⁾

(1) انظر: ابن منظور، لسان العرب (ج12/465).

(2) السابق، (ج4/12).

(3) انظر: ابن تيمية، الفتاوى الكبرى (ج4/330).

(4) انظر: المراعي، علوم البلاغة (ص100).

(5) الجرجاني، دلائل الإعجاز (ج1/106).

الأغراض البلاغية للتقديم والتأخير

أولاً: العناية والاهتمام:

قال تعالى: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنْتَه لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾⁽¹⁾

يقول تعالى مخبراً عن جواب أبي إبراهيم لولده إبراهيم فيما دعاه إليه أنه قال: إن كنت لا ترغب عبادتها ولا ترضاها، فانته عن سبها وشتمها وعبئها، فإنك إن لم تنته عن ذلك اقتصت منك وشتمتك وسببتك.⁽²⁾

فقد أنكر على إبراهيم عليه السلام هذا الفعل وهو الرغبة عن آلهتهم؛ "لأن آلهتهم بمقام لا ينبغي أن يرغب عنها فجاء مقدماً الخبر؛ لأنه محط الإنكار والاهتمام".⁽³⁾

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾⁽⁴⁾

فقدم الاستئناس على السلام والأصل تقديم السلام على الاستئذان والاستئناس فما سبب هذا التقديم؟

يجيب على ذلك الدكتور فاضل سامرائي فيقول: "الجواب من أوجه:

1- "الواو لا تعيد ترتيباً ولا تعقيباً ولذا لا يكون تقديم الاستئناس في الآية مفيداً لتقديمه على السلام .

2- الاستئناس أهم من السلام فإن السلام إنما يكون لغرض الاستئناس فقدم ما هو أهم.

3- فهو من باب تقديم الغرض على الوسيلة.

4- الاستئناس واجب والسلام سنة، والواجب مقدم على السنة.

5- معنى الاستئناس في الأصل من الأئس وهو نقيض الاستيحاش وهو يعني فيما يعنيه اختيار الوقت المناسب وإن أهل البيت غير مشغولين بأمر مهم يصرفهم عن الرغبة في اللقاء. فإن أهل البيت إذا كانوا مشغولين بأمر مهم من اللقاء أو إن الوقت غير مناسب

(1) [مريم:46].

(2) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج5/208).

(3) علوان، من بلاغة القرآن (ص90).

(4) [النور:27].

للزيارة فستكون وحشة في اللقاء والاجتماع ولا يكون أنس بالزائر؛ ولذا يكون الاستئناس مقدماً على السلام أصلاً .

6- قسماً من السلام إنما يكون بعد الدخول .

7- القرآن استعمل كلاً من الاستئذان والاستئناس وقد استعمل الاستئذان لمن كان حاضراً مع المستأذن ولم يرد في غير ذلك".⁽¹⁾

وقوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾⁽²⁾

حيث قدم غض البصر على حفظ الفروج؛ لأن غض البصر هو الطريقة السليمة لحفظ الفروج، وعدم غضه هو السبب في إثارة الفتن والشهوات، حيث يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (لكل بني آدم حظ من الزنا فالعينان تزنيان وزناهما النظر واليدين تزنيان وزناهما البطش والرجلان يزنيان وزناهما المشي والفم يزني وزناه القبل والقلب يهوي ويتمنى والفرج يصدق ذلك أو يكذبه)⁽³⁾

ولهذا قدّم الغض من البصر على حفظ الفروج، يقول الزمخشري : "فإن قلت: لم قدّم غض الأبصار على حفظ الفروج؟ قلت: لأنّ النظر بريد الزنى ورائد الفجور، والبلوى فيه أشدّ وأكثر، ولا يكاد يقدر على الاحتراس منه"⁽⁴⁾

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾⁽⁵⁾

جاء التقديم هنا للعناية والاهتمام؛ كون المتقدم هو الغرض المقصود الذي سيق الكلام من أجله، فاسم الإشارة (هذا) أريد به البعث وسيق الكلام لأجله فقدم نظراً لأهمية البعث.⁽⁶⁾

(1) سامرائي، من أسرار البيان القرآني (ص ص122-123).

(2) [النور:30].

(3) [الشيبياني: مسند الإمام أحمد بن حنبل، صحيفة همام بن منبه، ج8/288: رقم الحديث 8338]

(4) [الزمخشري، الكشاف (ج3/230)].

(5) [النمل:68].

(6) [انظر: علوان، من بلاغة القرآن (ص83)].

أما في قوله تعالى من سورة المؤمنون: (لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) (1) فقد أخرج اسم الإشارة (هذا) وقدم (نحن و آباؤنا)؛ "لأن المبعوثين هم القصد من الحديث وليس البعث، فدل ذلك على أهميتهم". (2)

ثانياً: تقديم الكثير على ما دونه:

ومنه قوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشَهَّدَ عَلَيْهِنَّ طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (3)

أي: "من زنت من النساء أو زنى من الرجال وهو حرّ بكر غير محصن بزوج، فاجلدوه ضرباً مائة جلدة؛ عقوبة لما صنع وأتى من معصية الله، ولا تأخذكم بهما أيها المؤمنون رافة من إقامة الحد عليهما على ما ألزمكم به". (4)

والأمر بأن يشهد ذلك الموقف طائفة من المؤمنين؛ لأخذ العظة والعبرة وبالتالي المحافظة على سلامة المجتمع من مثل هذه الجرائم. "وصيغتا الزانية والزاني صيغة اسم فاعل وهو هنا مستعمل في أصل معناه وهو اتصاف صاحبه بمعنى مادته فلذلك يعتبر بمنزلة الفعل المضارع في الدلالة على الاتصاف بالحدث في زمن الحال، فكأنه قيل: التي تزني والذي يزني". (5)

وقدم الزانية على الزاني؛ لأن مقدمات الزنا كلها موجودة في المرأة، والزنى بسببهن أكبر، وفي هذا لفت للأنظار لحماية المجتمع من الفساد عن طريق صيانة المرأة وسترها، فلو فسدت وفجرت كانت سبباً عظيماً في انتشار الفواحش ودمار المجتمعات.

(1) [المؤمنون:83].

(2) حسين، فن البلاغة (ص107).

(3) [النور:2].

(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج19/90).

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج18/145).

أما فيما يتعلق بتقديمه للزاني في الآية التالية من نفس السورة، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾⁽¹⁾

فذلك؛ "لأنها مسوقة لذكر النكاح والرجل أصل فيه، لأنه هو الراغب والخاطب، ومنه يبدأ الطلب"⁽²⁾ فجاء التقديم هنا لغرض التخصيص.

ثالثاً: التخصيص:

ومنه قوله تعالى: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾⁽³⁾

جاءت هذه الآية في سياق الحديث عن قصة موسى عليه السلام، لما دعا قومه لعبادة الله وحده، فترك بعض كفار قومه تلك الحقيقة العظمى، واهتموا بأمر واحد وهو شخص نوح عليه السلام، ظانين أنه يريد أن يتفضل عليهم، وأن يجعل لنفسه منزلة فوق منزلتهم، فكيف يكون رسولاً وهو بشر من جنسهم؟!⁽⁴⁾

وفي الآية تقديم وتأخير، إذ قدم (الذين كفروا) على (من قومه)؛ وذلك لأنها وصف للملأ وليس للقوم، فإن القائل هم الملأ الكافر من القوم، ومعنى ذلك أن في القوم من هو مؤمن أيضاً، فلما تحدث عن هؤلاء الكافرين، ذكر "من" التبعيضية التي تبين أن الفئة الضالة قالت ذلك وليس كل القوم، فجاء التقديم؛ ليدلل على اختصاصها بالكفر.

وقوله تعالى: ﴿وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقِّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾⁽⁵⁾

في الآية تقديم وتأخير، إذ قدم الوصف (شَاخِصَةٌ) ولم يقل: أبصار الذين كفروا شاخِصَةٌ، لأمرين: أما أولاً: " فلأنه إنما قدم الضمير (هِيَ) في قوله ليدل به على أنهم مختصون بالشخص دون غيرهم من سائر أهل المحشر، وأما ثانياً: فلأنه إذا قدم الخبر أفاد أن الأبصار مختصة بالشخص من بين سائر صفاتها من كونها حائرة أو مطموسة أو مزورة إلى غير ذلك

(1) [النور:3].

(2) [الزمخشري، الكشاف (ج3/212)].

(3) [المؤمنون:24].

(4) انظر: قطب، في ظلال القرآن (ج4/2464).

(5) [الأنبياء:97].

من صفات العذاب، ولو قال: واقترب الوعد الحق فشخصت أبصارهم، لم يعط من هذه الأسرار معنى واحدا".⁽¹⁾

وقوله تعالى: (قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا)⁽²⁾

حيث قد الجار والمجرور (عَلَيَّ) على المسند (هَيِّنٌ)؛ لأن سياق الموضوع يتعلق بقدرته الله سبحانه وتعالى، فدل التقديم على الاختصاص، فالله وحده القادر على إيجاد طفل من أبوين هرمين وهو مختص بذلك دون سواه.

رابعاً: مناسبة السياق:

ومنه قوله تعالى: ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾⁽³⁾

قدم العذاب على الرحمة؛ لأن الآية جاءت بعد إنذار إبراهيم لقومه بأن العذاب واقع بهم لا محالة إن لم يستجيبوا لأمر الله.

وقوله تعالى: (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ أُولَئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ)⁽⁴⁾

قدم الله سبحانه وتعالى الرزق على الإنفاق؛ لأن الآية تتحدث عن صفات المؤمنين، فبالذي رزقهم الله يتصدقون، وفي هذا من البراعة والبيان ما لا يخفى على أحد، فلو كانت الآية في معرض الأمر بالإنفاق، لُقدّم الإنفاق على الرزق؛ أي: أنفقوا مما رزقناكم.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾⁽⁵⁾

ختمت الآية بصفات البشر (أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ)؛ لذا اقتضى تقديم ما يتعلق بالبشر (بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ) على (شهِيداً) .

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾⁽¹⁾

(1) الطراز (ج2/39).

(2) [مريم:9].

(3) [العنكبوت:21].

(4) [القصص:52-55].

(5) [العنكبوت:52].

حيث قدم الله سبحانه وتعالى لفظة (فجاجاً) على (سبلاً)؛ لأن الفج هو "الطريق الواسع بين جبلين".⁽²⁾ ولما تقدم في الآية ذكر كلمة "رواسي" وهي الجبال، قدم "الفجاج" لمناسبة السياق.

وقوله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾⁽³⁾

لما كانت الآية السابقة تتحدث عن الحكم، قدمه على العلم؛ لدلالة السياق عليه في قوله تعالى: ﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحَكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾.⁽⁴⁾

فالأصل تقديم العلم على الحكم، إلا أنه قدم الحكم لدلالة السياق الذي قبله.

خامساً: رعاية الفواصل:

ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾⁽⁵⁾

حيث قدم الجار والمجرور والمفعول على الفاعل (موسى)؛ من أجل رعاية التناسب حيث أن فواصل الآي على الألف، ولو ترك الفاعل دون تأخير لاختلت الفواصل، ويحدث ذلك في الشعر أيضاً مراعاة للقافية، وفي النثر مراعاة للسجع⁽⁶⁾.

و قوله تعالى: ﴿فَأَلْفِي السَّحْرَةَ سَجْدًا قَالُوا أَمَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾⁽⁷⁾

فقدم هارون على موسى لذات السبب.

سادساً: تقدم الكلمة لتقدمها بالزمن:

ومنه قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾⁽⁸⁾

حيث قدم الملائكة على البشر؛ لأجل سبق في الزمن، فالملائكة وجدت قبل البشر.⁽¹⁾

(1) [الأنبياء:31].

(2) ابن منظور، لسان العرب، مادة (فجج) (ج2/338).

(3) [الأنبياء:79].

(4) [الأنبياء:78].

(5) [طه:67].

(6) انظر: المراغي، علوم البلاغة (ص108).

(7) [طه:70].

(8) [الحج:75].

وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا ذُرِّيَّتَنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ (2)

فقدم الأزواج على الذريات؛ لكونها الأسبق والسبب في وجوها.

وقوله تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ﴾ (3)

قدم الله سبحانه وتعالى عاد على ثمود؛ لأن عاد أسبق من ثمود.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (4)

فجاء التقديم هنا لأجل الأسبقية فالليل وجد قبل النهار وكذا الشمس قبل القمر.

سابعاً: التعجب:

كقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾ (5)

يقول الزمخشري: " فإن قلت: لم قدمت الجبال على الطير؟ قلت: لأنّ تسخيرها وتسبيحها أعجب وأدلّ على القدرة وأدخل في الإعجاز، لأنها جماد والطير حيوان، إلا أنه غير ناطق." (6)

فتقديم الجبال على الطير للتعجب من شأنها.

ثامناً: التشريف:

كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (7)

نلاحظ في هذه الآية تقديم الرسول على النبي؛ ولعل السبب في ذلك أن الرسول أعم من النبي إذ كل رسول نبي وليس كل نبي رسول، كما ويوحى للرسول بشرع جديد فضلاً عن تقرير ما جاء به من قبله من الرسل والأنبياء، أما النبي فيقرر ويؤكد ما بُعث به من قبله دون أن يبعث بشرع جديد، وهذا يُفهم من قول الألوسي: "يراد بالرسول من بعث بشرع جديد وبالنبي

(1) انظر: شيخون، أسرار التقديم والتأخير في لغة القرآن الكريم (ص79).

(2) [الفرقان:47].

(3) [العنكبوت:38].

(4) [الأنبياء:33].

(5) [الأنبياء:79].

(6) [الكشاف (ج3/129)].

(7) [الحج:52].

من بعث لتقرير شرع من قبله أو يراد بالرسول من بعث بكتاب وبالنبي من بعث بغير كتاب". (1)
وقوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ (2)

حيث قدم علم الغيب على الشهادة؛ لأن "علم الغيبات أشرف من المشاهدات". (3)

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَاتٍ﴾ (4)

فقدم الاسم الموصول (مَنْ) الخاص بالعاقل، على غير العاقل (الطَّيْر)؛ تشريفاً وتكريماً
للعقل الذي تميز به البشر عن سائر المخلوقات. (5)

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَفُؤٌ غَفُورٌ﴾ (6)

حيث قدم العفو على المغفرة؛ "لأن العام أشرف من الخاص، فالله عفو عما لم يؤاخذنا
به مما نستحقه من ذنوبنا، وغفور لما أخذنا به في الدنيا، فتقدم العفو على الغفور؛ لأنه أعم و
أخرت المغفرة لأنها أخص". (7)

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (8)

قدم السمع على البصر لعدة أسباب:

1- "لأن حاسته أشرف من حاسة البصر، إذ عليه تبنى في الأطفال معرفة دلالات

الأسماء، وإذ هو كاف في أكثر المعقولات دون البصر إلى غير ذلك". (9)

2- باعتباره الأسبق زمنياً، إذ يعمل منذ الولادة قبل حاسة البصر والذي أكد ذلك حبيبنا

المصطفى صلى الله عليه وسلم لما وجهنا أن نؤذن في أذن المولود عند ولادته، وهذا

خير دليل على عمل السمع قبل البصر.

3- السمع لو عطل منذ البداية فإن النطق يتبعه في ذلك وهذا لا يكون مع البصر.

(1) الألويسي، روح المعاني (ج9/165).

(2) [المؤمنون:92].

(3) شيخون، أسرار التقديم والتأخير في لغة القرآن (ص86).

(4) [النور:41].

(5) انظر: المسيري، دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم (ص139).

(6) [الحج:60].

(7) المسيري، دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم (ص140).

(8) [المؤمنون:78].

(9) الأندلسي، المحرر الوجيز (ج3/161).

4- عند النوم ينام البصر مع صاحبه، أما السمع فيبقى يعمل؛ لذلك قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَضْرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكُهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ (1) ولم يقل: (فضربنا على أبصارهم).

تاسعاً: تقوية الحكم وتقريره في نفس السامع:

كقوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ (2)

قدم الاسم؛ لبيان أن المخلوق لا يستحق العبادة، فالحكم المقصود هو بطلان العبادة لغير الله واستحقاقها لله رب العالمين، فجاء التقديم ليقوي هذا الحكم في نفوس السامعين. (3)

(1) [الكهف:11].

(2) [الفرقان:3].

(3) علوان، من بلاغة القرآن (ص89).

المبحث الرابع:

التركيب النحوية للقصر ودلالاته البلاغية

القصر لغة:

الغاية والحبس؛ لأنك إذا بلغت الغاية حبستك. (1) قال تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ (2) أي: قُصِرْنَ وحبسْنَ على أزواجهن، ويقال: "قُصِرَت اللقحة على فرس، إذا جعلت لبنها له لا لغيره". (3)

ويأتي القصر أيضاً بمعنى: "التخصيص، يقال: قصر الشيء على كذا، إذا خصصه به، ولم يجاوز به إلى غيره. ويقال: قصر غلة بستانه على عياله، إذا جعلها خاصة لهم، وقصر الشيء على نفسه، إذا خص نفسه به، فلم يجعل لغيره منه شيئاً". (4)

القصر اصطلاحاً:

تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص وحصره فيه. (5)

فالشيء الأول هو: المقصور، والثاني: المقصور عليه، والطريق المخصوص: أداة القصر.

وقد عُرف في معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب بأنه: "تخصيص صفة بموصوف أو موصوف بصفة بطريقة معينة". (6)

طرق القصر :

للقصر طرق متعددة أشهرها أربعة:

النفي والاستثناء / إنما / العطف ب (لا) و(بل) و(لكن) / تقديم ماحقه التأخير.

(1) انظر: ابن منظور، لسان العرب (ج5/97)، وانظر: التفتازاني، مختصر المعاني (ج1/345).

(2) [الرحمن:72].

(3) الجرجاني، التعريفات (ص175).

(4) الميداني، البلاغة العربية (ج1/523).

(5) انظر: الجرجاني، التعريفات (ص175)، والتفتازاني، مختصر المعاني (ص346)، وعلوان، من بلاغة القرآن (ص117).

(6) وهبة والمهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب (ص288).

أولاً : القصر بالنفي والاستثناء :

بين الإمام عبد القاهر الجرجاني في كتابه: "دلائل الإعجاز" أن الخبر بالنفي والإثبات يكون للأمر الذي ينكره المخاطب أو يشك به، وفي ذلك يقول: "وأما الخبر بالنفي والإثبات نحو: "ما هذا إلا كذا"، و"إن هو إلا كذا"، فيكون للأمر ينكره المخاطب ويشك فيه." (1)

أما القصر وإنما فيكون للأمر الثابت والمعلوم لدى المخبر به أو يستعمل فيما ينزل هذه المنزلة من المعاني؛ لذلك نجده يبين أمراً آخر وهو أن كل تركيب من هذين التركيبين النحويين قد وُضع للتعبير عن معنى معين (2).

أمثلة القصر بالنفي والاستثناء :

وستكتفي الباحثة بعرض بعض الأمثلة على سبيل الذكر لا الحصر :

قال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ (3).

تحدث الله سبحانه وتعالى في الآيات السابقة لهذه الآية عن رحمته ونعيمه للمؤمنين الذين يخشونه ويتبعون رسوله رغبة في نيل رضاه، كما وتحدث في المقابل عن أولئك المنافقين الذين يدعون اتباع نبيه وهم على غير ذلك فحملت تلك الآيات الوعد للمؤمنين والوعيد للكافرين، ثم جاءت هذه الآية لتبين أن الرسول عليه الصلاة والسلام ما عليه أن يتحمل من غواية هؤلاء الضالين من شيء، إنما هو رسول مبلغ، فجاء هذا التوضيح بالقصر غير الحقيقي (الإضافي)؛ "لأن على النبي محمد صلى الله عليه وسلم أموراً أخرى غير البلاغ مثل التعبد لله تعالى، والخروج إلى الجهاد، والتكاليف التي كلفه الله بها مثل قيام الليل وغيره من العبادات، فتعين أن معنى القصر: "ما عليه إلا البلاغ؛ أي: دون إيجائكم إلى الإيمان، وعلى هذا فالقصر الإضافي لم ينافي أن على الرسول أشياءً أخرى." (4)

(1) الجرجاني، دلائل الإعجاز (ج1/332).

(2) أبو سمعان، التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية (ص99).

(3) [النور:54].

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج61/7).

كما وقصرت مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم على البلاغ قصر موصوف على صفة، وبالنظر إلى حال المخاطب فإن القصر قصر تعيين؛ لتعيين مهمة البلاغ للرسول دون حمل أي مسؤولية تتعلق بتجاهلها أو الغواية عنها ... الخ .

وقد عبر بحرف الجر "على" في قوله: على الرسول؛ لتفيد الإلزام، فالإبلاغ مهمة ملازمة للأنبياء والرسول.

قال تعالى: ﴿قَالُوا أَنْوْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذُلُونَ قَالَ وَمَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (1).

لما كذب قوم نوح عليه السلام المرسلين، أمرهم بتقوى الله وطاعته، مبيناً لهم أنه ما هو إلا نبي مبلغ عن ربه، وأن جزاءه عليه تبارك وتعالى، فجاء ردهم بالاستفهام الإنكاري في قولهم: "أنؤمن"؛ أي: لا نؤمن لك وقد اتبعك الأردلون، وهذه الصفة نعتوا بها ضعفاء القوم والفقراء الذين اتبعوا دين الحق، وبذلك تكبروا وتجبروا على أن يكونوا والضعفاء سواء في اتباع نوح عليه السلام. (2)

فما كان رد سيدنا نوح عليه السلام إلا بالاستفهام المسبوق بواو التلقين، وكان الاستفهام مؤذناً بأن قومه فصلوا إجمال وصفهم أتباعه بالأردلين بأن بينوا أوصافاً من أحوال أهل الحاجة الذين لا يعبأ الناس بهم فأتى بالاستفهام عن علمه استفهاماً مستعملاً في قلة الاعتناء بالمستفهم عنه، وهو كناية عن قلة جدواه؛ لأن الاستفهام عن الشيء يؤذن بالجهل به، والجهل تلازمه قلة العناية بالمجهول وضعف شأنه، كما يقال لك: يهددك فلان، فنقول: وما فلان؛ أي: لا يعبأ به، وبذلك كان قد قلل من شأنهم بهذا الرد، فلا علاقة له فيما مضى من أعمالهم. (3)

لذلك عبر بالقصر الإضافي على أن حسابهم على الله وحده، وهو من قصر الموصوف على الصفة؛ لأن الجار والمجرور (على ربي) متعلق بمحذوف تقديره: كائن؛ أي: حسابهم كائن على ربي، والموصوف هو "حسابهم" والصفة "على ربي"؛ لأن المجرور الخبر في قوة الوصف، إذ إن المجرورات والظروف الواقعة أخباراً تتضمن معنى يتصف به المبتدأ وهو الحصول والثبوت المقدر في الكلام بكائن أو مستقر. (4)

(1) [الشعراء: 111-115].

(2) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج19/160).

(3) انظر: المرجع السابق، ج19/160.

(4) انظر: المرجع نفسه، ج19/160.

وباعتبار حال المخاطب فإنه قصر أفراد، معناه أن حسابهم مقصور على الاتصاف بـ "على ربي" لا يتجاوزه على أن يتصف بـ "علي" (1) وهذا أفضل رد للكفار عندما رفضوا أن يكونوا سواسية مع الفقراء المؤمنين، وفي قوله: "لو تشعرون" لو شرطية، جوابها محذوف وتقديره: لو تشعرون لعلمتم أن حساب هؤلاء على ربهم فقط، ولكنه عبر بالفعل "تشعرون" دون تعقلون أو تفقهون أو تعلمون؛ لتحقيرهم وتجهيلهم، فلا عقل لديهم ليدرك ذلك، فلو كان لهم لآمن وأدرك بحساب رب العباد وحده، وبهذا تظهر دقة ألفاظ القرآن الكريم وحسن انتقائها بعناية فائقة.

و قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ * إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ معناه أنا مقصور على صفة النذارة لا أخطاها إلى طرد المؤمنين. (2)

وهو قصر إضافي بقصر الموصوف على صفة الإنذار، وباعتبار حال المخاطب فهو قصر أفراد.

قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ (3)

تشير هذه الآية إلى أن "الأمثال المضروبة في القرآن عامة؛ أي: تفرع أسماع عامة الناس، لكن الإشراف على حقيقة معانيها ولب مقاصدها خاصة لأهل العلم ممن يعقل حقائق الأمور ولا ينجمد على ظواهرها". (4)

والعقل هنا بمعنى الفهم؛ أي: لا يفهم مغزاها إلا الذين كملت عقولهم فكانوا علماء غير سفهاء الأحلام". (5)

قصر الفهم على أصحاب العقول عن طريق القصر الحقيقي، وهو قصر صفة على موصوف، إذ قصر صفة الفهم على العقلاء الذين يتدبرون تلك الأمثال فيهدتوا للإيمان بها وبخالق الأكوان.

(1) انظر: السكاكي، مفتاح العلوم (ص289).

(2) المرجع السابق، ص289.

(3) [العنكبوت:43].

(4) الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن (ج16/136).

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج20/255).

قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (1)

أي: وما من أمر مكتوم وسر خفي يغيب عن الناظرين في السماء أو في الأرض إلا وهو في أم الكتاب الذي أثبت ربنا فيه كل ما هو كائن من ابتداء الخلق إلى يوم القيامة، وهو بين لمن نظر إليه وقرأ ما فيه، مما أثبتته ربنا جلّت قدرته. (2)

تتجلى في هذه الآية معجزة نظم القرآن الكريم ودقة ألفاظه وبراعة انتقائها، فالغائبة هي السر الخفي من أسرار العالم العلوي والسفلي (3) وهي اسم مشتق من الغيب وهو ضد الحضور، والمراد: الغائبة عن علم الناس. (4) وأصلها "غائب" وقد زيدت التاء لأحد أمرين أولهما:

- "المبالغة وتوكيد علم الله بكل شاردة وواردة، وتاء المبالغة: هي التي تؤكد أحياناً وزن الفاعل كـ "راوية" و"نايعة" وقد تأتي لتوكيد المبالغة كـ "علامة" و"نسابة". (5)

- والثاني "لنقل من الوصفية إلى الاسمية كالتاء في العافية، والعاقبة، والفاثحة". (6)

وقد جيء بـ "من" الزائدة للتوكيد بين أداة النفي والمقصور (غائبة)؛ لتفيد تخصيص تأكيد العموم في أدنى مرحله، فنحن نقول ما عندي مال بمعنى أنني لا أملك مبلغاً كبيراً أو عقاراً أو ما يتعارف عليه الناس من رؤوس الأموال، أما عندما نقول ما عندي من مالٍ نكون بذلك قد نفينا حتى ما يُسَدُّ به الرمق، وكذلك عبّر بنفس المعنى في قوله: ما من غائبة إلا يعلمها الله؛ ليعلم العالم أجمع بأن كل شيء بيد رب العباد مع شدة تخصيص العلم بكل شاردة وواردة على الله سبحانه وتعالى. (7)

ويذكر السماء والأرض إشارة إلى العموم، فلو لم يذكرها واكتفى بقول "غائبة" لما دلت على هذا العمق من الشمول والإحاطة، وجاء المقصور عليه "كتاب" متبوعاً بالوصف "مبين"؛ دلالة على أن هذا اللوح المحفوظ مفصل لكل صغيرة وكبيرة، وشاملاً لكل قول وعمل.

(1) [النمل:75].

(2) المراغي، تفسير المراغي (ج20/16).

(3) السعدي، تفسير السعدي (ص609).

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج20/29).

(5) الدقر، معجم القواعد العربية (ص131).

(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج20/29) وانظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم

(ج6/299) وانظر: الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (ج8/640).

(7) انظر: أبو سمعان، التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية في الخمس أجزاء الأول (ص100-101).

وهذا من القصر الحقيقي وهو قصر الصفة على الموصوف.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾⁽¹⁾

وقوله: ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا﴾⁽²⁾

ثانياً: القصر بإنما:

يقول عبد القاهر الجرجاني: "اعلم أن موضوع "إنما" على أن تجيء لخبر لا يجله المخاطب ولا يدفع صحته، أو لما ينزل هذه المنزلة، تفسير ذلك أنك تقول للرجل: "إنما هو أخوك" و"إنما هو صاحبك القديم": لا تقوله لمن يجهل ذلك ويدفع صحته، ولكن لمن يعلمه ويقر به، إلا أنك تريد أن تنبهه للذي يجب عليه من حق الأخ وحرمة الصاحب".⁽³⁾

وعليه "فإنما" تستعمل -كما ذكرنا سابقاً- فيما يكون معلوماً أو ينزل هذه المنزلة، بينما "النفى والاستثناء" فيستعمل فيما يكون مجهولاً أو ينزل منزلة ذلك.⁽⁴⁾

أمثلة القصر بإنما:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾⁽⁵⁾

يخبر الحق تبارك وتعالى عن حال المؤمنين الذين إذا دعوا إلى ربهم كان جوابهم السمع والطاعة، فمادام الإنسان اختار طريق الحق دون إجبار وجب عليه السمع والطاعة دون أدنى شك⁽⁶⁾

بدأ الله سبحانه وتعالى الآية بإنما التي تعيد القصر والحصر، وقد تلتها كان الناقصة التي تحتاج لاسمها وخبرها وقد قرأها الجمهور بنصب "قول" على اعتبار أنها خبر مقدم، و"أن

(1) [مريم:64].

(2) [الكهف:16].

(3) الجرجاني، دلائل الإعجاز (ص330).

(4) حسين، فن البلاغة (ص161).

(5) [النور:51].

(6) انظر: الشعراوي، خواطر حول القرآن الكريم (ج1/10307).

يقولوا" اسمها مؤخر⁽¹⁾، فالمعنى: "إنما كان الواجب أن يقوله المؤمنون إذا دُعُوا إِلَى حَكْمِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا".⁽²⁾

وقد جيء بإنما؛ لأن المقصود بالقصر التثاء على المؤمنين برسوخ إيمانهم وثبات طاعتهم في كل الأحوال، وفيه تعريض بالمنافقين إذ يقولون كلمة الطاعة ثم ينقضونها بصددها من كلمات الإعراض والارتياب.⁽³⁾

فالقصر إضافي، وباعتبار حال المخاطب: قصر أفراد لأحد نوعي القول.⁽⁴⁾

قال تعالى: ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾⁽⁵⁾

في هذه الآية استخدمت "إنما" في موطن الإنكار تنزيلاً للمخاطب منزلة غير المنكر، فلما تمثل الملك لمريم عليها السلام بشراً سويماً كان التعبير بإنما؛ "لأن مريم وإن كانت تجهل هذه الحقيقة وتتكبرها إلا أنها نزلت منزلة غير المنكر وغير الجاهل، وقد رأيت كثيراً من الكرامات وكيف جاءها الروح الأمين حيث لن يستطيع أن يصلها أحد، فكان حري بمريم إذن أن لا تنكر هذا الأمر".⁽⁶⁾

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾⁽⁷⁾

عبرت هذه الآية بالقصر الحقيقي؛ لتحقيق العبودية لله وحد، وقد جاء قصر صفة على موصوف.

ومنه قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمَسْحُورِينَ﴾⁽⁸⁾

وقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾⁽¹⁾

(1) انظر: الخطيب، معجم القراءات (ج6/291).

(2) الأندلسي، المحرر الوجيز (ج4/191).

(3) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج18/275).

(4) المرجع السابق، ج18/275.

(5) [مريم: 18-19].

(6) عباس، البلاغة فنونها وأفنانها "علم المعاني" (ص374).

(7) [طه: 98].

(8) [الشعراء: 153].

وقوله تعالى ﴿ : وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٍ مِّن رَّبِّهِ فَلِمَ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾⁽²⁾

ثالثاً : القصر بالعطف ب "لا وبل ولكن" :

ذكر السيوطي في كتابه "الإتقان في علوم القرآن" أن العطف ب "لا" لم يقع في القرآن الكريم، يقول : "ثالثها ورابعها: أن تكون عاطفة أو جوابية ولم يقعا في القرآن".⁽³⁾

وبين (لا ولكن وبل) اشتراكاً وافتراقاً، "فأما اشتراكها فمن وجهين أحدهما: أنها عاطفة، والثاني: أنها تقيد رد السامع عن الخطأ في الحكم إلى الصواب، وأما افتراقها فمن وجهين أيضاً أحدهما: أن لا تكون لقصر القلب وقصر الأفراد وبل ولكن إنما يكونان لقصر القلب فقط تقول: جاءني زيد لا عمرو رداً على من اعتقد أن عمراً جاء دون زيد أو أنهما جاءك معاً وتقول: ما جاءني زيد لكن عمرو أو بل عمرو رداً على من اعتقد العكس والثاني: أن "لا" إنما يعطف بها بعد الإثبات و"بل" يعطف بها بعد النفي ولكن "إنما" يعطف بها بعد النفي".⁽⁴⁾

ويشترط في كل من (بل ولكن) أن تسبق بنفي، أو نهي، وأن يكون المعطوف بهما مفرداً وألا تقترن (لكن) بالواو.⁽⁵⁾

ومن القصر بالعطف ب "بل" قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا نَحْسَبُهُمْ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾⁽⁶⁾

هذا قصر إضافي عن طريق قصر صفة على موصوف، إذ قصر الحق تبارك وتعالى صفة الخير على حادثة الإفك، وفي ذلك يقول الزمخشري: "ومعنى كونه خيراً لهم: أنهم اكتسبوا فيه الثواب العظيم؛ لأنه كان بلاءً مبيناً ومحنة ظاهرة، وأنه نزلت فيه ثماني عشرة آية كل واحدة منها مستقلة بما هو تعظيم لشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتسليية له، وتنزيهه لأم المؤمنين رضوان الله عليها، وتطهير لأهل البيت، وتهويل لمن تكلم في ذلك أو سمع به فلم

(1) [القصص:78].

(2) [العنكبوت:50].

(3) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن (ج2/270).

(4) ابن هشام، شرح قطر الندى وبل الصدى (ص306-307).

(5) علوان، من بلاغة القرآن (ص123).

(6) [النور:11].

تمجه أذناه، وعدة أطف للسامعين والتالين إلى يوم القيامة، وفوائد دينية، وأحكام وآداب لا تخفى على متأملها".⁽¹⁾

وباعتبار حال المخاطب فإن القصر قصر قلب؛ لأن الله سبحانه وتعالى نفى زعم واعتقاد المشركين وقوع الإثم من أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وأثبت خلاف ذلك الخير.

ومن القصر بالعطف ب "لكن":

قولنا: ما الفخر بالنسب لكن بالتقوى. فالمقصود (الفخر) والمقصود عليه (التقوى).

(1) الزمخشري، الكشاف (ج3/217).

المبحث الخامس

التراكيب النحوية للإيجاز والإطناب ودلالاتها البلاغية

أولاً: الإيجاز

الإيجاز لغة:

قال ابن منظور في معنى وجز: "جز الكلام وجارة ووجزاً وأوجز: قل في بلاغة، وأوجزه: اختصره. وكلام وجز: خفيف. وأمر وجز وواجز ووجيز وموجز، يقال: أوجز فلان إيجازاً في كل أمر؛ أي: قصره واختصره، وأمر وجيز وكلام وجيز؛ أي: خفيف مقتصر، وأوجزت الكلام: قصرته، ورجل ميجاز؛ أي: يوجز في الكلام والجواب، وأوجز القول والعطاء قلله ورجل وجز سريع الحركة".⁽¹⁾

وقد ذهب الفيروز آبادي إلى المعاني اللغوية نفسها لمادة (وجز)⁽²⁾ وكذلك وردت في المعجم الوسيط ومعجم الصحاح.⁽³⁾

من خلال ما سبق يتضح لنا أن معنى الإيجاز يقوم على الاختصار والقصر والإسراع في القول والجواب.

الإيجاز اصطلاحاً:

عرفه الجاحظ في كتابه الحيوان بأنه: "الجمع للمعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة".⁽⁴⁾

وذهب إلى ذلك ابن خفاجة في كتابه سر الفصاحة.⁽⁵⁾

وعرفه السكاكي في المفتاح بأنه: "أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف

الأوساط".⁽⁶⁾

(1) انظر: ابن عاشور، لسان العرب (ج5/427).

(2) انظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط (ص528).

(3) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط (ج2/1014)، والرازي، مختار الصحاح (ص333).

(4) الجاحظ، الحيوان (ج3/42).

(5) انظر: الخفاجي، سر الفصاحة (ص205).

(6) السكاكي، مفتاح العلوم (ص277).

بناءً على ما سبق، يتضح لنا أن الإيجاز هو "التعبير عن معانٍ كثيرة بألفاظ قليلة مع الإبانة والإفصاح".⁽¹⁾

أقسام الإيجاز:

للإيجاز قسمان:

- إيجاز بالحذف.
- إيجاز بالقصر.

أولاً: إيجاز الحذف:

*** تمهيد:**

الحذف في القرآن الكريم لم يأت عبثاً، إنما جاء به لغاية نحوية أو بلاغية عظيمة، وفي ذلك يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني: "هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجذك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبين."⁽²⁾

فالحذف في القرآن الكريم ضرورة بيانية ترتبط معها الفصاحة والبلاغة، وكما أن السكوت فيه إظهار للإعجاز البلاغي والأسرار الدفينة في القرآن الكريم مما قد لا يكون مع النطق والإفصاح، كذلك الحذف فهو "أسلوب تقتضيه حكمة البيان، فحين يعتمد إلى حذف فضول الكلام و زوائده، والاستغناء عن الكثير بالقليل، فلكي يساق الكلام في صورة نقية وافية تؤدي المعنى كاملاً دون غموض أو إبهام."⁽³⁾

ولقد تنبه العرب الأوائل لأهمية الحذف فجعله ابن خفاجة شرطاً للفصاحة والبلاغة فقال: "من شروط الفصاحة والبلاغة: الإيجاز والاختصار وحذف فضول الكلام حتى يعبر عن المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة."⁽⁴⁾

(1) علوان، من بلاغة القرآن (ص 137).

(2) الجرجاني، دلائل الإعجاز (ص 146).

(3) با طاهر، أساليب الإقناع في القرآن الكريم (ص 156).

(4) الخفاجي، سر الفصاحة (ص 205).

تعريف إيجاز الحذف:

هو "التعبير عن المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة، وذلك بحذف شيء من الجملة مع عدم الإخلال بالمعنى". (1)

ومن أمثلة الإيجاز بالحذف في القرآن الكريم:

قوله تعالى: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا﴾ (2)

في الآية إيجاز بحذف الحرف الأخير من كلمة (بغياً)، إذ أصلها (بغية)، وسبب ذلك أنه لما حُوّل المعنى عن الفاعل نقص منه حرف؛ لأن عادة العرب أنها إذا عدلت بالشيء عن معناه نقصت حروفه، ولما لم تكن أم مريم فاعلة للبغي أو لشيء مما يتعلق به حذف حرف من الكلمة، وكذلك وقع الإيجاز للتخفيف وتسهيل النطق. (3)

قال تعالى: ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ (4)

في الآية إيجاز بحذف نون الفعل المضارع (أك) فأصله (أكن)، وترى الباحثة أن السبب في ذلك يرجع إلى وجهتين: نحوية وأخرى بلاغية:

أولاً: الوجهة النحوية:

حذف نون الفعل المضارع المجزوم تخفيفاً، إذا اجتمعت جميع الشروط لحذف نون هذا الفعل، وهذا يفهم من قول ابن مالك في ألفيته:

ومن مضارعٍ لكان منجزم ... تحذف نون وهو حذف ما التزم (5)

أي: أن حذف نون أكن جائز لا واجب، فيجوز لم أكن، ويجوز لم أك، في حال توفرت شروط الحذف وهي: أن يكون المضارع مجزوماً بالسكون، ولم يليه ساكناً أو ضميراً متصلاً، أما إن اختل شرط امتنع الحذف، ولما توفرت الشروط جميعها في (أكن) جاز الحذف (6)، ومن الناحية الصرفية أصل الفعل "أك" قبل الجزم: "أكون"، وعند الجزم ب"لم" حذفت الضمة التي

(1) علوان، من بلاغة القرآن (ص137).

(2) [مريم:28].

(3) انظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن (ج3/191).

(4) [مريم:20].

(5) ابن مالك، ألفية ابن مالك، باب كان وأخواتها (ص19).

(6) انظر: ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، باب كان وأخواتها (ج1/298).

على النون، فصار اللفظ "أكون"، فالتقى ساكنان "الواو والنون" فحذفت الواو للتخلص من التقاء الساكنين، فصار اللفظ "أكن" ⁽¹⁾ والقياس يقتضي أن لا يحذف منه بعد ذلك شيء آخر لكنهم حذفوا النون بعد ذلك تخفيفاً لكثرة الاستعمال. ⁽²⁾

ثانياً: الوجهة البلاغية:

بما أن كل زيادة في المبنى تدل على زيادة في المعنى، فإن كل حذف في المبنى يدل على نقصان في المعنى، فلكي يحدث الحمل ينبغي أن يُسبق بجماع، وإذا تم الجماع دون زواج شرعي كان زناً محرماً يستوجب العقوبة، وفيه مذلة للمرأة وانتقاص من شأنها وإهانة لأبنائها نفسياً أو جسدياً، وصولاً إلى رفضها كلياً وعدم إعطائها أدنى الحقوق المفروضة بالزواج الشرعي، مما يعني موتها حية، ولعل هذه المعاني دارت على بال مريم عليها السلام حين عبرت بالاستفهام التعجبي عن حملها دون المساس بها، لذلك وجب إنقاص الفعل بحذف أحد حروفه ليتناسب مع النقصان في المعاني والقيم التي تحملها الآية، وفي قولها: "لم يمسنني" نفي مطلق لإمكانية اقتراب أحد منها، وتأكيداً لذلك عبرت أيضاً بالنفي المستدرك على النفي المطلق في قولها: "لم أك" للدلالة على رفضها أدنى مراتب الزنا ولو كانت نظرة على الأقل أو ما شابه ورفضها أيضاً مجرد الشك بها، فكيف لها بعد ذلك أن تحمل بهذا الغلام؟!.

ولعل ذلك كان السبب وراء حذف النون الذي أنقص من قيمة الفعل كما ورد في السياق

القرآني .

قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ ⁽³⁾

في الآية إيجاز بحذف مصدر المشي وتقديره "مشياً" ⁽⁴⁾، فترك السياق القرآني هذه المفردة إشارة إلى عدوله إلى معنى آخر أراد أن يُرسيه وهو "التواضع لله تعالى والتخلق بأداب

(1) انظر: ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، باب كان وأخواتها (ص298)، وانظر: الحملاوي،

شذا العرف في فن الصرف (ص146).

(2) المرجع السابق، (ج1/298).

(3) [الفرقان:63].

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج19/68).

النفس العالية وزوال بطر أهل الجاهلية فكانت هذه المشية من خلال الذين آمنوا على الضد من مشي أهل الجاهلية. (1)

فهذا الحذف سقطت جميع معاني التكبر والتفاخر والاستعلاء، وحيء بجميع معاني التواضع والثبات والطمأنينة والأخلاق الحسنة.

قال تعالى: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتِنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ (2)

في هذه الآية وقع إيجاز بحذف جملة دل عليها صدر الآية في قوله تعالى: ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ (3) وتقدير هذه الجملة: "ولما جاءه الغلام ونشأ وترعرع قلنا له: يا يحيى خذ الكتاب بقوة" (4) والسبب في هذا الحذف أولاً: كون الجملة المحذوفة غير مفيدة، فالسياق القرآني قد دل عليها عندما زف البشري لسيدنا زكريا عليه السلام فلا حاجة للحشو الذي لا فائدة منه. (5) والسبب الثاني والأهم: أن الحذف جاء للتركيز على جوهر الرسالة والمهمة التي أوكلت إلى يحيى عليه السلام، لا لتفاصيل لا طائل منها. (6)

قال تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لُدَّ إِلَهُهُ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ (7)

في هذه الآية تظهر براعة التركيب النحوي بصورة مميزة، فبدأت الآية بالنفي "ما"، وجاء لفظ "ولد" نكرة وقد سبق بـ "من" الدالة على التنصيص على عموم النفي، وقد أفادت ذلك؛ لأنها دخلت على نكرة لا تختص بالنفي، فقبل دخول "من" كان من المحتمل نفي الواحد أو نفي الجنس على سبيل العموم، وكان من المحتمل أن يقال: بل ولدان أو غير ذلك - حاشا لله - فلما دخلت نصت على نفي الجنس على سبيل العموم (8)، وبذلك أفادت أعلى وأقوى درجات نفي العموم، فالحق تبارك وتعالى غني عن الولد وعن سواه، وإنما يحتاجه البشر لأسباب متعددة.

(1) المرجع السابق، ج68/19.

(2) [مريم:12].

(3) [مريم:7].

(4) ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب (ج84/2).

(5) انظر: المرجع السابق، ج84/2.

(6) انظر: عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية (ص474).

(7) [المؤمنون:91].

(8) انظر: الأزهرى، التصريح بمضمون التوضيح في النحو (ج639/1).

ونفي اللزم "ولد" يتطلب نفي الملزوم "الصاحبة أو الزوجة" فبنفي الولد اكتفى السياق القرآني عن ذكر الصاحبة ونفيها؛ ويرجع ذلك لكونه أمراً بدهياً فبنفي اتخاذ الله عز وجل الولد يكون قد انتفى إمكانية اتخاذ زوجة أو صاحبة وهذا من أفصح الأساليب البلاغية.

وقد وقع إيجاز بالحذف في هذه الآية تمثل بحذف الشرط، فقوله تعالى: ﴿إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ﴾ جواب لشرط محذوف تقديره: (لو كان فيهما آلهة إلا الله إذا لذهب كل إله بما خلق) ويرجع سبب الحذف إلى دلالة السياق القرآني على المعنى، ومنع تكرار ما لا يلزم تكراره.

كما تجلى في الآية الكريمة فن بلاغي عظيم من المحسنات البديعية، وهو فن التقسيم والذي يعني: استيفاء المتكلم أقسام الشيء، بحيث لا يترك شيئاً، وهو آلة للحصر، والإحاطة بالشيء⁽¹⁾

فلو كان مع الله إله آخر لم يخرج الأمر عن أحد هذه الأقسام الثلاثة التي وردت في الآية، يقول ابن قيم الجوزية: "لو كان معه سبحانه إله آخر فلا بد من أحد أمور ثلاثة: إما أن يذهب كل إله بخلقه وسلطانه، وإما أن يعلو بعضهم على بعض، وإما أن يكونوا كلهم تحت قهر إله واحد يتصرف فيهم ولا يتصرفون فيه، ويمتنع من حكمهم ولا يمتنعون من حكمه فيكون وحده هو الإله وهم العبيد المقهورون".⁽²⁾

فلا تقسيم آخر بعد ذلك، وبهذا قد استوفت الآية جميع الأقسام وحصرتها في هذه الأمور الثلاثة، فكانت جامعة مانعة، وهذا قمة في الفصاحة والبلاغة الدالة على الإعجاز القرآني الذي عجز العرب عن الإتيان بشيء من مثله، وأنى لهم ذلك وهو كلام رب العزة تبارك وتعالى.

** تأتي "من" بمعنى: التنصيص على العموم، أو تأكيد التنصيص عليه وهي الزائدة، بشروط ثلاثة: الأول: أن يسبقها نفي أو نهي أو استفهام ب"هل" / الثاني: أن يكون مجرورها نكرة / الثالث: أن يكون هذا المجرور إما فاعلاً أو مفعولاً أو مبتدأ.

انظر: الأنصاري، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك (ج3/21-23).

(1) انظر: الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (ص311).

(2) ابن قيم الجوزية، مختصر الصواعق المرسله على الجهمية والمعتلة (ص83).

قال تعالى: ﴿ فَآتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾⁽¹⁾

في الآية الكريمة إيجاز بحذف أكثر من جملة، وتقدير المحذوف: فأتياه فأبلغاه ذلك فلما سمعه قال: ألم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين.⁽²⁾ ويرجع سبب الحذف؛ لدلالة السياق على المحذوف، فلا حاجة لذكر ما لا يلزم.

قال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَعُوفٌ رَحِيمٌ ﴾⁽³⁾

وقع الإيجاز بحذف جواب "لولا" وتقديره: "لعجل عذاب فاعل ذلك"⁽⁴⁾ أو "لهلكتم"⁽⁵⁾

ومسوغ الحذف: "طول الكلام بالمعطوف والطول داع للحذف"⁽⁶⁾، وحذف أيضاً للتهويل؛ "حتى يذهب الوهم في تقديره كل مذهب فيكون أبلغ في البيان وأبعد في التهويل والزجر"⁽⁷⁾ وبالتالي يشير ما بعد لولا إلى الرهبة من عذاب الله في نفوس أولئك الذين يحبون أن تشيع الفاحشة.⁽⁸⁾ وبهذا يكون الحذف أبلغ وأقوى من الذكر.

قال تعالى: ﴿ قُلْ مَا يَعْجَبُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾⁽⁹⁾

في الآية أكثر من حذف، الأول: حذف خبر المبتدأ "دعاء" وجوباً؛ لوقوعه بعد لولا وتقديره: موجود، والثاني: حذف جملة جواب الشرط وتقديره: لولا دعاؤكم موجود ما عبأ بكم ربي، ومسوغ الحذف دلالة السياق عليه، والثالث: حذف اسم يكون وله تقديران الأول: أن يكون الضمير عائداً إلى العذاب على تقدير: "يكون العذاب لزاماً"⁽¹⁰⁾ والغرض البلاغي من هذا

(1) [الشعراء: 16-18].

(2) أبو شادي، الحذف البلاغي في القرآن الكريم (ص 26).

(3) [النور: 20].

(4) أبو شادي، الحذف البلاغي في القرآن الكريم (ص 124).

(5) الخراط، المجتبي من مشكل اعراب القرآن (ج 2/789).

(6) أبو شادي، الحذف البلاغي في القرآن الكريم (ص 124).

(7) الصابوني، صفوة التفاسير (ج 2/302).

(8) انظر: بدوي، من بلاغة القرآن (ص 101).

(9) [الفرقان: 77].

(10) الزمخشري، الكشاف (ج 3/297) وانظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج 19/86).

الحذف: "الوعيد بما يحل بهم في الدنيا من قتل وأسر وهزيمة وما يحل بهم في الآخرة من العذاب"⁽¹⁾

الثاني: "أن يكون الضمير عائداً إلى التكذيب المأخوذ من كذبتهم، والتقدير: سوف يكون تكذيبكم لازماً لكم؛ أي: لازماً لكم لا انفكاك لكم منه"⁽²⁾، والغرض البلاغي من الحذف: "التهديد بعواقب التكذيب تهديداً مهولاً بما فيه من الإبهام كما تقول للجاني: قد فعلت كذا فسوف تتحمل ما فعلت."⁽³⁾

وبهذا الحذف المتعدد اكتسبت الآية معنى أقوى في تهديد ووعيد المشركين المكذبين فبينت لهم حقارتهم عند الله تعالى وأنه ما بعث إليهم رسوله وخاطبهم بكتابه إلا رحمة منه بهم لإصلاح حالهم وقطعاً لعذرهم فإذا كذبوا فسوف يحل بهم العذاب.⁽⁴⁾

قال تعالى: ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴾⁽⁵⁾

في هذه الآية إيجازان أحدهما بالحذف والآخر بالقصر، ويتمثل إيجاز الحذف بحذف الفاعل في قوله تعالى: "فقال هل أدلكم" فلم يشر السياق القرآني إلى القائل وهي "أخت موسى عليه السلام"؛ وذلك لكونه معلوماً من قبل من خلال الآيات السابقة لهذه الآية، يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصَّرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾⁽⁶⁾

وكذلك أيضاً جاء إيجاز الحذف بحذف جواب الاستفهام "هل أدلكم"، دل على هذا الحذف قوله تعالى في الآية التالية: ﴿ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾⁽⁷⁾ ففي قوله: "فرددناه" إشارة إلى المحذوف؛ لأن رده إلى

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج86/19).

(2) المرجع السابق، ج86/19.

(3) المرجع نفسه، ج86/19.

(4) انظر: المرجع نفسه، ج86/19.

(5) [القصص:12].

(6) [القصص:11].

(7) [القصص:13].

أمه لم يكن إلا بعد رد الجواب على أخته ودلالتها إياهم على امرأة ترضعه، وتقدير المحذوف: فقالوا نعم، فدلتهم على امرأة، فجيء بها وهي أمه ولم يعلموا بمكانها، فأرضعته.⁽¹⁾

وفي هذا الحذف إيجاز واختصار لأمر معلومة عند القارئ فلا حاجة للانفعال بها، وقد خرج الاستفهام في قوله "هل أدلكم" لغرض التشويق والترغيب في الفعل وجذب انتباه المتلقي.

وأما الإيجاز الآخر فكان إيجاز بالقصر تمثل في لفظة "يكفلونه" فالتكفل بالشيء يشمل التربية والتعليم والإنفاق وكل ما يتعلق بحياة ذلك الطفل من متطلبات أخرى، وقد قصرت كل هذه الأمور في هذه اللفظة.

وقد عبر النص القرآني بالفعل "أدلكم" دون أرشدكم؛ لأنك إذا أردت أن تدل أحد على آخر فهذا دليل على عدم معرفتك الجيدة به، فكأنها أرادت أن تخفي معرفتها بأهلها كيلا يشك فرعون بأنه ابنهم، وبناء على ذلك وافق على عرضها، وبهذا أتم الله وعده ورد موسى عليه السلام لحضن أمه، أما إن قالت: "أرشدكم" فهذا دليل قوي على علمها بأهله، مما يضعها في موطن شك يتنافى مع الوعد الإلهي برد موسى عليه السلام لحضن أمه.

وهذا دليل على الفصاحة والإعجاز القرآني في انتقاء الألفاظ ووضعها في الموضع المناسب لها.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتْوًا كَبِيرًا﴾⁽²⁾

"لقد استكبروا" جواب لقسم محذوف تقديره: أقسم لقد استكبروا، وحذف؛ لدلالة الجواب عليه، فاللام واقعة في جواب القسم المحذوف.

قال تعالى: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأَرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾⁽³⁾

في هذه الآية إيجاز بحذف الفاعل "الله" وإقامة المفعول به "الإنسان" مقامه مع بناء الفعل للمجهول، والغرض البلاغي من هذا الحذف هو العلم بالخالق فلا يخفى على أحد تبارك وتعالى اسمه.

(1) انظر: ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب (ج2/83).

(2) [الفرقان:21].

(3) [الأنبياء:37].

ثانياً: إيجاز القصر:

هو "التعبير عن المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة من غير حذف". (1)

هو "ما ليس بحذف" (2) أو هو "بنية الكلام على تقليل اللفظ وتكثير المعنى من غير حذف". (3)

وأمثلة هذا النوع كثيرة في القرآن، تفوق أمثلة الحذف، وفي ذلك يقول الشيخ محمد بن أحمد المعروف بأبي زهرة: "للإيجاز بغير الحذف كلمات كثيرة في القرآن لا تكاد تخلو منه سورة، بل جزء من السورة، بل صفحة من صفحاته النورانية". (4)

ومن أمثله في القرآن الكريم على سبيل الذكر لا الحصر:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾ (5)

جاء إيجاز القصر في قوله تعالى: "نرث الأرض ومن عليها"، حيث استخدم النص القرآني ألفاظاً قليلة للدلالة على معان كثيرة وهي: نرث الأرض والمخلوقات وكل شيء على ظهرها وفي باطنها، فكل ما ذكر عائد إلينا لا محالة.

كما استخدم النص القرآني أسلوب التوكيد؛ ليكون رادعاً للمشركين الذين ينكرون جزاء الله وأنه يرث الأرض ومن عليها باستخدام المؤكدات التالية:

إن + الضمير المتصل "نا" والضمير المنفصل "نحن"، مما أعطى بعداً كبيراً لهذه الآية وما تحويه من حقائق، ولم يكتف النص القرآني بالتوكيد في بداية الآية بل ضمنها بأسلوب قصر باستخدام التقديم والتأخير الذي يفيد التخصيص والتوكيد في قوله تعالى: "وإلينا يرجعون"، وتذييل النص القرآني بهذه الآية؛ لتهديد المشركين بأنه لا مفر لهم من قبضة الله وأن آلهتهم ليست بمرجوة لنفعمهم إذ ما هي إلا مما يرثه الله. (6)

(1) علوان، من بلاغة القرآن (138).

(2) القزويني، الإيضاح (ج3/181).

(3) الرمانى، النكت في اعجاز القرآن (ص76).

(4) أبا زهرة، المعجزة الكبرى القرآن (ص234).

(5) [مريم:40].

(6) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج16/110-111).

قال تعالى: ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (1)

جاء إيجاز القصر في لفظة "يفتنون" وبما أن الفتن كثيرة ومنها فتنة الأموال والأولاد والشهوات والمعتقدات .. وغيرها مما لا مجال لحصره، فكل هذه الفتن دخلت تحت لفظة يفتنون وانحصرت فيها.

ومما يمكن ملاحظته في هذه الآية أن النص القرآني استخدم لفظة ذات دلالة عامة وشاملة، وهو بهذا يجسد أروع صور الفصاحة والإعجاز البلاغي؛ لأن هذه اللفظة شملت كل الجزئيات والأنواع للفتن دون حاجة للحديث عنها؛ نظراً لكونها تبعد القارئ عن المضمون وتشعره بالملل فهي تزويد لما يعرفه مسبقاً.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (2)

جاء إيجاز القصر هنا في لفظة "الصالحات" فالصالحات كثيرة من صيام وصلاة وصدقة وقيام وقول حسن الخ فكل هذه الأمور وغيرها مما لا يتسع المجال لذكرها من أعمال وأقوال صالحة قد انحصرت في هذه اللفظة، فكانت بذلك أبلغ وأكثر إيجازاً واحتواءً ومناسبة للمعنى، وهذا يكشف فصاحة ألفاظ القرآن الكريم وبراعة مناسبتها للمقام.

ولننظر لبراعة التركيب النحوي هنا، فقد بدأت الآية ب"واو" القسم التي تفيد التوكيد، وبها أقسم الحق تبارك وتعالى بأن جزاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات تكفير الذنوب والجزاء الحسن، واتصال اللام الواقعة في جواب القسم بالفعل المضارع "لنكفرن - لنجزين" جاءت لتؤكد على استمرارية تكفير السيئات واستمرارية الجزاء الحسن لهم على ما قدموا.

واستخدام واو العطف بين جملتي "الذين آمنوا" و"عملوا الصالحات" تدل على أن الأعمال مغايرة للإيمان؛ لأن العطف يوجب التغاير، فالإيمان هو التصديق والأعمال الصالحة داخلة فيما هو المقصود من الإيمان؛ لأن تكفير السيئات والجزاء بالأحسن معلق عليها وهي ثمرة الإيمان، فالإيمان يقابله تكفير السيئات، والعمل الصالح يقابله الجزاء بالأحسن. (3)

ولم يكتف السياق القرآني بتكفير السيئات والجزاء الحسن بل وعد بأحسنه باستخدام اسم التفضيل "أحسن" الذي يدل على عظيم الأجر والثواب أضعاف ما عملوا.

(1) [العنكبوت:2].

(2) [العنكبوت:7].

(3) انظر: الرازي، التفسير الكبير (ج25/29-30).

أما استخدام الاسم الموصول "الذي" صراحة بدلاً من "ما" فكان ذو وقع مثير على الأذن مما ساهم في إتمام الصورة المؤكدة التي لا تدع مجالاً للشك بصحة ما جاء فيها.

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (1)

في هذه الآية من البلاغة ما لا يخفى على أحد، فقد جاء إيجاز القصر في لفظة "الخلق" حيث قصر الله سبحانه وتعالى جميع الخلق من بشر وحيوانات ونباتات وغير ذلك مما أوجده تبارك اسمه بهذه اللفظة، مما يزيد زخم بلاغة القرآن الكريم.

ومن المحسنات البديعية التي أوضحت المعنى وأبرزته استخدام الطباق الايجابي بين "يبدئ ويعيد" وهذا دليل على كمال قدرة الله عز وجل في البدء من العدم وإعادة الخلق بعد الممات.

كما وابتدأت الآية بالاستفهام الإنكاري الذي يفيد التقرير "أو لم يروا"، وبهذا الاستفهام يكون الحق جل وعلا قد نفى عليهم ما ذهبوا اليه وأقرهم بالمعنى المطلوب.

وعبر النص القرآني بالفعل المضارع "يروا" بدلاً من "يعلموا"؛ ليلفت أنظارنا إلى أن إخباره تبارك وتعالى لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أوثق له من رؤيته بعينه. (2)

وجاءت "كيف" حالية، وتعرب: اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب حال (3)؛ لتدل على هيئة حدوث الخلق، وقد جاء حرف العطف "ثم" بين الفعلين "يبدئ ويعيد"؛ ليدل على معنى عظيم وهو وجود فترة زمنية بين بداية الخلق وإعادته، وأخيراً ختمت الآية بأسلوب التوكيد الذي يؤكد سهولة الأمور المذكورة على رب العباد.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىكَ مَرَّةً أُخْرَى﴾ (4)

(5)؛ لأن الله ﴿جاءت هذه الآية معطوفة على الآية السابقة (قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى سبحانه وتعالى أمر موسى عليه السلام أن يذهب لقوم فرعون رسولاً لهم، فطلب موسى عليه

(1) [العنكبوت:19].

(2) انظر: الشعراوي، خواطر حول القرآن الكريم (ج18/11116).

(3) انظر: الصافي، الجدول في اعراب القرآن (ج20/322).

(4) [طه:37].

(5) [طه:36].

السلام من ربه عز وجل أن يشرح صدره وييسر عليه هذه المهمة ويحل عقدة لسانه، ويعينه بهارون ليكون معه وزيراً ويشد من أزره ويعينه ويقويه؛ لأنه يخاف من تكذيب المشركين وقتلهم له لأنه قتل نفساً منهم، فأجاب ربه بتحقيق سؤاله ثم ذكر له أنه من عليه من قبل والآن أيضاً.

وقد وقع إيجاز القصر في لفظة "مننا" فالمن يشمل كل الأمور السابقة التي طلبها موسى عليه السلام من ربه، بالإضافة إلى أمور سابقة لها تفهم من قوله تعالى: "مرة أخرى" فهي تدل على إعادة المن والإكرام له، وهذا خير دليل على من سبق قد من به المولى عز وجل على موسى، وقد كان ذلك فعلاً عندما قذفته أمه في التابوت والنقطة آل فرعون ثم أُعيد لأمه كي ينشأ في كنفها، بالإضافة إلى العديد من النعم الأخرى.

كما بدأت الآية بأسلوب توكيد "لام القسم + قد"؛ للتأكيد على فضل الله ومنته على نبيه موسى عليه السلام وأن هذا يجري على كل من آمن به وتوكل عليه، وهذه الآية خبرية طلبية، فموسى على علم بما تفضل المولى عليه من النعم، وبرغم هذا فقد أكدت الآية؛ لتحقيق الخبر، فتحقيق الخبر له تحقيق للآية؛ لتحقيق الخبر، وفي هذا كله زيادة في عناية الله بنبيه وتطمينه.⁽¹⁾

واتصال الفعل الماضي "مننا" بضمير الجمع؛ للتعظيم في حديث الله تعالى عن نفسه.

ومنه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾⁽²⁾

إيجاز القصر في لفظة "الطيبات"، فقصر المولى عز وجل كل ما هو طيب من مأكل ومشرب ونعم عظيمة بهذه اللفظة من باب الاختصار فكانت أبلغ من الاسترسال بما هو معلوم ولا يمكن حصره.

وبدأت الآية بالنداء الذي يهدف لجذب انتباه المتلقي للأمر المطروح.

واحتوت الآية على أسلوب الأمر الذي يفيد الإلزام في الفعلين: "كلوا- اعملوا"، ثم ختمت الآية بالتوكيد ب "إني"؛ للدلالة على شمولية علم الله تعالى وإحاطته بكافة الأمور.

ومنه قوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾⁽³⁾

قال الثعالبي عن "فاصدع بما تؤمر": "ثلاث كلمات اشتملت على شرائط الرسالة، وشرائعها، وأحكامها، وحلالها، وحرامها".⁽¹⁾

(1) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج16/215).

(2) [المؤمنون:51].

(3) [الحجر:94].

فهذه الثلاث كلمات انحصرت فيها كل ما ذكره الثعالبي، وليس أبلغ وأعظم من هذا الإيجاز.

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (2)

لما قالت بلقيس ملكة سبأ لقومها: يا أيها الأشراف ألقى إلي كتاب كريم، وقد وصفته بالكرم؛ لاشتماله على الكلام الحكيم، والأسلوب البديع، والتوجيه الحسن، ولجمال هيئته، وعجيب أمره، أفصحت بعدها عن مصدره فقالت: "إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ" وعن مضمونه فقالت: "وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ" وفي ذلك إشارة إلى وصفه بالكرم، حيث اشتمل على اسم الله تعالى وعلى بعض صفاته، وعلى ترك التكبر، وعلى الدخول في الدين الحق. (3)

وهذه الآية من إيجاز القصر فقد قال عنها جلال الدين السيوطي: "إنه من سليمان { إلى قوله: {وأوتوني مسلمين} جمع في أحرف: العنوان والكتاب والحاجة". (4)

(1) الثعالبي، الإعجاز والإيجاز (ص17).

(2) [النمل:30].

(3) انظر: طنطاوي، التفسير الوسيط (ج10/322).

(4) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن (ج3/182).

ثانياً: الإطناب

الإطناب لغة:

جاء في لسان العرب "الإطناب: البلاغة في المنطق والوصف، مدحاً كان أو ذماً، وأطنب في الكلام: بالغ فيه، والإطناب: المبالغة في مدح أو ذم والإكثار فيه، والمطنب: المداح لكل أحد".⁽¹⁾

الإطناب اصطلاحاً:

هو "زيادة اللفظ على المعنى لفائدة"⁽²⁾ وهو "تأدية المعنى بعبارة زائدة عن متعارف أوساط البلغاء، لفائدة تقويته وتوكيده".⁽³⁾

مما سبق يتضح لنا أن الإطناب يكون لغرض الفائدة، فإن انعدمت الفائدة فهو حشو لا طائل منه.

أنواع الاطناب:

للإطناب أنواع كثيرة، سنذكر منها ما يلي:

1- الإيضاح بعد الإبهام:

فائدته: تقديم المعنى الواحد في صورتين مختلفتين إحداها مبهمة والأخرى موضحة، و تمكينه في نفس المتلقي تمكيناً زائداً؛ لوقوعه بعد استشراف النفس إليه بالإبهام، وتكميل لذة العلم به، إذ بدأت ناقصة بالإبهام، وكملت بالإيضاح، فالشيء إذا علم ناقصاً تشوقت النفس إلى العلم به كاملاً، وحصل لديها ظمأ لمعرفة، فإذا استكملت النفس معرفته كانت لذتها أشد من حصول العلم به دفعة واحدة.⁽⁴⁾

(1) ابن منظور، لسان العرب (ج1/562).

(2) ابن الأثير، المثل السائر (ج2/120).

(3) الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (ص201).

(4) انظر: الميداني، البلاغة العربية (ج2/67).

قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ * أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ وَجَنَاتٍ وَعُيُونٍ﴾ (1)

في الآية إيضاح بعد الإبهام، فإن ذكر الأنعام والبنين والجنت والعيون توضيح لما أبهم في قوله تعالى: "أمدكم بما تعلمون".

قال تعالى: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ * أَنْ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَالْكَافِرِينَ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ (2)

فقوله: "أن اقذفيه في التابوت ... الخ" ، إيضاح لما أبهم في قوله تعالى : "أوحينا إلى أمك ما يوحى".

قال تعالى: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾ (3)

ففي الإبهام ثم التفسير تفخيم للأمر وتعظيم له، فقوله: "اشرح لي" يفيد طلب شيء ما، وقوله: "صدري" توضيح وتفسير لهذا الأمر، وكذا الحال مع "يسر لي أمري". (4)

2- ذكر الخاص بعد العام:

فائدته: "التنبيه على فضله، حتى كأنه ليس من جنس العام أو نوعه، تنزيلاً للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الذات". (5)

قال تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (6)

في هذه الآية نوعان من الإطناب، الأول: إطناب بتكرار جملة "أنزلنا"؛ وذلك لإبراز كمال العناية بشأن هذه السورة. (7)

الثاني: إطناب بذكر الخاص بعد العام، فالآيات البينات داخلة في عموم السورة، ولكنه اختصها بالذكر؛ للتنبيه على فضلها ومزاياها.

(1) [الشعراء: 132-134].

(2) [طه: 38-39].

(3) [طه: 25-26].

(4) انظر: علوان، من بلاغة القرآن (ص140).

(5) الميداني، البلاغة العربية (ج2/69).

(6) [النور: 1].

(7) الصابوني، صفوة التفاسير (ج2/302).

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَىٰ كُلًّا مَّا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبِعَدَا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (1)

جاءت هذه الآية بعد حديث الله عز وجل عن قوم نوح المكذبين وبيان عاقبتهم، ففي هذا السياق يوضح الله عز وجل حقيقة هؤلاء الكفرة، فكلما بعث لهم الرسل الواحد تلو الآخر، كذبوا بهم واتخذوا في تكذيبهم مسلك من سبقهم من الضالين المكذبين، فألحق الله بعضهم في إثر بعض بالهلاك والدمار، وجعلهم أحاديث وأخبار تروى على كل لسان؛ لدمهم وسخطهم على ما فعلوا، وأخيراً يختتم المولى عز وجل الآية بجملة دعائية مفادها الهلاك والعذاب لأولئك الكفرة. (2)

الشاهد في قوله تعالى: " كل ما جاء أمة رسولها كذبوه " فالرسول داخل في عموم الأمة وهو جزء منها لكنه خصه بالذكر؛ تنبيهاً على فضله وشرف مكانته وسمو رسالته التي جاء بها. كما واحتوت الآية الكريمة على تقديم وتأخير، فقد تقدم المفعول به "أمة" على الفاعل "رسولها" وجوباً؛ لاشتمال الفاعل على ضمير يعود على المفعول، ولو تقدم الفاعل لعاد الضمير على متأخر لفظاً ورتبة وهذا غير جائز. (3)

ولفظة "تتري" اسم وليست فعل بدليل ما ذكره الطبري في تفسيره من أن بعض قرآء أهل مكة، وبعض أهل المدينة، وبعض أهل البصرة يقرؤون (تتراً) بالتثنية، والبعض الآخر من أهل مكة وأهل المدينة، وعامة قرآء الكوفة يقرؤونه: (تتري) بإرسال الياء على مثال (فعلَى)، ويرى في ذلك أنهما قرآءتان مشهورتان، ولغتان معروفتان في كلام العرب، بمعنى واحد، فبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيب، غير أنه مع ذلك اختار القراءة بغير تنوين؛ لأنها أفصح وأشهر اللغتين. (4)

فالفعل لا ينون، وبذلك ثبت أنها اسم، فضلاً عن كون التاء الأولى بدلاً من الواو، فأصلها وتري، والوتر هو الفرد. (5)

(1) [المؤمنون:44].

(2) انظر: الصابوني، صفوة التفاسير (ج2/283).

(3) انظر: الفوزان، دليل السالك إلى ألفية ابن مالك (ج1/337).

(4) انظر: ابن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن (ج19/34).

(5) انظر: الشعراوي، خواطر حول القرآن الكريم (ج16/10043-10044).

3- ذكر العام بعد الخاص:

فأدته: "إفادة العموم والتبنيه على فضل الخاص".⁽¹⁾

قال تعالى: ﴿ فَأِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِّ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾⁽²⁾

يخاطب الحق تبارك وتعالى سيدنا نوح عليه السلام قائلاً له: إذا علوت أنت ومن معك من المؤمنين على السفينة، فاحمدوني على تخليصي إياكم من الغرق والهلاك.⁽³⁾

وكان الله عز وجل قد أغرق وأهلك كفار قوم نوح عليه السلام بعد أن عرض عليهم الإيمان فرفضوا وكذبوه، فدعا ربه أن ينجيه منهم ويهلكهم، فكان له ما طلب.

وفي الآية إطناب بذكر العام "من معك"؛ أي: الجماعة المؤمنة التي اتبعت سيدنا نوح عليه السلام، بعد الخاص "أنت" وهو الضمير العائد على نوح عليه السلام؛ وذلك لإفادة العموم بنجاة كل من آمن من القوم، وللتبنيه على فضل نوح عليه السلام وحرصه على نجاة المؤمنين، فقدم الخاص على العام للأهمية والتخصيص.

بدأت الآية بأسلوب شرط اقترن جوابه بالفاء وجوباً؛ لأن جملة جواب الشرط طلبية فعلها أمر "قل"⁽⁴⁾، وتسمى هذه الفاء ب:

أ- فاء الربط؛ لربطها الجواب بالشرط.

ب- فاء الجواب؛ لوقوعها في جواب الشرط.

ولقد عبر النص القرآني بالفعل الماضي "استويت"؛ للدلالة على حدوث الفعل في الزمن الماضي وانتهائه، فالاستواء يعني رسو السفينة على أرض منبسطة سهلة، فهذه الآية حملت معنى الوعد من الله سبحانه وتعالى لنوح عليه السلام بالنجاة من الطوفان المخيف، ورسو سفينته لا محالة، وأن هذه الرحلة التي سيخوضها هي رحلة مأمونة، عاقبتها السلامة والنجاة، وحقها الحمد والشكران لرب العالمين.⁽⁵⁾

(1) علوان، من بلاغة القرآن (ص141)، وانظر: الميداني، البلاغة العربية (ج2/69).

(2) [المؤمنون:28].

(3) انظر: الصابوني، صفوة التفاسير (ج2/282).

(4) انظر: عيد، النحو المصنف (ص384).

(5) انظر: الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (ج9/1131).

قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ (1)

"يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله عيسى ابن مريم عليهما السلام أنه جعلهما آية للناس؛ أي: حجة قاطعة على قدرته على ما يشاء، فإنه خلق آدم من غير أب ولا أم، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر، وخلق بقية الناس من ذكر وأنثى". (2)

وفي الآية إطناب بذكر العام "أمه" وهي: مريم ابنة عمران عليها السلام، بعد الخاص "ابن مريم" وهو كناية عن موصوف عيسى عليه السلام، والمعروف أن الأب والأم هما أصل عام لأبناهما والأبناء فرع عنهما، ولكنه قدم الفرع على الأصل؛ للأهمية والتخصيص، ولمناسبة السياق القرآني في السورة، فهي تتحدث عن المرسلين ودليل ذلك قوله تعالى في الآيات التالية:

1- ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (3)

2- ﴿ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (4)

3- ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولًا نَتَرَى كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولَهَا كَذِبُهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (5)

4- ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾ (6)

5- ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ (7)

فجميع الآيات السابقة تحدثت عن الأنبياء المرسلين إلى أقوامهم، ولم تتحدث عن مريم عليها السلام في شيء، لذلك قدم عنها.

وانظر إلى براعة التركيب النحوي في الآية فهي بدأت بالفعل "جعل" الذي يفيد التحويل والصورورة، فالله سبحانه وتعالى قد صير وحول مريم أمّاً دون زواج كما صير عيسى عليه السلام ابناً دون أب، وهذا من أكبر المعجزات التي اختص بها المولى عز وجل.

(1) [المؤمنون:50].

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج5/ 414).

(3) [المؤمنون:23].

(4) [المؤمنون:32].

(5) [المؤمنون:44].

(6) [المؤمنون:45].

(7) [المؤمنون:51].

وقد أتى بلفظة "آية" مفردة في قوله: "وجعلنا عيسى ابن مريم وأمه آية" وهذا مناسب لصيرورتهما معجزة كبرى، فكأن المعنى: وجعلنا جميعهما آية.

وبعد إقرار النص القرآني للمعجزة التي قدرها لمريم وابنها عليهما السلام، من عليهما بأن جعل منزلهما ومأواهما إلى مكانٍ مرتفع من أرض بيت المقدس، مستقر ومستو عليه ماء جار ظاهر للعيون.⁽¹⁾

4- التفصيل بعد الإجمال :

قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾⁽²⁾

جاءت هذه الآية في سياق حديث الله عز وجل عن صفات المؤمنين، فبعد أن اتصفوا بالصفات الحميدة والأفعال الرشيدة، أجمل الله سبحانه وتعالى المعنى بقوله "أولئك هم الوارثون"، وقد أشار عنهم بلفظة "أولئك" التي هي اسم، متبوعة بضمير الفصل "هم" للتوكيد، ثم فصل للقارئ ماذا يرث هؤلاء؛ حتى لا يلتبس عليه المعنى أو يظن أن الميراث قد يكون مادياً أو ما شابهه وجيء بالتفصيل من باب التوكيد وإفهام القارئ ما يريد، "فالمؤمنون يرثون منازل الكفار؛ لأنهم خلقوا لعبادة الله تعالى وحده لا شريك له، فلما قام هؤلاء المؤمنون بما وجب عليهم من العبادة، وترك أولئك ما أمروا به مما خلقوا له، أحرز هؤلاء نصيب أولئك لو كانوا أطاعوا ربهم عز وجل بل أبلغ من هذا أيضاً".⁽³⁾ وفي ذلك يقول عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم: "يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال، فيغفرها الله لهم ويضعها على اليهود والنصارى"⁽⁴⁾

ومما تجدر الإشارة إليه أن لفظة "الفردوس" مذكر ولكن أنت الضمير العائد إليها باعتبارها مؤنثاً، فالأصل "فيه" وليس "فيها"، إلا أنه أنت حملاً على معنى الجنة، وبذلك أقيم التأنيث مقام التنكير.⁽⁵⁾

(1) انظر: الصابوني، صفوة التفاسير (ج2/283-284).

(2) [المؤمنون: 10-11].

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج5/405).

(4) [النيسابوري: صحيح ابن مسلم، التوبة / باب قبول توبة الكافر وإن كثر قتله، 4 / 2120 : رقم الحديث 2767].

(5) انظر: الأبياري، الموسوعة القرآنية (ج2/208).

كما وحُذِفَ مفعول اسم الفاعل "الوارثون" وتقديره الجنة؛ لدلالة السياق عليه في قوله:
"الذين يرثون الفردوس" فلا حاجة لتكرار ما لا يلزم.⁽¹⁾

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾⁽²⁾

في هذه الآيات تحذير وإنذار من الشرك بالله عز وجل والقتل والزنا، وفيها وعيد لمن يفعل ذلك بالعذاب العظيم المضاعف والمستمر الذي لا انقطاع له.

وفي قوله تعالى: "يلق أثاماً" إجمال للعقاب؛ لغرض تخميمه وتعظيمه، فهو شديد عظيم، ثم فصله بعد ذلك بقوله: "يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً" فهذا العقاب كبير ومضاعف وفيه خلود في النار، حيث عبر بالفعل المضارع "يخلد"؛ للدلالة على استمرارية خلوده في جهنم، وشدة العذاب الملقى عليه.

5- الإجمال بعد التفصيل:

ومنه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعَبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾⁽³⁾

يخاطب الله سبحانه وتعالى المؤمنين بالأمر على وجه الإلزام بأن يركعوا ويسجدوا، ولا يخفى علينا أن الركوع والسجود جزء من العبادة وداخل فيها، لكنه بدأ بالتفصيل ثم عاد فأجمل ذلك بقوله "اعبدوا"؛ نظراً لأهمية الصلاة كونها صلة بين العبد وربّه وبها يتميز المؤمن عن الكافر.

وفي قوله: (لعلكم تفلحون) خرجت (لعل) لمعنى التعليل؛ أي لكي تفلحوا.

وقوله تعالى: ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾⁽⁴⁾

حيث ذكرت الآية "الذين في قلوبهم مرض" و"القاسية قلوبهم" وهذان الصنفان هما اللذان يُلقى الشيطان في قلوبهم الفتنة، وبعد أن فصلت الآية بذكر هذين الصنفين من الكفار، عادت

(1) انظر: الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (ج5/321).

(2) [الفرقان: 68-69].

(3) [الحج: 77].

(4) [الحج: 53].

وأجملت ذكرهم حيث وصفتهم بالظالمين، ومما لا شك فيه أن الكفار وأصحاب القلوب المريضة هم الظالمون الذين ظلموا أنفسهم باتباعهم الشيطان، وفي إعادة وصفهم بالظالمين تأكيداً على ظلمهم وتمكن الصفة منهم.

6- الاحتراس:

ويقال له التكميل، و"هو أن يُؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود، بما يدفع ذلك الوهم".⁽¹⁾

قال تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَلَّةً أَيْكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾⁽²⁾

يدعو الله سبحانه وتعالى المؤمنين للجهاد في سبيله ببذل كل ما في وسعهم للقيام التام بأمر الله، ودعوة الخلق إلى سبيله بكل طريق موصل إلى ذلك، من نصيحة وتعليم وقتال وأدب وزجر ووعظ وغير ذلك، فهو الذي اختار لهم الدين واختار لهم أفضل الرسل؛ لذلك وجب مقابلة هذه النعمة بالقيام بالجهاد فيه حق الجهاد.⁽³⁾

ولما كان قوله: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ قد يدفع البعض إلى التوهم أن هذا من باب تكليف ما لا يطاق، أو تكليف ما يشق، احترز منه بقوله: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ أي: ما جعل لكم فيه من مشقة وعسر، بل يسره غاية التيسير، وسهله بغاية السهولة⁽⁴⁾، مما لا يترك مجال للظن والطعن في هذا الدين، فهو دين اليسر لا العسر، حيث قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾⁽⁵⁾، وقال أيضاً: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾⁽⁶⁾ وغيرها من الآيات الدالة على ذلك.

(1) الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (ص205).

(2) [الحج:78].

(3) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص546).

(4) المرجع السابق، ص564.

(5) [البقرة:185].

(6) [البقرة:286].

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمْرُهُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (1)

جاء الاحتراس في قوله تعالى: (وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ) وهذا احتراس بديع، فقد أضاف سبحانه اسمه الى مكة؛ تشريفاً لها وذكرها لتحريمها، ولما أضاف اسمه الى البلدة المخصوصة بهذا التشريف أتبع ذلك إضافة كل شيء سواها إلى ملكه؛ قطعاً لتوهم اختصاص ملكه بالبلدة المشار إليها وتنبهياً على أن الإضافة الأولى إنما قصد بها التشريف لا لأنها ملك له تبارك وتعالى خاصة. (2)

7- الاعتراض:

هو "كل كلام أدخل فيه لفظ مفرد أو مركب لو سقط لبقى الأول على حاله". (3) وهو "أن يُؤتى في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين معنى بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب لنكتة". (4)

قال تعالى: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَءَ أَهْلِهَا آذِنَةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ * وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ (5)

أي: قالت صاحبة سبأ للملأ من قومها إذ عرضوا عليها أنفسهم لقتال سليمان: إن أمرتهم بذلك فإن الملوك إذا دخلوا قرية عنة وغلبة خزبواها، وأذلوا أعزة أهلها وذلك باستعبادهم الأحرار، واسترقاقهم إياهم.

وتناهى الخبر منها عن الملوك في هذا الموضع، فقال الله: (وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ)؛ أي: كما قالت صاحبة سبأ تفعل الملوك، إذا دخلوا قرية عنوة. (6)

وجملة "كذلك يفعلون" اعتراض بين قولها: "إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَءَ أَهْلِهَا آذِنَةً"، وقولها: "وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ"، والغرض البلاغي

(1) [النمل:91].

(2) انظر: درويش إعراب القرآن وبيانه (ج7/268).

(3) ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب (ج2/183).

(4) علوان، من بلاغة القرآن (ص143).

(5) [النمل:34-35].

(6) انظر: ابن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن (ج19/454).

من هذا الاعتراض هو تقرير وإثبات أن الملوك إذا دخلوا قرية دموها وشتتوا شملها وبذلك أصبح أعزة القوم أدلة، وما هذا إلا لأجل الملك والسيطرة وتقرير الخوف في نفوس الناس.

وقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾⁽¹⁾

بدأت الآية بـ "ما" النافية السابقة لـ "كان"، ثم تحدث الله سبحانه وتعالى عما ينسب إليه من اتخاذه الولد، وبعدها نزه نفسه عن كل ما نسب إليه بالجملة الاعتراضية "سبحانه"، ومن الجدير بالذكر أن نفي الولد يعود بالضرورة إلى نفي الزوجة أو الصاحبة، فكانت هذه الآية رداً بليغاً قوياً على الكفار.

8- التذييل:

وهو تعقيب جملة بجملة أخرى مستقلة، تشتمل على معناها، تأكيداً لمنطوق الأولى، أو لمفهومها⁽²⁾.

قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مَّتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾⁽³⁾

يخاطب الله سبحانه وتعالى نبيه محمد عليه الصلاة والسلام قائلاً له: ما خلدنا أحداً من بني آدم قبلك ولن نخلدك أيضاً، فعندما تموت، هل سيبقى هؤلاء الكفار؟؟ فقله: "أفإن مت فهم الخالدون" تذييل لما قبلها بطريق الاستفهام الإنكاري؛ للدلالة على نفي الخلود عن أي مخلوق على وجه الأرض، فالحياة فانية، قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾⁽⁴⁾

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَّبِحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾⁽⁵⁾

فقله تبارك وتعالى: "إنه كان من المفسدين" تذييل لما جاء قبله؛ لتأكيد معنى الفساد في فرعون، ذلك أنه ارتكب أبشع وأفظع الجرائم والمفاسد العظيمة

(1) [مريم:35].

(2) الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (ص204).

(3) [الأنبياء:34].

(4) [الرحمن:26-27].

(5) [القصص:4].

9- التتميم:

وهو "زيادةً فضلة، كمفعول أو حال أو تمييز أو جار ومجرور، توجد في المعنى حسناً بحيث لو حذفت صار الكلام مبتذلاً" (1).
كقول ابن المعتز يصف فرساً:

صَبِينَا عَلَيْهَا ظَالِمِينَ سَيَاطِنَا فَطَارَتْ بِهَا أَيْدٍ سِرَاعٌ وَأَرْجُلٌ (2)

فلو حذفنا الحال (ظالمين) لكان الكلام مُبتذلاً، لا رقة فيه ولا طلاوة وتوهّم القارئ أن الفرس بليدة تستحق الضرب، وهي خلاف ذلك. (3)

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ﴾ (4)

جاءت في هذه الآية جملة "وهو مؤمن" تنميماً، وفائدة هذا التتميم الإشارة إلى أن الأعمال الصالحة المقبولة التي لا ينبغي أن يخاف صاحبها، هي أعمال المؤمن دون الكافر، فقد يعمل الكافر أعمالاً جيدة لكنها لا تدخله الجنة بسبب كفره وجحوده.
ومن هنا قال السيوطي: "وهو مؤمن" تتميم غاية في الحسن". (5)

10- التكرار :

وهو "دلالة اللفظ على المعنى مكرراً". (6)

ومن أغراضه على سبيل الذكر لا الحصر:

أ- تأكيد المعنى وتقريره في النفس:

قال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ (7)

(1) الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (ص205).

(2) ابن المعتز، ديوان ابن المعتز (ص364).

(3) انظر: الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (ص205).

(4) [طه:112].

(5) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن (ج3/252).

(6) علوان، من بلاغة القرآن (ص141).

(7) [مريم:30-31].

كرر السياق القرآني الفعل "جعلني" على لسان عيسى ابن مريم عليه السلام؛ لتأكيد المعنى في نفس المخاطب وتقريره، وليعي جيداً حقيقة عيسى عليه السلام، وهذا أقوى رد على من يؤلّهونه هو وأمه، حيث أقر عليه السلام بعبوديته لله تعالى، ثم أقر بعد ذلك بنص صريح على النبوة بقوله: "جعلني نبياً"، وأن الله عز وجل أكرمه بمعجزات عديدة، وقد أكد عيسى عليه السلام هذا الأمر في بداية الآية بأسلوب التوكيد "إني" ثم بالمركب الإضافي "عبد الله"، واستخدم الفعل الماضي "أتاني"؛ ليدلل على انتهاء الفترة الزمنية، وربما في هذا إشارة إلى انتهاء زمن المسيحية والنصرانية وبقاء دين الإسلام.

ب- ترغيب المخاطب واستمالته لقبول الخطاب:

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً * يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيّاً * يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاً﴾⁽¹⁾

جاءت هذه الآية على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام؛ لاستمالة وترغيب أبيه في الإيمان بالله، لذلك تكرر النداء "يا أبت" أربع مرات؛ ليستدر عاطفة الأبوة الجياشة ويفتح آفاقاً من المحبة والقبول، وفي كل مرة كان يُرسي منهجاً تربوياً رائعاً في الإقناع والترغيب، ففي المرة الأولى كان هدف سيدنا إبراهيم عليه السلام تنشيط عقل أبيه؛ ليعاود التفكير في شأن هذه الأصنام، وذلك من خلال وضعه هدفاً يمس حياته، وهو النفع والمصلحة، فإذا كانت الأصنام لا تسمع ولا تبصر، فكيف لها أن تنفع من يعبدها؟؟

وفي هذا محاولة للإقناع ودعوة للتفكير من خلال استغلال العقل واستثارته، أما النداء الثاني فقد جاء للتأكيد على ثقة إبراهيم بما آتاه ربه مع اتباع أسلوب التحفيز، فإن اتبعه سيهديه بإذن ربه إلى الطريق السليم المؤدي للجنة، وقد جاء النداء الثالث لبسط الحقائق وتوضيحها فعبادة الأصنام هي عبادة للشيطان، وأما النداء الرابع فخرج للتهديد والوعيد بالعذاب من الله عز وجل إن استمر على عصيانه.

(1) [مريم: 42-45].

ت- طول الفاصل:

قال تعالى: ﴿إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَىٰ النَّارِ هُدًى﴾⁽¹⁾

حيث وردت لفظة "النار" مكررة على لسان سيدنا موسى عليه السلام، الأولى في قوله: "آنست ناراً"، والثانية في قوله: "أو أجد على النار هدى"؛ وذلك لطول الفصل خشية أن يكون الذهن قد غفل عما ذكر أولاً، وليتصل أول الكلام بآخره اتصالاً جيداً يمنع اللبس وقطع المعنى أو حمله على معنى آخر.

وقد بدأت الآية بالتوكيد "إني" مع الفعل الماضي "آنست" الذي يحمل معنى الأُنس، وهو بمعنى الملاطفة وإزالة الوحشة، وقد ناسب ذلك التعبير ظروف موسى عليه السلام، خاصة وهو في مكان يحتاج فيه من يؤنسه ويؤازره، وهذا من أعظم الدلائل على فصاحة القرآن ودقة انتقاء الفاظه.

كما احتوت الآية على أسلوب الرجاء في قوله تعالى: "لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَىٰ النَّارِ هُدًى" فموسى عليه السلام لم يكن يعلم من هو صاحب النار ومن الذي أشعلها، لكنه كان يرجو أن يجد فيها مراده.

(1) [طه:10].

الفصل الثاني
التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية
"في علم البيان"

علم البيان

البيان لغة:

الفصاحة واللسن، وكلام بين فصيح، والإفصاح مع نكاه، والبين من الرجال: الفصيح، وفلان أبين من فلان؛ أي: أفصح منه وأوضح كلاماً. (1)

وقد ذُكرت كلمة "البيان" بدلالاتها اللغوية في العديد من الآيات القرآنية، ومنها:

قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ (2)

وقوله تعالى: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (3)

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ

هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِّلْمُسْلِمِينَ﴾ (4)

البيان اصطلاحاً:

عرفه الجاحظ بأنه: "الدلالة الظاهرة على المعنى الخفي" (5)

أو أنه "اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يغضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصولة كائناً ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل؛ لأن مدار الأمر والغاية التي يجري القائل والسامع، إنما هو الفهم والأفهام، فبأي شيء بلغت الأفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع." (6)

مما سبق يتضح أن البيان هو إجلاء وكشف للحقيقة.

(1) انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (بين) (ج 68/13) وانظر: الرازي، مختار الصحاح (ص 43).

(2) [الرحمن: 1-4].

(3) [آل عمران: 138].

(4) [النحل: 89].

(5) الجاحظ، البيان والتبيين (ج 82/1).

(6) المرجع السابق، ج 82/1.

وعرفه السكاكي بأنه: "معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه".⁽¹⁾

ولعل هذا التعريف هو ما أجمع عليه علماء البلاغة في تعريفهم للبيان؛ لشموله وعمومه، ومن هنا عرفوه بأنه: "علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه".⁽²⁾

"وتقييد الاختلاف بالوضوح؛ لتخرج الألفاظ المترادفة كليث وأسد وعضنفر، فإنها وإن كانت طرقاً مختلفة لإيراد المعنى الواحد، فاختلفها إنما هو في اللفظ والعبارة، لا في الوضوح والخفاء".⁽³⁾

أهمية علم البيان:

أشار العلماء القدامى إلى أهمية علم البيان، وفي طبيعتهم الإمام عبد القاهر الجرجاني حيث قال في كتابة دلائل الإعجاز: "ثم إنك لا ترى علماً هو أرسخ أصلاً، وأسبق فرعاً، وأحلى جنى، وأعذب ورداً، وأكرم نتاجاً، وأنور سراجاً، من علم البيان، الذي لولاه لم تر لساناً يحوك الوشي، ويصوغ الحلي، ويلفظ الدر، وينفث السحر، ويقري الشهد، ويريك بدائع من الزهر، ويحنيك الحلو اليناع من التمر، والذي لولا تحفيه بالعلوم، وعنايته بها، وتصويره إياها، لبقيت كامنة مستورة، ولما استبنت لها يد الدهر صورة، ولا ستمر السرار بأهلتها، واستولى الخفاء على جملتها، إلى فوائد لا يدركها الإحصاء، ومحاسن لا يحصرها الاستقصاء".⁽⁴⁾

موضوعات علم البيان:

- 1- التشبيه .
- 2- المجاز .
- 3- الاستعارة .
- 4- الكناية والتعريض .

(1) السكاكي، مفتاح العلوم (ص162).

(2) جابر وآخرون، الجامع في اللغة العربية (ص21)، وعلوان، من بلاغة القرآن (ص147).

(3) علوان، علوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع) (ص207).

(4) الجرجاني، دلائل الإعجاز (ج1/5-6).

المبحث الأول:

التركيب النحوية للتشبيه ودلالاتها البلاغية

أولاً: التشبيه:

التشبيه لغة:

قال ابن منظور في لسان العرب: "الشبه والشبه والتشبيه: المثل، والجمع أشباه. وأشبه الشيء: ماثله. وفي المثل: من أشبه أباه فما ظلم. وأشبه الرجل أمه: وذلك إذا عجز وضعف، وأشبهت فلاناً وشابته واشتبه علي وتشابه الشيطان واشتبهها: أشبه كل واحد منهما صاحبه، وشبهه إياه وشبهه به مثله، والمتشابهات: المتماثلات. وتشبه فلان بكذا. والتشبيه: التمثيل." (1)

إذاً: التشبيه في اللغة: التمثيل، وهو مشتق من مادة "شبه".

التشبيه اصطلاحاً:

تناول العديد من الدارسين موضوع التشبيه؛ نظراً لأهميته المنبثقة كونه من أكثر الموضوعات البيانية ظهوراً في النصوص القرآنية، فضلاً عن ظهوره في النصوص الأدبية المختلفة، مما جعله محط اهتمام الدارسين على اختلافهم.

وبناءً على ذلك فقد تعددت تعريفاته، ومن أهمها: تعريف المبرد في كتابه الكامل يقول: "واعلم أن للتشبيه حداً؛ لأن الأشياء تتشابه من وجوه، وتتباين من وجوه؛ فإنما ينظر إلى التشبيه من أين وقع." (2)

وهذا ما أكدته قدامة بن جعفر حين عرف التشبيه، فقال: "إنه من الأمور المعلومة أن الشيء لا يشبه بنفسه ولا بغيره من كل الجهات، إذ كان الشيطان إذا تشابهها من جميع الوجوه ولم يقع بينهما تغاير البتة اتحداً، فصار الاثنان واحداً، فبقي أن يكون التشبيه إنما يقع بين شيئين بينهما اشتراك في معان تعمهما ويوصفان بها، وافتراق في أشياء ينفرد كل واحد منهما عن صاحبه بصفتها، وإذا كان الأمر كذلك، فأحسن التشبيه هو ما وقع بين الشيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفردهما فيها، حتى يدنى بهما إلى حال الاتحاد" (3)

(1) ابن منظور، لسان العرب (ج3/503).

(2) المبرد، الكامل (ج3/766).

(3) ابن جعفر، نقد الشعر (صص 36-37).

أما التعريف الشامل للتشبيه فهو: "الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى بأداة من أدوات التشبيه الظاهرة أو المقدره"⁽¹⁾

ومن التشبيه الذي ظهرت فيه الأداة، قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾⁽²⁾

ومما لم تظهر فيه الأداة، قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾⁽³⁾

أقسام التشبيه:

أولاً: التشبيه باعتبار المحسوس والمعقول:

أ: تشبيه المحسوس بالمحسوس:

يكون المشبه والمشبه به حسيين؛ لاشتراكهما في المحسوسات، وهي مدركات السمع والبصر والدوق والنشم واللمس، كتشبيه الخدّ بالورد والوجه بالنهار، والفواكه الحلوة بالسكّر.⁽⁴⁾

ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيَّهُمْ يُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾⁽⁵⁾

تتحدث هذه الآية عن المواجهة التي وقعت بين سحرة فرعون ونبي الله موسى عليه السلام، إذ ظهر فيها عجزهم وبهتانهم وتجلت معجزة نبي الله موسى عليه السلام كعلامة كبرى على حقيقة الدين العظيم وصدق أنبياء الله عز وجل.

فقد شبه القرآن حبال وعصي السحرة بالأفاعي التي تسعى وتتحرك، بجامع الحركة و الاهتزاز، والطرفان حسيان؛ لأن كلاهما يدرك بإحدى الحواس الخمس.

وفي الآية إيجاز بالحذف؛ لدلالة السياق عليه، وتقديره: "قال بل ألقوا أولاً فلما ألقوا ما معهم من الحبال والعصي فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى"، وبناء على

(1) علوان، من بلاغة القرآن (ص148).

(2) [النور:35].

(3) [النمل:88].

(4) انظر: النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب (ج7/39).

(5) [طه:66].

ذلك وقعت "إذا" فجائية عاطفة على محذوف وهو المقدر، دالة أيضاً على قيام السحرة بأمر عظيم، يوضحه قوله تعالى: ﴿وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ﴾⁽¹⁾.

وقد عبرت الآية بالفعل المبني للمجهول "يُخِيل" دون غيره من الأفعال؛ للدلالة على أن سحرهم ما هو إلا وهم وخداع لا حقيقة، فلو كان حقيقة لما عبر عنه بالتخييل الذي هو ضد الحقيقة، وبهذه التعابير اكتسب النص القرآني فصاحته التي عجز أفصح العرب عن مجاراتها. قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾⁽²⁾

فلننظر إلى دقة التعبير القرآني في هذه الآية الكريمة، حيث شبه المولى عز وجل طي السماء على ما فيها من نجوم وسحاب وأجرام.... الخ بطي السجل على ما فيه من الكتاب؛ أي: بكل ما هو مكتوب فيه، بجامع التقلص والانكماش والتبديد، وهما صورتان حسيتان قربتا المعنى للأذهان بكل سلاسة ودقة، واللام في قوله (للكتاب) بمعنى "على"؛ لأن المراد بالسجل: الصحيفة، فالعرب كانت تطلق عليها ذلك، وبناءً على هذا كان المعنى الأصح للسجل هو الصحيفة، لا الملك أو صاحب السجل كما ذهب بعض العلماء.⁽³⁾

وفي الآية تقديم وتأخير إذ أصلها: "نعيد الخلق كما بدأنا أول خلق يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب وعداً علينا إنا كنا فاعلين"، ولكن قدم الظرف (يوم)؛ للتشويق ولفت الانتباه نظراً لأهمية ما يتعلق به، فطي السماء كطي الصحيفة أمر يثر الدهشة ويستوجب التأمل، وهو كائن لا محالة يوم الحساب، فكما بدأ المولى عز وجل خلقه لكل شيء من العدم وإعادة مرة أخرى عند البعث والحساب، كذلك تطوى السماء.

وقد دُيِّلت الآية بقوله تعالى: "إنا كنا فاعلين"؛ لتنزيل المخاطب منزلة المنكر للبعث، فكما ظن الكفار استحالة إعادة الخلق بعد الفناء، فقد أكد الله سبحانه وتعالى ذلك بالتوكيد "إنا" مع الاسم "فاعلين"؛ للدلالة على استمرارية تنفيذ وعد الله عز وجل.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا * فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾⁽⁴⁾

(1) [الأعراف:116].

(2) [الأنبياء:104].

(3) انظر: ابن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن (ج18/544).

(4) [طه:105-106].

لما أبطل الله سبحانه وتعالى شبهة المشركين باستحالة البعث يوم القيامة، عرض لنا شبهة أخرى اتخذوها دليلاً على تشكيكهم وطعنهم في صحة البعث، فقالوا: أين تكون الجبال يوم القيامة؟، وعلى أية حال - سواء كان السؤال استهزاءً أو استرشاداً - فقد جاءهم الجواب من ربهم بأنها ستنتسف وتصبح مستوية منبسطة كالأرض.⁽¹⁾

حيث شبه الله سبحانه وتعالى الجبال عندما تُنتسف بقاع الأرض المنبسطة والمستوية بجامع الانبساط والتمدد والاستواء، وهما صورتان حسيّتان.

وتجدر الإشارة هنا إلى جملة من الأسس والقيم التربوية التي يمكن اكتسابها وتعلمها من هذه الآية وتطبيقها على المجتمع المسلم:

فالسؤال في قوله: "يسألونك" قد جاء بصيغة الجمع؛ للدلالة على أن المجتمع المسلم ينبغي أن يضم عدداً كبيراً من المتعلمين والمنقذين ليهتموا بالسؤال عن شؤون دينهم وحياتهم. والتعبير عن السؤال بالفعل المضارع؛ للدلالة على استمرارية السؤال بغرض الفهم و المعرفة.

وكاف الخطاب في "يسألونك" إشارة للنبي عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، والعبرة من ذلك أن السؤال ينبغي ألا يكون إلا لمن هو أهل به.

وفي قوله: "الجبال" تحديد لنوعية السؤال المُستفسر عنه، وفي الأمر "قل" إلزام بضرورة الإجابة للسائل إن كان المسؤول على علم يقيني به.

ب . تشبيه المعقول بالمعقول:

وفيه يكون كلاً من المشبه والمشبه مدركاً بالعقل أو الوجدان، لا بالحواس الخمس، ويُقصد بالوجدان: المشاعر النفسية المختلفة كالغضب والألم والرضى والجوع والشبع ونحوها.⁽²⁾

ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾⁽³⁾

يبين الله سبحانه وتعالى في هذه الآية أن المشركين يظنون أنه إن توعدهم بالعذاب فلا بد من وقوعه مباشرة، وفي هذا الموضع يصح المولى عزوجل لهؤلاء الكفرة ما يعتقدون

(1) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج16/306-307).

(2) انظر: علوان، من بلاغة القرآن (ص153).

(3) [الحج:47].

ويدعوهم لعدم العجلة بما يتوعددهم، فهو واقع بهم لا محالة؛ لأنه وَعَدَ من عنده، والله لا يُخْلِفُ وعده، لكن يعلمهم أن اليوم عنده ليس كيومننا، فالיום عندنا أربع وعشرون ساعة، أما عند الله فهو كألف سنة من حسابهم للأيام.⁽¹⁾

واليوم زمن يتسع لبعض الأحداث، ولا يسع أكثر مما قَدَّرَ أن يُفعل فيه من الأحداث، أما اليوم عند الله عَزَّ وَجَلَّ فيسع أحداثاً كثيرة تملأ من الزمن ألف سنة من أيامنا؛ ذلك لأننا نزاولون الأعمال ونعالجها، أما الخالق سبحانه فإنه لا يزاول الأفعال بعلاج؛ لأن فعله بكلمة "كن"، أما فعلنا فيحتاج إلى وقت.

وقد شاء الحق سبحانه أن يشغل هؤلاء بالتفكير في هذا الوعيد طول عمرهم، فيُعَذَّبون به قبل حدوثه.⁽²⁾

مما سبق ينبغي أن لا يظن الكفرة أن العذاب الذي توعددهم به المولى عز وجل واقع في يومهم أو بعده؛ نظراً لاختلاف الوقت، فقد يقع العذاب بعد فترة طويلة تختلف عن توقعاتكم وقد تقصر حسب مشيئة الله.

أما المؤمن فلا يستعجل العذاب بل يخشاه ويرجو إبطائه لأنه يعلم حقيقة وعد الله عز وجل.

فقد شبه الله سبحانه وتعالى اليوم من أيامه بألف سنة من أيام البشر، وهما عقليان لا يمكن إدراكهما بالحواس الخمس.

ج . تشبيه المحسوس بالمعقول:

وهو "التشبيه الذي يكون فيه المشبه مادياً محسوساً، والمشبه به عقلياً معنوياً، وهو إخراج ما تقع عليه الحاسة إلى ما لا تقع عليه الحاسة".⁽³⁾

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾⁽⁴⁾

المشبه هنا "الضمير" في "كأنها" العائد على العصا وهو حسي، والمشبه به "الجان" وهو عقلي لا يدرك بالحواس.

(1) انظر: الشعراوي، خواطر حول القرآن الكريم (ج16/9865).

(2) انظر: المرجع السابق (ج16/9865).

(3) مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية (ج2/206).

(4) [النمل:10].

وفي هذه الآية تتجلى صورة رائعة للإبداع اللفظي والمعنوي، فقد اختار النص القرآني الفعل "تهتز" دون غيره من الأفعال؛ وذلك لأن الشيء في طور تحوله أول ما يكون منه هو الاهتزاز، فكان اللفظ قالباً للمعنى، مناسباً له.

وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعِ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَّى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (1)

حيث يقول ابن عاشور في ذلك: "هذا تمثيل مبني على تشبيه حالة محسوسة بحالة معقولة إذ لا يعرف السامعون للشيطان خطوات حتى ينهوا على اتباعها." (2)

د . تشبيه المعقول بالمحسوس:

وهو التشبيه الذي يكون فيه المشبه عقلياً معنوياً والمشبه به مادياً محسوساً.

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (3)

حيث شبه الله عز وجل أعمال البر والخير التي يفعلها الكافرون، ولا تتجه إليه ولا تبغي رضاه، ظانين أنها تنفعهم وتحقق لهم الأمان وهي صورة عقلية، بالسراب الذي لا حقيقة له وهو صورة حسية، والغرض من هذا التشبيه تقرير حال المشبه في ذهن السامع مما يؤدي إلى تثبيت المعنى في نفسه ثبوتاً يصل إلى اليقين.

وقوله تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (4)

حيث شبه الكفار الذين يتخذون من الأصنام إلهاً يعبدونه دون الله وهي صورة عقلية، بالعنكبوت التي اتخذت بيتاً ضعيفاً لا ينفعها ولا يحميها حر الصيف أو برد الشتاء وهي صورة حسية، والغرض من هذا التشبيه أيضاً تثبيت المعنى وتقديره في ذهن السامع.

(1) [النور:21].

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج18/186).

(3) [النور:39].

(4) [العنكبوت:41].

كما وعبرت الآية بالفعل الماضي "اتخذوا"؛ للدلالة على انتهاء الأمر في الزمن الماضي، وهذا لا يعني أن الأمر لا يجري على الوقت الحاضر، ولكن عبر بالماضي وكأن المولى عز وجل يريد إيقاظهم بتصوير مصير من قبلهم ممن هلكوا لهوان وضعف ما دونه.

وقد استخدمت الآية الكريمة مؤكدين "إن + اللام المزحلقة"؛ للتدليل على ضعف وعجز ما يعبدون، ودُيِّلت الآية بقوله: "لو كانوا يعلمون"؛ لتؤكد أيضاً على جهلهم وعدم انتفاعهم من كل ما هو دون رب العباد تبارك وتعالى.

ثانياً : التشبيه باعتبار الأفراد والتركيب:

أ. تشبيه المفرد بالمفرد:

ولا يُقصد بالإفراد ما قُصد به في علم النحو، "ففي النحو يعني المفرد غير ما يعنيه المثنى أو الجمع، أما المفرد في البلاغة فهو غير المركب، فإذا قلنا: هذا الولد نظيف فإن قولنا يدل على مفرد، وكذلك لو قلنا: هذا الولدان نظيفان، وهؤلاء الأولاد نظيفون فهي جميعاً مفردة بلاغية"⁽¹⁾

ومنه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾⁽²⁾

حيث شبه الليل باللباس بجامع الستر، "فلما جعل الليل يغطي جميع من في الأرض بظلامه صار لباساً لهم، يستترهم كما يستتر اللباس عورة صاحبه، وربما انتفعوا بلباس الليل كهروب الأسير المسلم من الكفار في ظلام الليل، واستتاره به حتى ينجو منهم، ونحو ذلك من الفوائد التي تحصل بسبب لباس الليل"⁽³⁾ كما قال أبو الطيب المتنبّي:

"وكم لظلام الليل عندي من يد تخبر أن المانوية تكذب

وقاك ردى الأعداء تسري إليهم وزارك فيه ذو الدلال المحجب"⁽⁴⁾

(1) أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد "علم البيان" (ج2/22).

(2) [الفرقان:47].

(3) الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (ج6/60).

(4) أبو الطيب المتنبّي، ديوان المتنبّي (ص466).

ب . تشبيه المركب بالمركب:

"المركب هو الصورة الذهنية المكونة من عدد من العناصر مزج بعضها ببعض حتى صارت شيئاً واحداً".⁽¹⁾

ومنه قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾⁽²⁾

فالمشبه عبارة عن صورة مركبة من أمور عدة.

ثالثاً . التشبيه باعتبار الأداة:

أ . التشبيه المرسل:

وهو "التشبيه الذي ذُكرت فيه الأداة، كقولنا: محمد كالأسد، وسمي بالمرسل؛ "لأنه مقول بطريقة عفوية ومرسل على السجية".⁽³⁾

ملاحظة/ أغلب التشبيهات مرسله جملة.

ومنه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكَتُبِ﴾⁽⁴⁾

فهو تشبيه مرسل؛ لأن أداة التشبيه "الكاف" ذُكرت.

وقوله تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾⁽⁵⁾

لما أمر الله سبحانه وتعالى نبيه موسى بضرب البحر، انشق وصار كل جزء منه كالجبل العظيم، وهو تشبيه مرسل حيث ذُكرت فيه أداة التشبيه، ومجمل أيضاً؛ لأن وجه الشبه محذوف.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾⁽⁶⁾

(1) علوان ، من بلاغة القرآن (ص159).

(2) [العنكبوت:41].

(3) أبو حاققة، البلاغة والتحليل الأدبي (ص125).

(4) [الأنبياء:104].

(5) [الشعراء:63].

(6) [النمل:10].

ب. التشبيه المؤكد :

وهو ما حُذفت منه أداة التشبيه، ويُقصد به: "أنه لاشك في المشابهة بين الطرفين حتى لتغدو هذه المشابهة أمراً مفروغاً منه." (1)

ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ (2)

أي: تمر مرّاً كالسحاب فحُذفت الأداة فصار التشبيه مؤكداً، ولما حُذف وجه الشبه صار مجملاً أيضاً.

وقوله تعالى: ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ﴾ (3)

أي: عند قيام الساعة من هول الزلزلة التي تحدث يُصبح الناس كالسكارى يتميّلون خوفاً ورعباً وهم ليسوا شاربين الخمر.

فهو تشبيه مؤكد؛ لأن الأداة حذفت، ومجمل أيضاً؛ لأن وجه الشبه محذوف هو الآخر.

رابعاً: التشبيه باعتبار وجه الشبه من حيث الأفراد والتركيب:

أ. وجه الشبه المفرد:

"وهو ما ليس بمركب ولا متعدد كتشبيه الخد بالورد في الحمرة، والرجل بالأسد في الشجاعة." (4)

ومنه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ (5)

فقد شبه الليل باللباس بجامع الستر، وهو من تشبيه المفرد بالمفرد، ووجه الشبه مفرد أيضاً.

ب. وجه الشبه المركب:

"هو الصورة المنتزعة من عدة أمور يجمع بعضها إلى بعض حتى تصبح شيئاً واحداً." (1)

(1) أبو حاقّة، البلاغة والتحليل الأدبي (ص25).

(2) [النمل:88].

(3) [الحج:2].

(4) علوان، من بلاغة القرآن (ص167).

(5) [الفرقان:47].

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (2)

فوجه الشبه صورة مركبة تربط الطرفين وهي: الضياع والتوهم بالنعف والاستفادة، فكلا الطرفين لن يجد شيئاً مما توقع.
ومنه قول الشاعر بشار بن برد:

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيفنا ليل تهاوت كواكبه (3)

فليس المقصود من التشبيه تشبيه النقع؛ أي: "الغبار" بالليل بجامع السواد وانعدام الرؤية، وتشبيه السيوف بالكواكب بجامع البياض والتفرق، إنما المقصود الهيئة الحاصلة من الليل المظلم والكواكب المضيئة المتفرقة.

وقد قال عن ذلك الإمام عبد القاهر الجرجاني في كتابه أسرار البلاغة: "التشبيه هنا مركّب وموضوع على أن يُرى الهيئة التي ترى عليها النقع المظلم، والسيوف في أثناءه تبرق وتومض وتعلو وتتخفض، وترى لها حركات من جهات مختلفة كما يوجبها الحال حين يحمى الجلاد، وترتكض بفرسانها الجياد فالمقصود في بيت بشار تشبيه النقع والسيوف فيه بالليل المتهاوي كواكبه، لا تشبيه الليل بالنقع من جانب، والسيوف بالكواكب من جانب." (4)

ثم أكد كلامه بأن الواو المستخدمة في قوله "أسيفنا" هي واو المعية التي تجمع النقع والأسياف وكأنهما أمراً واحداً، مما يثبت أن التشبيه مركب، وجهه منتزع من عدة أمور، وفي ذلك يقول: "ولذلك وجب الحكم بأن الكلام إلى قوله: "أسيفنا" في حكم الصلة للمصدر، وجار مجرى الاسم الواحد؛ لئلا يقع في التشبيه تفريق ويؤهم أنه كقولنا: كأن مثار النقع ليل وكأن السيوف كواكب، ونصب الأسياف لا يمنع من تقدير الاتصال، ولا يوجب أن يكون في تقدير الاستئناف؛ لأن الواو فيها معنى مع." (5)

(1) علوان، من بلاغة القرآن (ص168).

(2) [النور:39].

(3) ابن برد، ديوان بشار بن برد (ج1/335).

(4) الجرجاني، أسرار البلاغة (ص ص 194-195).

(5) الجرجاني، أسرار البلاغة (ص95).

خامساً: التشبيه باعتبار وجه الشبه من حيث الذكر والحذف:

أ. وجه الشبه المفصل:

وهو "ما ذكر فيه وجه الشبه، كقولنا: زيد كالأسد شجاعة" (1)

ومنه قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (2)

فقد شبهت الآية-كما ذكرنا سابقاً- المشركين المتخذين آلهة غير الله بالعنكبوت التي اتخذت بيتاً لا ينفعها بجامع الوهن والضعف، وقد حرص التركيب النحوي للآية على إبراز هذا التشابه حتى في اللفظ لتكتمل الصورة لفظاً ومعنى، وذلك بتكرار لفظة "مثل"، مثل الكفار مع أوليائهم مثل العنكبوت ببيتها الضعيف.

وعليه فالتشبيه مفصل؛ لأن وجه الشبه مذكور، وهو التساوي في الهوان والضعف.

ب. وجه الشبه المجمل:

وهو "ما حُذِفَ منه وجه الشبه، كقولنا: محمد كالأسد" (3)

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ (4)

يقول تبارك وتعالى مخبراً عن المنافقين الذين يدعون خلاف ما يبطنون: هناك فريق من الناس يقولون بألسنتهم آمنا بالله، فإذا أُوذِيَ أحدهم بسبب إيمانه رجع عن دينه للكفر، وجعل ما يُصِيبُه من عذاب الناس (المشركين) سبباً لتركه الإيمان بالله، وهو بذلك جزع منهم وجعل أذاهم وعذابهم كعذاب الله الشديد الذي يُحصن ويمنع الإنسان من الكفر به.

أما إن جاء نصر من الله وفتح وغنائم، ادعوا أنهم مع الفئة المؤمنة وأنهم يصدون الأعداء معهم؛ وذلك رغبةً منهم في مقاسمة الغنائم معهم.

(1) علوان، من بلاغة القرآن (ص171).

(2) [العنكبوت:41].

(3) علوان، من بلاغة القرآن (ص172).

(4) [العنكبوت:10].

وفي الآية تشبيه مرسل مجمل، إذ شبه المنافقون عذاب الناس لهم مع ضعفه وانقطاعه بعذاب الله الأليم المستمر بجامع الخوف والهلاك، فهو تشبيه مرسل؛ لأن أداة التشبيه ذُكرت "الكاف"، ومجمل؛ لأن وجه الشبه محذوف.

وإذا ما تأملنا التركيب النحوي للآية نجده غاية في الدقة، فقد استخدمت الآية "من" التبعية في قوله تعالى: "من الناس"؛ للدلالة على أن بعض الناس قالوا ذلك وليسوا جميعاً، فهناك فئة آمنت وصدقت.

والجملة الشرطية بفعالها وجوابها "إذا أُوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله" قد أفادت في موقعها كشف كذبهم وادعائهم للإيمان، فما إن تعرضوا للابتلاء حتى عدلوا عن دين الحق.

واختارت الآية التعبير عن انسياقهم للفتن بالفعل "جعل" الذي يفيد التحويل والضرورة، فكانت أبلغ من أي لفظة أخرى، فقد صيروا عذاب الناس بعذاب رب الناس.

كما وجاءت الجملة الشرطية "إن جاء نصر من ربك" مسبوقة باللام الموطئة للقسم؛ زيادة في التأكيد على الطمع والرغبة في جمع الأموال فضلاً عن ادعائهم الباطل، وفي قوله: "ليقولن إنا كنا معكم" جاء جواب القسم مؤكداً باللام + نون التوكيد الثقيلة مع الفعل المضارع الدال على استمرارية قولهم الكاذب، بالإضافة إلى الجمع بين إن واسمها وكان واسمها؛ للدلالة على كذبهم بألسنتهم فهم كانوا مع المؤمنين قبل الفتن، ثم عدلوا عن ذلك.

وفي قوله تعالى: "أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين" استفهام تقريرى، وبما أن الإجابة عنه تكون ب: بلى إن الله عالم بكل شيء لا يخفى عليه سر ولا علن، فهذا رد كاف على عجزهم وضعف حيلتهم وهوان أمرهم، وأنه ما كان ينبغي لهم التراجع، فالأولى أن يصبروا في سبيل الله، فجزاؤه أعظم من أي جزاء، وكذلك عذابه لا مثيل له.

وقد جاءت الباء في قوله تعالى "بأعلم" زائدة تفيد التوكيد وهي الباء الواقعة في خبر ليس.

أنواع التشبيه:

أولاً: التشبيه البليغ:

"هو ما حذف منه الأداة ووجه الشبه، وعليه يكون مؤكداً مجملاً، ويعتبر أكثر الأنواع بلاغة". (1)

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ﴾ (2)

في سياق حديث الله سبحانه وتعالى عن يوم القيامة وما يحدث فيه من أهوال واختلال للظواهر الطبيعية، يبين الله سبحانه وتعالى أن الجبال الجامدة القائمة ستُرى يوم ينفخ في الصور وهي تسير في الهواء محمولةً كسير السحاب الذي تدفعه الرياح. (3)

حيث شبه الله سبحانه وتعالى حال الجبال وهي تسير يوم القيامة بالسحاب المتطاير في السماء بجامع سرعة الحركة، فالتشبيه بليغ؛ لأن أداة التشبيه محذوفة تقديرها "كمر السحاب"، ووجه الشبه محذوف، فهو تشبيه مؤكد مجمل.

وقد أفاد الفعل "ترى" الرؤية البصرية، أي: اليقينية؛ لأن الناس يرون هذه المشاهد حقيقة يوم القيامة.

وفي قوله: "تمر مر السحاب" فقد أكد القرآن فعل المرور بالمصدر "المفعول المطلق" مرأً؛ دلالةً على أن الأمر كائن لا محالة، فلا مجال للتكذيب والتزييف.

وقوله تعالى: ﴿ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (4)

حيث شبه الله سبحانه وتعالى التوراة التي أعطاها لسيدنا موسى عليه السلام بالأنوار الهادية لقلوب الناس، وفي ذلك يقول البيضاوي: "آتيناه الكتاب أنواراً للقلوب؛ أي: مشبهاً بأنوار القلوب من حيث إن القلوب لو كانت خالية عن أنوار التوراة وعلومها لكانت عمياء لا تستبصر، ولا تعرف حقاً من باطل" (5)

(1) علوان، من بلاغة القرآن (ص176).

(2) [النمل:88].

(3) انظر: المحلي والسيوطي، تفسير الجلالين (ص505).

(4) [القصص:43].

(5) زاده، حاشية محي الدين شيخ زادة على تفسير القاضي البيضاوي (ج6/454).

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾⁽¹⁾

حيث شبه الله سبحانه وتعالى الحياة الدنيا الفانية باللهو واللعب بجامع الزوال وعدم الانتفاع، وهو تشبيه بليغ؛ لأن الأداة ووجه الشبه قد حُذفا.

كما واشتمل التركيب النحوي لهذه الآية على جوانب إبداعية متعددة، ومنها:

أولاً: أسلوب القصر بنوعيه: أ. النفي والاستثناء، ب. القصر بضمير الفصل، فقد عبر في المرة الأولى بالقصر عن طريق النفي والاستثناء فقصر الحياة الدنيا على اللهو واللعب، فالمقصود عليه اللهو واللعب "صفة" والمقصود الحياة الدنيا "موصوف" فهو من قصر الموصوف على الصفة، وفي المرة الثانية استخدم القصر بضمير الفصل "لهي" مما أعطى المعنى قوة ومزيداً من التأكيد، فلو قلنا: إن الدار الآخرة الحيوان لما أعطت تلك القوة، فضمير الفصل جيء به؛ لتنبية المخاطب لأهمية تلك الدار فهي الخالدة مدى الدهر.

ثانياً: لقد عبر القرآن عن الحياة الزائلة بلفظة "الدنيا"، في حين عبر عن الآخرة بلفظة "الحيوان" على وزن "فعلان" والتي تفيد التقلب والاضطراب والحركة⁽²⁾، وبما أن الآخرة حق وفيها نعيم دائم وحياة مستمرة ناسبها ذلك التعبير، أما الحياة الدنيوية فهي ليست حق فقد ناسبها لفظة "دنيا" والتي تشير إلى اقتراب زوالها.

ثالثاً: أكد الله سبحانه وتعالى كلامه بأن الآخرة هي دار الخلود بأكثر من مؤكد، إن + اللام المزحلقة الواقعة في خبرها + ضمير الفصل، وكلها مؤكدات تقوي المعنى وتثبته.

رابعاً: دُيِّلت الآية بقوله: "لو كانوا يعلمون"؛ للدلالة على جهلهم بهذا النعيم، فلو علموا ما فيها من نعيم لاقتتلوا رغبة في دخولها، وفيها أيضاً إشارة إلى تحفيز الناس للعمل من أجل الآخرة وترك نعيم الدنيا الزائف.

ومنه قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾⁽³⁾

هذه الآية تشبيه قرآني بديع في بلاغته واتساع خياله وقوة أثره في الإقناع، وجمال هذا التشبيه وقيمته متأتية من عظمة المشبه وهو "الذات الإلهية" التي لا ندرك مكنوناتها وأسرارها إلا

(1) [العنكبوت:29].

(2) انظر: الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف (ص57).

(3) [النور:35].

بإمعان وتأمل في بديع صنع الله ودقته، فهذه الدقة اللامتناهية دلت على عظم قدرته تبارك وتعالى وتقرده بما لا يقوى عليه إنس ولا جان، فالمشبه به "النور" وبدون هذا النور لا حياة ولا ألوان، وقد حذفت أداة التشبيه ووجه الشبه فصار التشبيه بليغاً، فحذفت أداة التشبيه صار المشبه مشبهاً به فكأنه هو إياه، فدقة الصنع تدل على عظمة الخالق، فهي علامة ساطعة كالنور في الدلالة على وحدانيته واستحقاقه العبادة.

وفي حذف وجه الشبه إثارة لخيال المتلقي واستثارة لقدراته العقلية والبحثية، فالعقل البشري قد يتساءل: الله سبحانه وتعالى يشبه نور السموات والأرض بماذا؟ فيجيب العقل عن ذلك: باتساعه وسطوعه وقوته وجماله وشموله وعظمته.

وقوله تعالى: ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ (1)

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ (2)

ثانياً: التشبيه التمثيلي:

التمثيل: "ما وجهه منتزَع من متعدد أمرين، أو عدة أمور" (3)، وهو التشبيه المركب.

ولقد اهتم الإمام عبد القاهر الجرجاني بهذا النوع من التشبيه من حيث تراكيبه النحوية ودقة ألفاظه؛ كونه من أكثر التشبيهات التي تبرز فيها براعة النظم والانتقاء ودقة التركيب النحوي، فهو منتزَع من متعدد ولا يقتصر على المشبه والمشبه به والجامع بينهما، إنما يُصور هيئة بهيئة أخرى، مما يفتح المجال للمقارنات بين أحوال الطرفين وسبر أسرارها البلاغية و النحوية.

هذا ما لاحظناه عندما وقف الإمام عبد القاهر الجرجاني على التشبيه التمثيلي في بيت

بشار بن برد :

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيفنا ليل تهاوت كواكبه (4)

(1) [الحج:2].

(2) [الفرقان:47].

(3) القزويني، الإيضاح (ص371).

(4) ابن برد، ديوان بشار بن برد (ج1/335).

حيث قال: "واعلم أي لست أقول أن الفكر لا يتعلق بمعاني الكلم المفردة أصلاً، ولكن أقول إنه لا يتعلق بها مجردة من معاني النحو، ومنطوقاً بها على وجه لا يتأتى معه تقدير معاني النحو وتوخيها فيها".⁽¹⁾

ثم نجده يشرح تلك المقولة بقوله: "هل يتصور أن يكون بشار قد أخطر معاني هذه الكلم بباله أفراداً عارية من معاني النحو التي تراها فيها، وأن يكون قد وقع (كأن) في نفسه من غير أن يكون قصد إيقاع التشبيه منه على شيء وأن يكون فكر في "مثار النقع"، من غير أن يكون أراد إضافة الأول إلى الثاني وفكر في "فوق رؤوسنا"، من غير أن يكون قد أراد أن يضيف "فوق" إلى "الرؤوس" وفي "الأسياف" من دون أن يكون أراد عطفها بالواو على "مثار" وفي "الواو" من دون أن يكون أراد العطف بها وأن يكون كذلك فكر في "الليل"، من دون أن يكون أراد أن يجعله خبراً "لكأن" وفي "تهاوى كواكبه"، من دون أن يكون أراد أن يجعل "تهاوى" فعلاً للكواكب، ثم يجعل الجملة صفة لليل، لئتم الذي أراد من التشبيه؟ أم لم يخطر هذه الأشياء بباله إلا مراداً فيها هذه الأحكام والمعاني التي نراها فيها؟"⁽²⁾

مما سبق يتضح اهتمام الجرجاني بهذا التشبيه فلم يقف على غيره مثلما وقف عليه.

وأمثلته كثيرة في القرآن الكريم، ومنها قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنْ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾⁽³⁾

حيث شبه الله سبحانه وتعالى حال من يُشرك به ويتخذ من الأوثان أرباباً يعبدها من دونه بحال من يسقط من السماء فتخطفه الطير فيهلك وتهوي به الريح في قاع بعيد لا مجال للنجاة منه.

فوجه الشبه منتزع من أمور متعددة من حال المشبه والمشبه به أي: الهيئة الحاصلة من اتخاذ آلهة دون الله والهلاك المحتوم.

وقد جاءت "من" موصولة بمعنى "الذي"، حيث أفادت التخصيص، وقد عبر القرآن بالفعل الماضي "خر" الدال على وقوع الحدث وانتهائه ثم عدل عنه بالتعبير بالفعل المضارع "تخطفه" الدال على الاستمرارية، وفي هذا لطيفة رائعة، إذ إنه لو عبر بفعالين ماضيين لكانت الآية إخبارية فقط عن أمور حدثت وانتهت، أما عندما استخدم الفعل المضارع فقد تحول النص

(1) الجرجاني، دلائل الإعجاز (ص410).

(2) المرجع السابق، ص 411-412.

(3) [الحج:31].

إلى مشهد تمثيلي، فكلمنا عاود القارئ قراءة الفعل المضارع "تخطفه" شعر باستمرارية تمزيق الطيور له واهلاكه، فصار المشهد وكأنه مُستحضراً لديه يراه ويشعر به، وهذا من باب: "العطف بالمستقبل على الماضي" (1) وهذا عطف منطقي إذ إن الفعل الماضي عند حدوثه يترتب على وقوعه مستقبلاً الفعل المضارع، فإذا سقط ستتخطفه الطير.

وفي قوله تعالى "أو تهوي" ذهب بعض المفسرين ومنهم ابن عاشور إلى أن "أو" للتخيير فقال: "أو تهوي به الريح تخيير في نتيجة التشبيه" (2) وكذلك اعتبرها أبي السعود، وذهب الألوسي إلى أنها للتقسيم فقال: "أو للتقسيم على معنى أن مهلكه إما هوى يتفرق به في شعب الخسار أو شيطان يطوح به في مهمه البوار، وفرق بين خاطر النفس والشيطان فلا يرد ما قاله ابن المنير من أن الأفكار من نتائج وساوس الشيطان، والآية سيقت لجعلهما شيئاً" (3).

وترى الباحثة أن "أو" في هذا الموضع قد تأتي بمعنى الواو أيضاً، حيث يقول ابن مالك في ألفيته عن معاني "أو":

خَيْرٌ أَبِحَ قَسِمٍ بِأَوْ وَأَبِهِمْ..... وَأَشْكُكَ وَإِضْرَابٌ بِهَا أَيْضاً نُمِي
وَرُبَّمَا عَاقَبَتِ الْوَاوُ إِذَا..... لَمْ يُلْفِ ذُو النُّطْقِ لِلْبَسِ مَنَقَدًا (4)

فلما أمن اللبس كانت بمعنى الواو، فالمشرك سيمر بالحالتين ولكن إحداها في الدنيا والأخرى في الآخرة، يُفهم هذا من قوله تعالى "فكأنما خر من السماء" فهو بسبب شركه قد سقط في الهلاك في الدنيا فصار متخبطاً، لا جدوى من أعماله فالطير تنهش من لحمه وتمزقه وفي هذا إشارة إلى إحاطته بالعذاب من كل حذب وصوب، ونتيجة لذلك قد سقط في قاع بعيد لا مفر منه في الآخرة، وهذه العقوبة الأخرى فُهمت من خلال استخدام الحرف "في" في قوله: "في مكان سحيق" فلم يقل إلى مكان سحيق؛ أي: كناية عن سقوطه من السماء إلى المكان العميق، وإنما قال "في" وذلك دلالة على أن الريح تنقله وتهوي به داخل هذا المكان العميق الذي لا يوجد إلا في الآخرة، و"سحيق" صفة مشبهة بمعنى بعيد جداً، حيث قال صلى الله عليه

(1) ابن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن (ج18/621).

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج17/255).

(3) الألوسي، روح المعاني (ج9/143).

(4) ابن مالك، ألفية ابن مالك (ص48).

وسلم: " إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله، لا يرى بها بأساً، فيهوي بها في نار جهنم سبعين خريفاً".⁽¹⁾

فالفعل "تهوي" كثر استعماله مقترناً بالعذاب الأخرى.

وهذه الصورة التي جمعت بين السقوط والتمزق والتقل داخل المكان العميق تعكس الحالة النفسية التي سيمر بها المشرك، فضلاً عن هول الموقف الذي سيكون فيه حيث لا مفر من النجاة، فقد أحيط بالعذاب من جميع الاتجاهات.

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾⁽²⁾

حيث شبه الله سبحانه وتعالى هيئة أعمال الكفار التي يرونها جميلة وجيدة وأنها ستنتفعهم وهي خلاف ذلك، بهيئة الظمان في الصحراء يرى سراباً فيظنه ماءً فلما يجهد نفسه بالذهاب إليه يُفاجأ بلا شيء.

ووجه الشبه منتزع من متعدد، وهو الهيئة الحاصلة من الأمل في قبول العمل، والنهاية المخيبة لظن صاحبها.

ولبيان جمال هذا التشبيه لا بد من فك الصورة المركبة وهي كالاتي: سراب - حر شديد - صحراء - ظمان، فهذه صورة مركبة خلت من عنصر الماء إلا أن الظمان يبحث عن هذا العنصر بشدة ولو خيرناه بين أمرين أولهما الدنيا وما فيها وثانيهما كوب ماء صغير فإنه حتماً سيختار كوب الماء ليبقى على قيد الحياة.

ومن خلال هذه الصورة يضعنا القرآن الكريم أمام حقيقة واضحة وهي أن الدنيا وما فيها إذا كانت لا تساوي عند الإنسان في لحظة من اللحظات كوب ماء فهل يعقل أن تساوي عند الله جناح بعوضة؟ ولو ساوت عنده جناح بعوضة ما سقى منها كافر شربة ماء.

قال تعالى: ﴿ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾⁽³⁾

(1) [القرويني: سنن ابن ماجه، الفتن/ كف السان في الفتنة، 2/ 1313 : رقم الحديث [3970].

(2) [النور:39].

(3) [النور:35].

حيث شبه الله سبحانه وتعالى هيئة نوره الذي وضعه في قلب العبد المؤمن بهيئة
المصباح المضيء داخل زجاجة تشبه الكوكب الذي في جماله وصفائه، بجامع الهداية
والجمال والنقاء.

المبحث الثاني: التراكيب النحوية للمجاز ودلالاتها البلاغية

المجاز

المجاز لغة:

من جوز: جرت الطريق وجاز الموضوع جوزاً ومجازاً وجوازاً، إذا سار فيه وسلكه؛ أي: تعدها. (1)

المجاز اصطلاحاً:

المجاز هو: "استخدام الكلمة في غير ما وضعت له لعلاقة مع وجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي." (2)

عرفه السكاكي في المفتاح بأنه: "الكلمة المستعملة في غير ما هي موضوعة له بالتحقيق استعمالاً في الغير بالنسبة على نوع حقيقتها مع قرينة مانعة عن إرادة معناها في ذلك النوع." (3)

وعرفه الجرجاني في التعريفات بأنه: "اسم لما أريد به غير ما وضع له المناسبة بينهما، كتسمية الشجاع: أسداً، وهو مفعول بمعنى فاعل، من: جاز، إذا تعدى، كالمولى، بمعنى: الوالي، سمي به؛ لأنه متعدٍ من محل الحقيقة إلى محل المجاز." (4)

وعرفه عبد القاهر الجرجاني في الأسرار مبيناً العلاقة بين اللغة والاصطلاح فقال: "المجاز مَفْعَلٌ من جازَ الشيءَ يَجُوزُه، إذا تعدّاه، وإذا عُدل باللفظ عما يوجبه أصل اللغة، وُصف بأنه مجاز، على معنى أنهم جازوا به موضعه الأصلي، أو جاز هو مكانه الذي وُضع فيه أولاً." (5)

ثم مثل على ذلك بقوله: "اليد تقع للنعمة، وأصلها الجارحة، لأجل أن الاعتبارات اللغوية تتبع أحوال المخلوقين وعاداتهم، وما يقتضيه ظاهر البنية وموضوع الحيلة، ومن شأن النعمة أن

(1) انظر: ابن منظور، لسان العرب (ج5/326).

(2) علوان، من بلاغة القرآن (ص198).

(3) السكاكي، مفتاح العلوم (ص359).

(4) الجرجاني، التعريفات (ص202).

(5) الجرجاني، أسرار البلاغة (ص395).

تصدّر عن اليد، ومنها تصل إلى المقصود بها، وفي ذكر اليد إشارةً إلى مَصْدَرِ تلك النعمة الواصلة إلى المقصود بها، والموهوبة هي منه، وكذلك الحكم إذا أُريد باليد القوة والقدرة.⁽¹⁾

وعرفه الميداني بأنه: "اللفظ المستعمل في غير ما وضع له في اصطلاح التخاطب، على وجه يصح مع قرينة عدم إرادة ما وضع له."⁽²⁾

أقسام المجاز:

والمجاز على قسمين:

1- مجاز عقلي.

2- مجاز مرسل.

أولاً: المجاز العقلي:

"ويسمى بمجاز الإسناد، وهو إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له لعلاقة مع وجود قرينة مانعة من إرادة الإسناد الحقيقي."⁽³⁾

وهو أسلوب يدل على رقي اللغة العربية وعلو شأنها، وفي ذلك يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني: "وهذا الضرب من المجاز على حدته كنز من كنوز البلاغة، ومادة الشاعر المفلق والكاتب البليغ في الإبداع والإحسان، والانتساع في طرق البيان، وأن يجيء بالكلام مطبوعاً مصنوعاً، وأن يضعه بعيد المرام، قريباً من الأفهام."⁽⁴⁾

ثم نجده يقف على قدرة هذا الأسلوب في تجاوز الحقيقة إلى الخيال، فيقول: "ولا يغرنك من أمره أنك ترى الرجل يقول: "أتى بي الشوق إلى لقائك، وسار بي الحنين إلى رؤيتك، وأقدمني بلدك حق لي على إنسان"، وأشباه ذلك مما تجده لسعته وشهرته يجري مجرى الحقيقة التي لا يشكل أمرها، فليس هو كذلك أبداً، بل يدق ويلطف حتى يمتنع مثله إلا على الشاعر المفلق، والكاتب البليغ، وحتى يأتيك بالبدعة لم تعرفها، والنادرة تأنق لها."⁽⁵⁾

(1) المرجع السابق، ص 395.

(2) الميداني، البلاغة العربية (ج2/127).

(3) المرجع السابق، ص 199.

(4) الجرجاني، دلائل الإعجاز (ص 295).

(5) المرجع السابق، ص 295.

وقد أطلق عليه اسم المجاز الحكمي (1)

ومن علاقات المجاز العقلي:

1- السببية :

"حيث يسند الفعل فيها إلى السبب الذي أدى إليه". (2)

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (3)

حيث أسند فعل "الذبح" إلى فرعون علماً بأنه ليس الذابح الحقيقي، ولكن لما كان أمر الذبح صادراً منه نزل منزلة الذابح، فهو مجاز عقلي علاقته السببية.

وقد بدأت الآية بأسلوب التوكيد؛ للتأكيد على إفساد فرعون وتجبره في الأرض، وقد عبرت الآية بالفعل الماضي "علا"؛ للدلالة على انتهاء جبروته وطغيانه وهلاكه.

ومن المعلوم أن الفعل "جعل" يفيد التحويل والصورورة، فقد أفاد تحويل حال بني إسرائيل بعد أن كانوا أعزة في قومهم يعيشون في مصر في سلام وأمان، إلى أذلة مستعبدين.

وقد عبر بالفعل المضارع "يستضعف - يذبح - يستحي"؛ للدلالة على استمرارية فرعون في التعذيب والاستعباد، وطول الفترة الزمنية التي حكم فيها بني إسرائيل، وليستشعر القارئ معنى خفياً للمبالغة في هذه الأفعال، كما أنها قد ساعدت في تكوين صورة ذهنية في عقل القارئ ووضعت في قلب الحدث، فكلمة عاود قراءتها شعر بأنها حية تحدث أمامه.

وقوله تعالى: ﴿كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ (4)

حيث أسند الله عز وجل فعل الكتابة إلى نفسه علماً بأنه ليس هو الكاتب الحقيقي وإنما الملائكة، ولكن لما كان الأمر صادراً منه نزل منزلة الكاتب.

وكذلك الحال مع الفعل "نمد".

(1) الجرجاني، دلائل الإعجاز (ص 293).

(2) علوان، من بلاغة القرآن (ص 201).

(3) [القصص: 4].

(4) [مريم: 79].

وقد عبرت الآية بالفعل المضارع المسبوق بـ "السين" الدالة على المستقبل "سنكتب"؛
للدلالة على الاستمرارية والتجدد في كتابة الأعمال من قبل الملائكة الموكله بذلك.

والفعل المضارع "تمد" أفاد استمرارية إنزال العذاب بالكفار في حياتهم ثم قبورهم ثم يوم
القيامة حين يخلدون في النار، وفي التأكيد بالمفعول المطلق "مداً" دلالة على حتمية ذلك
المصير.

2- الفاعلية:

أن يذكر اسم الفاعل ويراد اسم المفعول.

"حيث يسند الفعل المبني للمجهول إلى الفاعل، أي: يسند إلى صيغة اسم المفعول،
والمراد اسم الفاعل".⁽¹⁾

ومنه قوله تعالى: ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا﴾⁽²⁾

حيث أسند صيغة اسم المفعول "مأتياً" إلى ضمير الوعد الذي هو فاعل في الحقيقة،
فالوعد يأتي ولا يُؤتى، فالمراد اسم الفاعل "أتياً"، فهو مجاز عقلي علاقته الفاعلية.

وقد بدأت الآية بالجمع "جنات" وهي بدل من "جنة" وفي مجيئها مجموعة دلالة على
الكثرة، وتشويق للقارئ لتلك الجنات التي تنتظر المؤمنين، وفي وصفها بـ "التي وعد الرحمن"
زيادة في تعظيمها وتشريفها.

والباء في "بالغيب" للظرفية؛ أي: وعدها بهم منذ الأزل إذ خلقها لهم، وفيها تنبيه على
أنها وإن كانت محبوبة عنهم في الدنيا فإنها تنتظرهم في الآخرة.

وجملة "إنه كان وعده مأتياً" تعليل لجملة "التي وعد الرحمن عباداً بالغيب"؛ أي: يدخلون
الجنة وعداً من الله واقعاً، وهذا تحقيق للبشارة.⁽³⁾

3- المفعولية:

أن يذكر اسم المفعول ويراد اسم الفاعل "أي: يسند ما بني للفاعل إلى المفعول، وفيها
يسند الفعل إلى صيغة اسم الفاعل والمراد اسم المفعول".⁽¹⁾

(1) علوان، من بلاغة القرآن (ص202).

(2) [مريم:61].

(3) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج16/137).

ومنه قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيَتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾⁽²⁾

جاءت هذه الآية تذكيراً خاصاً لأهل مكة، وإنما خصوا من بين المشركين من العرب بهذا التذكير؛ لأنهم قدوة لجميع القبائل، فأكثر قبائل العرب كانوا ينتظرون ماذا يكون من أهل مكة، فلما أسلموا يوم الفتح أقبلت وفود القبائل الأخرى معلنة إسلامها.⁽³⁾

حيث أسند الأمن إلى الحرم، والحرم لا يكون آمناً؛ لأن الإحساس بالأمن يكون من قبل ساكنيه، فهو مأمون فيه، وفي ذلك يقول ابن حبان الأندلسي: "وصف الحرم بالأمن مجاز، إذ الآمنون فيه هم ساكنوه".⁽⁴⁾ وبناء على ذلك فهو مجاز عقلي علاقته المفعولية.

وفي هذا الإسناد تأكيد للأمن الذي ينعم به ساكنوه.

وقد بدأت الآية بالاستفهام الإنكاري في مخاطبة الله تبارك وتعالى لكفار قريش؛ نظراً لإنكارهم فضله عليهم بأن حفظ لهم الحرم رغم ما يصيب الجزيرة العربية من ويلات الحروب في ذلك الوقت.

ولقد جاء الفعل "يروا" مضارعاً؛ للدلالة على استمرارية حفظ الله سبحانه وتعالى لهذا الحرم، والرؤية هنا قلبية و"أنا" ومعمولها سدت مسد مفعولي يروا.

وقد عبر سبحانه وتعالى عن نفسه بـ "نا" الفاعلين؛ للتعظيم والتبجيل وكذلك الأمر مع "جعلنا".

ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا﴾⁽⁵⁾

(1) علوان، من بلاغة القرآن (ص203).

(2) [العنكبوت:67].

(3) انظر: التحرير والتتوير (ج33/21).

(4) الأندلسي، البحر المحيط في التفسير (ج315/8).

(5) [القصص:57].

ثانياً : المجاز المرسل:

"هو ما كانت علاقته بين ما استعمل فيه، وما وضع له غير المشابهة"⁽¹⁾، وسمي مرسلًا؛ "لأنه لم يقيد بعلاقة المشابهة، أو لأن له علاقات شتى".⁽²⁾

من علاقات المجاز المرسل:

1- السببية:

وهي "أن يطلق السبب ويراد المسبب".⁽³⁾

ومن أمثله قوله تعالى: ﴿ ذُلِكَ بِمَا قَدَّمْت يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾⁽⁴⁾

هذه الآية تحمل التبكيت والتفريع للمشركين، فعلى الرغم من كل الحقائق الدالة على وحدانية الله سبحانه وتعالى إلا أنهم جادلوا في ذلك بغير علم أو دراية ولم يكتفوا بهذا بل أضلوا غيرهم، فما كان جزاء كبريائهم إلا الخزي في الدنيا والحريق في الآخرة حيث قال تعالى في الآية السابقة: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ * ثَانِي عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ * لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾⁽⁵⁾

فقد صورت هذه الآية واقعاً حاصلًا يوم القيامة، وأعطت صورة حية للقارئ، حيث يتصور المشرك وهو يحترق في النار ويطلب المغفرة فيجيبه ربه بأن هذا جزاء لما قدمت لنفسك في الدنيا.

وقد حُصت اليدين بالذكر دون غيرها؛ لأن أكثر الأعمال تكون بواسطتها، وفيها مجاز مرسل حيث أطلق السبب "اليدين" وأراد المسبب وهي الأفعال الناتجة عنها.

وقد أكدت الآية بمؤكدتين إن + الباء الزائدة الواقعة في جواب ليس.

"وظلام صيغة مبالغة دالة على التكثير؛ لأنه علقه بالعبيد وهم كثير، فالذي يظلم الخلق الكثير ظلام وليس ظالمًا، وقد خصها ربنا تبارك وتعالى بنفي الظلم عن نفسه."⁽⁶⁾

(1) علوان، من بلاغة القرآن (ص203).

(2) علم البيان (ص143).

(3) علوان، من بلاغة القرآن (ص204).

(4) [الحج:10].

(5) [الحج:9-10].

(6) السامرائي، من أسرار البيان القرآني (ص34).

وقوله تعالى: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾⁽¹⁾

لما طلب موسى عليه السلام من ربه تبارك وتعالى أن يُرسل معه أخاه هارون ليكون سنداً له أمام فرعون، أجابه ربه قائلاً: سنرسل معك هارون ليكون لك سنداً ونشدد به عضدك، وهذا "تعبير بليغ يناسب المطلوب من موسى؛ لأن الإنسان يزاول أغلب أعماله أو كلها تقريباً بيديه، والعضلة الفاعلة في الحمل والحركة هي العَضُد"⁽²⁾

وهذه قوة مادية أتبعها بقوة معنوية في قوله: "ونجعل لكما سلطاناً؛ أي: قوة في الحجة والمنطق والدليل، وبناء على ذلك قال: "فلا يصلون إليكما بآياتنا" وأكد على نصرتهم ومن اتبعهم أيضاً.⁽³⁾

ومما يمكن ملاحظته: توسط لفظة "بآياتنا" بين الآيتين "فلا يصلون إليكما" و"أنتم ومن اتبعكم الغالِبُونَ" فهي إذاً سبب فيهما: فبآياتنا ومعجزاتنا الباهرات ننجيكم، وبآياتنا ومعجزاتنا ننصركم، فهي كلمة واحدة تخدم المعنيين، وهذا من وجوه بلاغة القرآن الكريم.⁽⁴⁾ وفي الآية مجاز مرسل علاقته السببية، حيث أطلق السبب وهو "عضدك" وأراد المسبب "القوة".

وقد بدأت الآية بالسین الدالة على المستقبل القريب والمتصلة بالفعل المضارع؛ للدلالة على استمرارية مؤازرة الله عز وجل لنبيه موسى عليه السلام في كل زمان ومكان.

2- الجزئية:

"وهي التي يطلق فيها الجزء ويراد الكل".⁽⁵⁾

ومنه قوله تعالى: ﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾⁽⁶⁾

في الآية مجاز مرسل علاقته الجزئية، "حيث أطلق الجزء "عينها" وأراد الكل وهي "النفس"؛ وذلك لأن العين هي الجزء الذي يظهر لنا ما في النفس من ألم وحسرة أو فرح

(1) [القصص:35].

(2) الشعراوي، خواطر حول القرآن الكريم (ج18/10921).

(3) انظر: المرجع السابق، ج18/10922.

(4) المرجع نفسه، ج18/10922.

(5) علوان، من بلاغة القرآن (ص206).

(6) [طه:40].

وسرور، فاستقرار العين دلالة على استقرار النفس، وعدم استقرارها دلالة على عدم استقرار النفس خاصة عند النساء، ولذلك استخدمها التعبير القرآني⁽¹⁾.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾⁽²⁾

حيث أطلق الجزء "الركوع والسجود" وأراد الكل "الصلاة"، وقد خصصا بالذكر دون غيرهما؛ لشرفهما ولأن الخضوع والتذلل لله يكون بهما.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾⁽³⁾

أطلق الجزء "كلمة" وأراد الكل؛ أي: الكلام أو الجملة، فالكلمة التي يقولها الكافر عند احتضاره: "رب ارجعون لعلني أعمل صالحاً فيما تركت" وهي جملة تدل على ندمه يوم لا ينفع الندم ولا يجدي البكاء.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾⁽⁴⁾

حيث أطلق الجزء وهو "الوجه" وأراد الكل "الذات"، فالله سبحانه وتعالى هو الحي الذي لا يموت، وكل ما وجد في هذا الكون عائد إليه لا محالة، (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ)⁽⁵⁾

3- الكلية:

وهو "أن يطلق الكل ويراد به الجزء"⁽⁶⁾.

كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾⁽⁷⁾

(1) علوان، من بلاغة القرآن (ص208).

(2) [الحج:77].

(3) [المؤمنون:99-100].

(4) [القصاص:8].

(5) [الرحمن:26-27].

(6) علوان، من بلاغة القرآن (ص208).

(7) [طه:74].

مجاز مرسل علاقته الكلية حيث أطلق الكل (جهنم) وأراد جزءاً منها.
وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرْكًا وَلَا تَخْشَى﴾⁽¹⁾

مجاز مرسل علاقته الكلية حيث أطلق الكل وهو البحر أراد جزءاً منه.

4- الآلية:

"أي: أن يذكر الشيء باسم آله التي يؤدي بها الفعل".⁽²⁾

ومنه قوله تعالى: ﴿قَالُوا فَأَتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾⁽³⁾

جاءت هذه الآية في سياق حديث المشركين عن سيدنا إبراهيم عليه السلام عندما حطم أصنامهم، فأرادوا التشهير به أمام الناس وإعلان فعلته على رؤوس الأشهاد لذلك طالبوا بالإتيان به أمام الناس جميعاً لسؤاله عن تحطيم تلك الأصنام.⁽⁴⁾

وقد أطلق العين وهي الآلة التي يُبصر بها، وأراد الرؤية على سبيل المجاز المرسل.

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾⁽⁵⁾

أي: جعلنا لإسحاق ويعقوب ثناءً وذكرًا حسنًا، فأطلق الآلة وهي "اللسان" وأراد اللغة التي تؤدي به، فهو مجاز مرسل علاقته الآلية.

وكذلك قوله تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ * وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ

فِي الْآخِرِينَ﴾⁽⁶⁾

(1) [طه:77].

(2) علوان، من بلاغة القرآن (ص213).

(3) [الأنبياء:61].

(4) انظر: قطب، في ظلال القرآن (ج4/2386).

(5) [مريم:50].

(6) [الشعراء:83-84].

5- الحالية:

"وفيها يذكر الحال و يراد المحل".(1)

ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾(2)

في سياق حديث الله سبحانه وتعالى عن قوم لوط وكيف أهلك القرية الظالمة؛ لارتكابها الخبائث، ونجى لوطاً عليه السلام ومن اتبع ملته وأدخلهم في رحمته وجنته، عبر بلفظ الحال "الرحمة" وأراد المحل "الجنة" على سبيل المجاز المرسل.

6- المحلية :

"وفيها يُذكر المحل ويراد ما يحل به".(3)

كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ﴾(4)

أطلق المحل "القرية" وأراد أهلها، فالإهلاك بطبيعة الحال لسكانها وليس لها. والآية من القصر بطريق النفي والاستثناء للأهمية والتخصيص، فقصر الإهلاك على القرية الظالمة.

7- اعتبار ما كان:

"وفيه يسمى الشيء باعتبار ما كان عليه".(5)

كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾(6)

عبر بالفعل المضارع "يأت" مع أن الاتيان حصل ووقع في الزمن الماضي؛ لاستحضار تلك الصورة البشعة التي كان عليها الكافر في الدنيا، وفيها أيضاً دلالة على التجدد و الاستمرارية وطول الفترة التي سيحاسب فيها الكافر، وتسميته مجرماً باعتبار ما كان عليه من

(1) علوان، من بلاغة القرآن(ص211).

(2) [الانبياء:75].

(3) علوان، من بلاغة القرآن(ص212).

(4) [الشعراء:208].

(5) علوان، من بلاغة القرآن (ص210).

(6) [طه:74].

الإجرام قبل موته، وعندما عرض على الله سبحانه وتعالى ليحاسبه على أعماله بقيت هذه الصفة ملازمة له بسبب ما اقتترف فيما مضى.

وقد بدأت الآية بالتوكيد على أن الذين يفعلون المعاصي حتماً سيحاسبون على أفعالهم يوم القيامة.

وفي قوله: "فإن له جهنم" قصر باستخدام التقديم والتأخير، فقدم الجار والمجرور "له" على اسم إن "جهنم"؛ للأهمية والتخصيص.

واستخدام المحسن البديعي "الطباق" في قوله تعالى: "لا يموت فيها ولا يحيى"؛ لتوضيح المعنى وإبرازه، فهو بين الأمرين وهذا في قمة العذاب.

8- اعتبار ما سيكون:

"وفيه يسمى الشيء باعتبار ما يؤول إليه".⁽¹⁾

كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرْكًا وَلَا تَخْشَى﴾⁽²⁾

لما أوحى الله سبحانه وتعالى لنبيه موسى عليه السلام بأن يأخذ بني إسرائيل ويجتاز بهم البحر في غفلة من فرعون وجنوده، أمره بأن يضرب البحر بعصاه فينشق ويصبح أرضاً يابسة خالية من الماء فيسيروا عليها.

وقوله: "لا تخاف دركاً ولا تخشى" أي: "لا تخاف دركاً من فرعون ولا تخشى غرقاً من البحر أن يمسك إن غشيك".⁽³⁾

وقد وقع المجاز المرسل في لفظة "يبساً" فلم يكن البحر حينما ضربه ييبساً، إنما كان ذلك باعتبار ما سيؤول إليه.

وفي قوله: "لا يخاف ولا يخشى" افتراق في المعنى لا ترادف، فليس في كتاب الله شيء من الترادف، وفي الفرق بينهما يقول الألوسي: "الخشية تكون من عظم المخشي وإن كان

(1) علوان، من بلاغة القرآن (ص211).

(2) [طه:77].

(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج11/228).

الخاشي قوياً، والخوف من ضعف الخائف وإن كان المخوف أمراً يسيراً، يدل على ذلك أن تقاليد الخاء والشين والياء تدل على الغفلة والتدبر.⁽¹⁾

قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلسَانِكَ لِنُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَنُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾⁽²⁾

في هذه الآية يخاطب الله سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام قائلاً له: يسرنا هذا القرآن بلسانك الفصيح لتبشر به من اتقى من عبادنا، وتندر به من كفر وجادل بغير حق.

وقد وقع المجاز المرسل في لفظة "المتقين" حيث أطلق الله عز وجل ذلك الوصف عليهم باعتبار ما سيكونوا عليه مستقبلاً بعد طاعتهم له وانقيادهم لشرعه.

ولقد تضمنت هذه الآية جملة من الأسرار البلاغية وهي كالاتي:

1- استخدام حرف الجر "اللام" في لفظة "لتبشر"؛ للتعليل، فالغرض من إنزال القرآن بلسان عربي فصيح وهو زف البشرى للمتقين بأنهم سيخلدون في جنات النعيم، وحمل الوعيد و التهديد للمكذابين المنكرين.

2- تقديم البشارة "لتبشر" على الإنذار "تندر"؛ وذلك جرياً على الأصل، فالأصل في القوم الذين أنزل عليهم القرآن بلغتهم أن يسرعوا للانقياد لكل ما جاء فيه فيكونوا متقين يستحقون تلك البشارة، ولما كانت فئة ضالة قد أصرت على كفرها وجحودها وعنادها، استحقت الإنذار ليكون ذلك حجة عليها عند العرض على رب العباد.

بالإضافة إلى حرص الإسلام على الترغيب للدخول فيه، فكان أولى وأنسب ذلك التقديم.

3- تقديم الجار والمجرور "به" على لفظتي "المتقين - قوماً لداً"؛ وذلك لأن الضمير المتصل "الهاء" يعود على القرآن الكريم، فجاء التقديم لبيان عظم وشرف القرآن الكريم.

4- الحذف، وقد تمثل في حذف "المبشر به" وكذلك "المحذر منه"؛ نظراً للعلم بهما فلا حاجة لذكر ما لا يلزم، كما أن هناك العديد من الآيات القرآنية التي بينت النعيم الذي ينتظر المتقين، فضلاً عن تلك التي بينت العقاب للمنكرين، فكان الحذف من باب الإيجاز والاختصار.

5- التعبير بالفعل المضارع "تبشر - تندر"؛ للدلالة على التجدد والاستمرارية، فالبشرى مستمرة ومتجددة لكل مؤمن، وكذلك العقاب متجدد للكافرين.

(1) (الألوسي، روح المعاني (ج7/134).

(2) [مريم:97].

6- الطباق بين الفعلين "تبشر - تنذر"؛ لتوضيح المعنى وإبرازه.

7- الكناية اللطيفة، فوصف القوم بأنهم لداً فيه كناية عن شدة حقدهم وكرههم لهذا الدين فضلاً عن عنادهم وجدالهم الباطل بغير حق، فاللاد: شديد الخصومة.

9- الملزومية:

"هي كون الشيء يجب عند وجوده وجود شيء آخر، نحو: ملأت الشمس المكان؛ أي: الضوء فالشمس مجاز مرسل علاقته (الملزومية)؛ لأنها متى وجدت وجد الضوء، والقرينة ملأت".⁽¹⁾

ومنه قوله تعالى: ﴿ إِذَا رَأَوْهُم مِّنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴾⁽²⁾

في سياق حديث الله سبحانه وتعالى عن المشركين وتكذيبهم بيوم القيامة، وما أعد لهم من عذاب، جاءت هذه الآية لتصور لنا مشهداً مرعباً بانتظارهم، من خلال دب الحياة في السعير* *، حيث تنتظر فترى أمامها أولئك المكذبين، فيزداد زفيرها وتغيظها تحرقاً منهم، حتى يُلقون فيها فلا مجال للهرب منها.⁽³⁾

وفي الآية مجاز مرسل علاقته الملزومية، وفي ذلك يقول المولى أبو الفداء في كتابه روح البيان: "دارى تنتظر دارك؛ أي: تقابلها فأطلق الملزوم وهو الرؤية وأريد اللازم وهو كون الشيء بحيث يرى والانتقال من الملزوم الى اللازم مجاز".⁽⁴⁾

كما واختار القرآن الكريم التعبير عن المستقبل القريب بالفعل الماضي (سمعوا) مع أنهم لم يسمعوا بعد؛ وذلك للتنبيه على تحقيق وقوعه أو قربيه.

(1) الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (ص253).

(2) [الفرقان:12].

(3) انظر: البروسوي، روح البيان (ج6/2554-2555).

* * دب الحياة في السعير هو من باب التشخيص، ويُقصد به: خلع الحياة على المواد الجامدة، والظواهر الطبيعية، فترتقي لتصبح حياة إنسانية، فترتقي الصورة لتكون غاية في الإعجاز من كتاب: التصوير الفني في القرآن (ص73).

(4) البروسوي، روح البيان (ص194).

المبحث الثالث:

التركيب النحوية للاستعارة ودلالاتها البلاغية الاستعارة

الاستعارة لغة :

من العارية واستعاره ثوباً أعاره إياه، واعتوروا الشيء تداولوه فيما بينهم.⁽¹⁾

الاستعارة اصطلاحاً:

عرفها القاضي الجرجاني بقوله: "الاستعارة ما اكتُفي فيها بالاسم المستعار عن الأصل، ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها. وملاكها تقريب الشبّه، ومناسبة المستعار له للمستعار منه، وامتزاج اللفظ بالمعنى؛ حتى لا يوجد بينهما منافرة، ولا يتبين في أحدهما إعراض عن الآخر."⁽²⁾

وعرفها أبو هلال العسكري بقوله: "الاستعارة نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض."⁽³⁾

وعرفها ابن المعتز بقوله: "الاستعارة: استعارة الكلمة لشيء لم يعرف بها من شيء قد عرف بها."⁽⁴⁾

وعليه فالاستعارة: "استعمال اللفظ لغير ما وضعت له لعلاقة المشابهة بين المعنى الأصلي للكلمة، والمعنى الذي نقلت إليه الكلمة مع وجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي."⁽⁵⁾

وتعتبر الاستعارة لون من ألوان النظم المحكم في القرآن الكريم، وفي ذلك يقول د. عبد الفتاح أبو لاشين: "فالتصوير القرآني - والاستعارة منه - لون من ألوان النظم، ولا يتصور أن يتم رسم مشهد من مشاهد القرآن الكريم المتنوعة في لطفها وجمالها دون إطار منظوم، أو تأليف محكم."⁽⁶⁾

(1) انظر: الرازي، مختار الصحاح (ص221).

(2) الجرجاني، الوساطة بين المتبني وخصومه (ص41).

(3) العسكري، الصناعتين (ص268).

(4) ابن المعتز، البديع في البديع (ص24).

(5) علوان، من بلاغة القرآن (ص215).

(6) لاشين، التراكيب النحوية عند عبد القاهر الجرجاني (ص202).

ولقد نبه الإمام عبد القاهر الجرجاني إلى الصلة بين الاستعارة والتركييب النحوي معتبراً "أن جمال الاستعارة وحسن وقعها يعود إلى التركييب النحوي، ويرجع إلى النظم والتأليف في العبارة، فإذا كان التركييب محكماً، والتأليف متسقاً يقوم على قواعد اللغة، ووضع كل كلمة في مكانها المناسب، كانت الاستعارة في أعلى المراتب، وأسمى الدرجات." (1)

أركان الاستعارة :

المستعار: وهو اللفظ المنقول أي: وجه الشبه، **المستعار منه:** وهو المشبه به.

المستعار له: وهو المشبه.

أنواع الاستعارة:

أولاً: الاستعارة المكنية:

"وهي ما حُذف منها المشبه به (المستعار منه)، وبقيت صفة من صفاته، أو لازمة من لوازمه." (2)

وأمثلته كثيرة في القرآن الكريم، ومنها على سبيل الذكر لا الحصر:

قوله تعالى: ﴿ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ (3)

حيث شبه ظهور الشيب في الرأس بالنار المشتعلة بجامع البياض والانتشار والانبساط، وحذف المشبه به "النار" وأتى بصفة من صفاته وهي الاشتعال على سبيل الاستعارة المكنية.

وقد عبر القرآن الكريم عن ظهور الشيب وانتشاره بالفعل الماضي "اشتعل"؛ للدلالة على حدوث الفعل وانتهائه، فهو انتشر في الرأس وانقضى الأمر، كما أن هذا الفعل لا يوحي بالانتشار والانبساط فحسب، "ولكنه يحمل معنى دبيب الشيب في الرأس في ببطء وثبات، كما تدب النار في الفحم مبطئة، ولكن في دأب واستمرار، حتى إذا تمكنت من الوقود اشتعلت في قوة لا تبقى ولا تذر، كما يحرق الشيب ما يجاوره من شعر الشباب، حتى لا يذر شيئاً إلا

(1) لاشين، التراكيب النحوية عند عبد القاهر الجرجاني (ص202).

(2) علوان، من بلاغة القرآن (ص217).

(3) [مريم:4].

التهمة، وأتى عليه، وفي إسناد الاشتعال إلى الرأس ما يوحي بهذا الشمول الذي التهم كل شيء في الرأس".⁽¹⁾

فهو بذلك قد أعطى معنى المبالغة في الشمول والعموم، فأصل الآية: اشتعل شيب الرأس، ولكن لما أسند الاشتعال للرأس وقدمه على الشيب أفاد ذلك المعنى، إلا أن هذا الإسناد قد جعل الشيب على وجهين إعرابين إما تمييزاً أو حالاً، فإن كان تمييزاً فهو لإزالة الإبهام عن الرأس وتمييزه، وإن كان حالاً فهو لبيان هيئة الاشتعال وحدوثه، والأرجح أنه تمييز محول عن فاعل أي: اشتعل شيب الرأس.⁽²⁾

كما أن النص القرآني عدل عن إضافة الرأس إلى ضمير المتكلم فلم يقل "رأسي"؛ نظراً لعلم القارئ أن القائل سيدنا زكريا عليه السلام، فلا داعي لإضافة ما لا يلزم.

قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا * وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾⁽³⁾

شبه الله سبحانه وتعالى المكانة العالية التي أعطاها لسيدنا إدريس عليه السلام بأن جعله صديقاً ونبياً ورفع قدره في العالمين "وهذا أمر معنوي" بالمكان أو الجبل المرتفع "وهو أمر مادي" بجامع السمو والارتفاع والاستشراق، وحذف المشبه به "المكان المرتفع أو الجبل" وأتى بصفة من صفاته "علياً" على سبيل الاستعارة المكنية.

وقد عبر الله سبحانه وتعالى عن انتهاء الفعل باستخدام الفعل الماضي "رفعنا"، كما دلل على عظيم هذا الفعل باستخدام "نا" الجمع للتعظيم.

وفي دلالة واضحة من القرآن الكريم على منزلة سيدنا إدريس عليه السلام استخدم الله سبحانه وتعالى الصفة "علياً"؛ ليصف بها تلك المكانة السامية، كما لا يخفى علينا المبالغة الواضحة في هذه اللفظة مما أعطى المعنى مزيداً من التعظيم والكثرة، وقد كان القرآن الكريم قادراً على استخدام لفظة "عالياً" بدلاً من "علياً" ولكن لما كان في لفظة "علياً" مبالغة وتعظيماً كان أولى استخدامها.

قال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَّكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى﴾⁽¹⁾

(1) بدوي، من بلاغة القرآن (ص167).

(2) انظر: الزجاج، معاني القرآن (ج3/319)، وصافي، الجدول في إعراب القرآن (ج16/270)، درويش، إعراب القرآن وبيانه (ج6/55)، وابن عاشور، التحرير والتنوير (ج16/64).

(3) [مريم: 56- 57].

في سياق حديث الله سبحانه وتعالى عن النعم التي أنعم بها على عباده، جاءت هذه الآية لتصور لنا مشهداً عظيماً على قدرته، فقد صير الأرض منبسطة ومستوية؛ لتكون مهياً للحياة عليها فهي كالفرش الممتد المنبسط وهذا يُفهم من الفعل "جعل" الذي يفيد التحويل والضرورة، ووجه الشبه الانبساط والاستواء، وهذا على سبيل الاستعارة المكنية.

ثانياً: الاستعارة التصريحية:

"وهي ما حذف فيها المشبه (المستعار له)، وصرح بلفظ المشبه به (المستعار منه)".⁽²⁾
ومن أمثلتها قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنْزَرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصَّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾⁽³⁾

في سياق حديث الله سبحانه وتعالى عن الكفار وإعراضهم عن قبول الحق، جاء تشبيههم بالصم الذين لا يسمعون ما يُقال، وفي ذلك إشارة إلى بلوغهم أقصى درجات الإعراض والعلو عن سماع الحق الذي جاء به الأنبياء عن رب العباد ليتحتم عليهم استحقاق العقاب لرفضهم ما أنذروا به، حيث حذف المشبه "الكفار" وصرح بالمشبه به "الصم" على سبيل الاستعارة التصريحية.

وفي استخدام الفعل المضارع "يسمع" المسبوق بالنفي "لا" دلالة على استمرارية وتجدد رفضهم للانقياد لأوامر الله عز وجل، مع تجدد الدعوة لهم من حين لآخر.

وقد أفاد تعريف لفظة "الصم" الشمول والعموم، فجميع الكفار لا يستمعون لما أنذروا به.
قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا * مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا﴾⁽⁴⁾

حيث شبه الله سبحانه وتعالى عقوبة من أعرض عن ذكره وعبادته بالوزر؛ أي: الحمل الثقيل، فحذف المشبه "العقوبة" وصرح بالمشبه به "الوزر"، واستعير له قرينة دالة عليه وهي "يوم القيامة" على سبيل الاستعارة التصريحية.

(1) [طه:53].

(2) علوان، من بلاغة القرآن (ص220).

(3) [الأنبياء:45].

(4) [طه:99-100].

والتعبير بالفعل المضارع "يحمل" المسبوق بالتوكيد دلالة على استمرارية حمل الكفار لأوزارهم، وفي ذلك تصوير لفضاعة العقوبة التي استحقوها بسبب تراكم وثقل الذنوب التي ارتكبوها.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاَهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾⁽¹⁾

في سياق حديث الله سبحانه وتعالى عن مراحل خلق الإنسان، شبه سبحانه وتعالى الرحم بالقرار المكين؛ أي: المكان المستقر لوجود الجنين، وحذف المشبه "الرحم" وصرح بالمشبه به "القرار المكين" بجامع الاستقرار والثبات على سبيل الاستعارة التصريحية.

و"مكين" صفة مشبهة تدل على ثبوت وملازمة صفة الاستقرار لما قبلها.

وقوله تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا﴾⁽²⁾

ثالثاً: الاستعارة التمثيلية:

"هي تركيب استعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة معناه الوضعي، بحيث يكون كل من المشبه والمشبه به هيئة منتزعة من متعدد وذلك بأن تشبه إحدى صورتين منتزعتين من أمرين، أو أمور (بأخرى) ثم تدخل المشبه في الصورة المشبه بها مبالغة في التشبيه"⁽³⁾.

وقد تكون مكنية أو تصريحية بشرط أن يكون وجه الشبه منتزع من عدة أمور.

قال تعالى: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ * أَنْ أَدْفِنِي فِي التَّابُوتِ فَأَدْفِنِي فِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَالْقَيْثُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾⁽⁴⁾

لما طلب سيدنا موسى عليه السلام من ربه أن يشرح صدره وييسر أمره ويحلل عقدة لسانه ويبيعث معه هارون ليكون سنداً له في دعوته لفرعون، أجاب الله سبحانه وتعالى سؤاله، وطمأنه بأنه قد حفظه فيما سبق من بطش فرعون حين ألهم أمه بأن تلقيه في البحر؛ حتى لا يقتله فرعون، حيث كان يقتل الذكور في ذلك الوقت خشية ميلاد نبي يدعو إلى دين الله ويعارض ما يدعيه، فإذا بالتابوت الذي يحمله يصل إلى فرعون بكل هدوء، فيلقي الحق تبارك

(1) [المؤمنون:13].

(2) [طه:101].

(3) الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع (ص275).

(4) [طه:38-39].

وتعالى حب نبيه في قلب امرأة فرعون، وبذلك تأبى مشيئته أن يتربى في غير ذلك البيت ليكون صاعقة لفرعون في كبره. (1)

والمأمل في تركيب هذه الآية يجدها قد اشتملت على جملة من الصور البلاغية بالإضافة إلى الدقة في انتقاء الألفاظ والأفعال للتعبير عن الغرض المنشود، ومن ذلك:

أولاً: التوضيح بعد الإبهام، ففي قوله: "أوحينا إلى أمك ما يوحي" جملة مبهمة جاء توضيح ما فيها في الآية التالية "أن قذفيه في التابوت فاقدفيه ... الخ"

ثانياً: الاستعارة التمثيلية، ففي الآية تمثيل لشدة الرعاية وفرط الحفظ والحماية بمن يصنع بمرأى من الناظر؛ لأن الحافظ للشيء في الغالب يديم النظر إليه فممثلٌ لذلك بمن يصنع على عين الآخر، بجامع الاهتمام والحفظ والرعاية. (2)

ثالثاً: تكثير لفظة "محبة" فقد أفاد تنكيرها التعظيم والتفخيم.

رابعاً: استخدام المصدر الميمي "محبة" بدلاً من المصدر الأصلي "المفعول المطلق" حباً؛ وذلك لأن المفعول المطلق يكثر استخدامه مع العموم فنقول مثلاً: أحبك حباً، أكتب كتابة... الخ، أما المصدر الميمي فنادر ما يستخدم، وبالتالي فيه خصوصية وعناية لا تتوفر في المصدر الأصلي، وهذا يناسب السياق القرآني ورعايته الخاصة بسيدنا موسى عليه السلام منذ ولادته.

خامساً: الفعل المضارع في قوله تعالى: "ولتصنع على عيني"، اتصل بلام التعليل التي تنصبه وجوباً بأن المضمرة بعدها، وقد أفاد هذا الفعل استمرارية حفظ الله وعنايته بنبيه.

سادساً: شبه الجملة "على عيني" والتي تعني بمرأى مني، كان لها عظيم الأثر في بث روح الطمأنينة والسكينة في نفس موسى عليه السلام.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ (3)

مثل الله سبحانه وتعالى للإنسان المنافق المضطرب في دينه الذي لم تثبت في الحق قدمه، وأضعف شبهة يتعرض لها قادرة على رده عن دينه، بمن هو قائم على حرف أو طرف مكان مرتفع، أدنى عارض يزلقه وأضعف دافع يطرحه، بجامع الضعف والهوان.

(1) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج11/169).

(2) انظر: الصابوني، صفوة التفسير (ج2/214).

(3) [الحج:11].

وقد بدأت الآية ب"من" التبعية التي تدل على وجود فئة منافقة من حديثي الإسلام، وكذلك وجود فئة آمنت فصدقت إيمانها، كما وعبر بلفظة "الناس" عن تلك المجموعة ولم يعبر عنها بالمسلمين أو المؤمنين؛ ليدل على أن هذه الطائفة لم يدخل الإيمان ولا الإسلام قلوبهم.

وقد أفاد حرف الجر "على" الاستعلاء؛ لارتباطه بالمكان.

قال تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ (1)

مثل لصوت غليان النار واحتياجها عند رؤية المشركين بصوت الإنسان المغتاض عندما يغضب ويتحرق لسبب ما، بجامع حدة الغضب والانفعال.

وقد عبر بالفعل الماضي "رأت" الذي يفيد انتهاء الفعل وانقضائه في زمانه، وهذا يدل على موقف النار من الكفار ومعرفتها بهم، وكأنهم قد وُسموا بعلامة تدل على كفرهم.

وفي ذات السياق استخدم نفس الزمن في الفعل "سمعوا" الذي يدل على علو وارتفاع أصوات النار من زفير واضطراب، وجاء الفعل "تغيظاً" وهو مصدر قياسي لفعل خماسي "تغيظ" يدل على المبالغة في ردة فعل جهنم عند رؤيتها الكفار وكرهها الشديد لهم.

رابعاً : الاستعارة الأصلية:

"وهي ما كان اللفظ المستعار فيها اسماً جامداً غير مشتق". (2)

ومن أمثلتها، قوله تعالى: ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيِّضًا مِّنْ غَيْرِ سُوءِ آيَةٍ أُخْرَى﴾ (3)

تحمل هذه الآية المعجزة الثانية التي من الله بها على سيدنا موسى عليه السلام، فالمعجزة الأولى كانت تصيير العصا حية تسعى كما في قوله تعالى: ﴿فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ (4).

أما هذه المعجزة فكانت بإدخال يده تحت إبطه ثم إخراجها لتظهر نيرة مضيئة كضوء الشمس والقمر، وقد يتساءل البعض عن الإعجاز في ذلك، إلا أنه يبرز من كون سيدنا موسى

(1) [الفرقان:12].

(2) علوان، من بلاغة القرآن (ص223).

(3) [طه:22].

(4) [طه:20].

عليه السلام صاحب بشرة سمراء⁽¹⁾، وإخراج يده بيضاء لامعة معجزة لا تختص إلا بخالق الأكوان، فهي ليست بيضاء فحسب إنما لا برص فيها ولا مرض وقد فهم هذا من لفظة "من غير سوء" فاحترس بهذه اللفظة عن أن يتوهم البعض من وجود مرض ما.

وقد جاءت هذه الآية على سبيل الاستعارة التصريحية، فالأصل أن الجناح للطائر إلا أنها لما كانت تقابل في الإنسان جنبه أو إبطه استعارها له، فحذف النص القرآني المشبه وهو جنب الإنسان وصرح بالمشبه به وهو الجناح على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية، فهي تصريحية لما سبق ذكره، وأصلية؛ لأن اللفظ المستعار "الجناح" اسم جامد غير مشتق.

كما وبدأت الآية باستخدام فعل الأمر الحقيقي الذي يفيد الإلزام، ثم استخدم النص القرآني الفعل المضارع "تخرج" الذي يدل على الاستمرارية، وقد كان مناسباً لهذا السياق؛ لأن الحدث لن يتوقف عند إخراج موسى عليه السلام يده بيضاء في سيناء، إنما سيتكرر معه عند مواجهته لفرعون وجنوده.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾⁽²⁾

شبه الله سبحانه وتعالى الفئة الطاغية المتمردة في الدنيا عن اتباع أمره بالشيطان الذي يزين للناس سوء الأعمال، وحذف المشبه "الفئة الطاغية" وصرح بالمشبه به "الشيطان" على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية .

خامساً: الاستعارة التبعية:

"ما كان فيها اللفظ المستعار، أو اللفظ الذي جرت فيه الاستعارة اسماً مشتقاً أو فعلاً"⁽³⁾.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً﴾⁽⁴⁾

استعارة مكنية تم توضيحها سابقاً، ولما اشتق الفعل "اشتعل" من الاشتعال كانت استعارة تبعية .

قال تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾⁽⁵⁾

(1) انظر: الصابوني، صفوة التفسير (ج2/213).

(2) [الحج:3].

(3) علوان، من بلاغة القرآن(ص224).

(4) [مريم:4].

(5) [الأنبياء:18].

حيث شبه الحق بشيء مادي يُقذف على الباطل على سبيل الاستعارة المكنية، وحذف المشبه به الشيء المادي وأبقى صفة من صفاته وهي "القذف".

وهذه استعارة تبعية؛ لأن اللفظ الذي جرت فيه الاستعارة "تقذف" فعل.

وقد بدأت الآية بحرف العطف "بل" الذي يفيد الإضراب، وعبر الله سبحانه وتعالى عن استمرارية انتصار الحق وظهوره على الباطل باستخدام الفعل المضارع "تقذف"، وكذلك باستخدام نفس الزمن مع الفعل "يدمغه" مما زاد المعنى قوة وتأكيذاً لذلك الانتصار.

قال تعالى: ﴿ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾⁽¹⁾

جاءت هذه الآية بعد الانتهاء من الحديث عن صفات المؤمنين، وهذا خير دليل على أنهم لم يكلفوا إلا بما في مقدورهم القيام به، حيث شبه الله سبحانه وتعالى الكتاب الذي يشمل على صحائف الأعمال بالإنسان الذي ينطق، وحذف المشبه به الإنسان، وأتى بشيء من صفاته "النطق" على سبيل الاستعارة المكنية.

وهي استعارة تبعية؛ لأن اللفظ الذي جرت فيه الاستعارة "ينطق" فعلاً.

وقد ذيلت الآية بقوله: "وهم لا يظلمون" للإشارة إلى عدل الله سبحانه وتعالى، فكل جزاء أو عقاب بناءً على ما قدم الإنسان لآخرته.

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾⁽²⁾

حيث شبه الله سبحانه وتعالى الأرض بكائن حي نائم، فإذا نزل عليه المطر تحرك ودبت فيه الحياة من جديد على سبيل الاستعارة المكنية التبعية.

(1) [المؤمنون:62].

(2) [الحج:5].

سادساً: الاستعارة في الحروف :

الحرف لغة:

"حرف كل شيء طرفه وشفيره وحده".⁽¹⁾

الحرف اصطلاحاً:

"ما دلّ على معنى في غيره، مثل "هل وفي ولم وعلى وإن ومن". وليس له علامة يتميّز بها، كما للاسم والفعل".⁽²⁾

بناءً على تلك الدلالة تكون الاستعارة في الحروف فيما يتعلق بمعانيها أو ما يتعلق بتلك المعاني.

ومن أمثلتها على سبيل الذكر لا الحصر:

قوله تعالى: ﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَأَلْصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ آيُنَا أَشَدَّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾⁽³⁾

موطن الشاهد قوله تعالى: "أَلْصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعٍ"، شبه متعلق معنى "على" بمتعلق معنى "في"، ومعلوم أن "على" يفيد الاستعلاء، وأن الأخير يفيد الظرفية، فشبه متعلق الاستعلاء بمتعلق الظرفية، فجعل المستعلي على الشيء "المصلوب فوق الشجرة" بمن هو حال فيه؛ أي: "من هو في الجذع نفسه" بجامع الثبوت.⁽⁴⁾ فقد صلبهم مقطوعي الأيدي والأرجل، حتى كأن الناظر إليهم لا يكاد يميزهم من هذه الجذوع وبهذا يكون الجذع قد أحاط بهم فكأنهم فيه لا عليه، وفي ذلك إشارة إلى كثرة المصلوبين على هذه الجذوع، فضلاً عن شدة العذاب في ذلك التعبير.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اتَّوَا عَلَىٰ وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطَمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾⁽⁵⁾

(1) الرازي، مختار الصحاح (ص70).

(2) الغلابيني، جامع الدروس العربية (ص12).

(3) [طه:71].

(4) انظر: عباس، أساليب البيان (ص330).

(5) [النمل:18].

بدأت الآية بـ "حتى" التي تفيد انتهاء الغاية المكانية فكان يستلزم معها "إلى" الظرفية التي تدل على ذات الأمر، إلا أن الآية استعارت حرف الاستعلاء "على" بدلاً من "إلى"، فعدت "أتوا" بـ "على"؛ لأن الإتيان يكون من فوق⁽¹⁾، و"هم كانوا محمولين على الريح فهم مستعلون"⁽²⁾.

وفي الآية من الإعجاز البلاغي ما لا يخفى على أحد، فقد خاطبت النملة قومها بنداء البعيد؛ للفت انتباههم لعظيم ما ستقول، وعبرت بفعل الأمر المتصل بواو الجماعة وهو مستعمل مع العقلاء فقط؛ ولعل السبب يرجع إلى أنها لما كانت تعلم ما يقول سليمان عليه السلام، وتفهم لغة البشر نزلت منزلة العاقل فخاطبت قومها بما يتعلق بالعقلاء "ادخلوا" دون ادخلن أو ادخلي، وفي هذا إشارة إلى أن الله عز وجل قد جعل لها عقلاً كالآدميين وهذا من بديع خلقه.⁽³⁾

وفي الآية إيجاز بحذف حرف الجر "في"، فالأصل: ادخلوا في مساكنكم، وقد جاء الحذف لغاية بديعة تتمثل في الدلالة على السرعة في الدخول خوفاً من هلاكها.

وقولها: "لا يحطمنك" بمعنى: "لا تكونوا حيث أنتم فيحطمكم"⁽⁴⁾.

وقد أفاد النهي: التنبيه إلى ضرورة الاحتراز والتيقظ في الطريق.

وفي قولها: "سليمان" دون وصفه بالنبي دلالة على صلتها القوية به، فهي على معرفة واتصال مسبق به.

وفي تذييل الآية بـ "وهم لا يشعرون" فن بلاغي عظيم، وهو فن الاحتراس، فقد احترست عن ظلم سليمان وجنوده، فقد لا يعلموا أنها في هذا المكان.

(1) انظر: درويش، إعراب القرآن وبيانه (ج7/182).

(2) الشوكاني، فتح القدير (ج4/150).

(3) انظر: الشحي، تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل (ج3/341).

(4) الكشاف (ج3/356).

المبحث الرابع:

التراكيب النحوية للكناية والتعريض ودلالاتهما البلاغية

أولاً: التراكيب النحوية للكناية ودلالاتها البلاغية:

الكناية لغة:

"أن تتكلم بشيء وتريد غيره، وكنى عن الأمر بغيره يكنى كناية: يعني إذا تكلم بغيره مما يستدل عليه".⁽¹⁾

الكناية اصطلاحاً:

عرفها الإمام عبد القاهر الجرجاني بقوله: "الكناية أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيومئ به إليه، ويجعله دليلاً عليه".⁽²⁾

وعرفها السكاكي بقوله: "هي ترك التصريح بذكر الشيء على ما ذكر ما يلزمه لينتقل من المذكور على المتروك كما نقول: فلان طويل النجاد لينتقل منه على ما هو ملزوم وهو طول القامة".⁽³⁾

وعرفها القزويني بقوله: "لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ".⁽⁴⁾

ويعتبر تعريف القزويني هو التعريف الأكثر شمولاً وإحاطة مما سبقه.

بلاغة الكناية :

تكمّن بلاغة الكناية بأنها واد من أودية البلاغة، ومقتل من مقاتل البيان العربي، وطريق جميل من طرق التعبير الفني، ووسيلة عظيمة للإقناع والتأثير.⁽⁵⁾

(1) ابن منظور، لسان العرب (ج15/233).

(2) الجرجاني، دلائل الإعجاز (ص66).

(3) السكاكي، مفتاح العلوم (ص402).

(4) القزويني، الإيضاح (ج2/241).

(5) انظر: شيخون، الأسلوب الكنائي "نشأته - تطوره - بلاغته" (ص87).

كما أنها مظهر من مظاهر البلاغة وغاية لا يصل إليها إلا من لطف طبعه وصفت قريحته، والسر في ذلك أنها في صور كثيرة تعطيك الحقيقة مصحوبة بدليلها، والقضية وفي طيها برهانها (1)

فضلاً عن ذلك فإن الأسلوب الكنائي في القرآن الكريم يفوق طاقة البشر؛ لما فيه من الإيجاز اللطيف العجيب الذي لا يستطيع محاكاته أرباب الفصاحة والبيان، فلا يكاد يخلو معنى من معاني الكناية إلا وفيه جم عظيم من النكت واللطائف البلاغية ما كانت لتكون على هذه الصورة لو كانت بطريق التصريح⁽²⁾؛ لأن التعبير بها أعطى المعنى مزيداً من الإثبات والتأكيد كما يرى الإمام عبد القاهر الجرجاني حين قال: "ليس المعنى إذا قلنا: "إن الكناية أبلغ من التصريح، أنك لما كُنيت عن المعنى زدت في ذاته، بل المعنى أنك زدت في إثباته، فجعلته أبلغ وأكد وأشد".⁽³⁾

أقسام الكناية:

أولاً: كناية عن صفة:

"وهي التي يطلب بها نفس الصفة، والمراد بالصفة: الصفة المعنوية، كالجود والكرم والشجاعة."⁽⁴⁾

ومن أمثلتها على سبيل الذكر لا الحصر:

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً﴾⁽⁵⁾

هذه الآية كناية عن صفة الندم الشديد الذي يعتري الكافرين يوم القيامة، والندم أمر عقلي لا يدرك بالحواس الخمس إلا أن القرآن الكريم لما عبر عنه بعض اليبدين صورته في هيئة حسية يدركها الناظر إليه، فكانت بذلك أبلغ وأوقع في النفس مما لو صرح بها.

وقد أفاد استخدام أسلوب التمني "يا ليتني" مع الفعل الماضي "اتخذت" مزيداً من التجسيد للندم وتأكيداً على هول الموقف مع عدم الجدوى من ذلك، فقد انتهى بهم الأمر.

(1) الجارم وأمين، البلاغة الواضحة (ص131).

(2) انظر: شيخون، الأسلوب الكنائي "نشأته - تطوره - بلاغته" (ص101).

(3) الجرجاني، دلائل الإعجاز (ص71).

(4) علوان، من بلاغة القرآن (ص233).

(5) [الفرقان:27].

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنبِئٍ * ثَانِي عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾⁽¹⁾

فقوله: "ثاني عطفه"، أي: "لاوي عُنفه عن قبول الحق استكباراً وإعراضاً"⁽²⁾، وفي هذا كناية عن صفة التكبر والاستهزاء .

وعليه فالمعنى: من الناس فئة مشركة تجادل الله في وحدانيته وألوهيته من غير حجة أو دليل من القرآن الكريم أو الكتب السماوية الأخرى، ولا تكتفي بذلك بل تعرض عن الحق بكل سخرية؛ لتضل معها أمماً أخرى عن هذا الدين، ولأن الجزء من جنس العمل فقد توعددها الله سبحانه وتعالى بالخزي في الدنيا والعذاب بالحرق في الآخرة حيث قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَالْعَذَابُ الْآخِرَةُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾⁽³⁾

وإذا نظرنا إلى تركيب الآية النحوي نجده آية في البيان والفصاحة، فقد بدأت الآية بـ "من" التبعيضية التي تدل على مجادلة فئة دون أخرى، أما "من" الثانية فكانت الموصولة بمعنى "الذي" وقد تلاها الفعل المضارع "يجادل" الدال على استمرارية المجادلة والعناد، وفي إضافة شبه الجملة "بغير علم" إشارة إلى جواز المجادلة بشرط أن تكون عن علم ودراية، أما أفراد الضمير في "عطفه" مع أن الحديث عن جمع فكان مراعاة للفظه "من" الثانية؛ أي: لمناسبة السياق القرآني⁽⁴⁾، وفي اتصال لام التعليل بالفعل المضارع "ليضل" دلالة على الهدف من هذه المجادلة وهو استمرارية إضلالهم للناس سعياً في إهلاكهم معهم.

قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾⁽⁵⁾

كناية عن صفة الإحاطة والشمول، فالله عز وجل اختص بهذه الصفة فنفاها عن غيره من المخلوقات، كما وعبر عن علمه بالفعل المضارع؛ للدلالة على استمراريته الأبدية وعدم انقطاعه، وقد أفاد عطف "ما خلفهم" على "ما بين أيديهم" تأكيد معنى الشمول والعموم.

(1) [الحج:8-9].

(2) الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (ج4/280). وانظر: لسان العرب (ج9/251).

(3) [القلم:33].

(4) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج9/209).

(5) [طه:110].

قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأَنْبِيئَكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَمُ النَّارِ وَعَذَابِ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾⁽¹⁾

في هذه الآية كنياتان عن صفة واحدة، وهي صفة الحقد والكره في نفوس الكافرين لكتاب الله عز وجل وقارئيه.

فالكناية الأولى في قوله تعالى: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ﴾، والكناية الثانية في قوله تعالى: ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ واعتبرناهما كنياتان؛ لأن الجملة الثانية مفصولة عن الأولى فقد تكون بدل اشتمال منها أو تكون مبينة ومفسرة لها، وبالتالي فإن كل جملة مكتملة بنفسها منفصلة عن الأخرى، وبذلك تحقق اعتبار كل منهما كناية مستقلة وإن كانتا تحملان نفس الصفة.⁽²⁾

وإذا نظرنا إلى التركيب النحوي للآية نجده قد صيغ بصورة بلاغية محكمة، حيث بدأت الآية بـ "إذا" الشرطية الدالة على ارتباط جواب الشرط بفعله، وعليه فالمعنى كلما سمع الكافرون شيئاً من آيات الله رأيت الحقد والبغض يعلو وجوههم، وفي التعبير بالفعل المضارع "تتلى" دلالة على استمرارية وتجدد التلاوة مع ما يرتبط بتجدد جواب الشرط؛ أي: استمرار البغض والعداوة، وهذا خير دليل على ملازمة تلك الصفة لهؤلاء الكافرين، وبناء هذا الفعل للمجهول إشارة إلى أن القراءة عامة في أي زمان ومكان، ومن أي شخص، فهي غير مقتصرة على شخص معين.

وفي الآية قصر بتقديم الجار والمجرور "عليهم" على لفظة "آياتنا" للأهمية والتخصيص، فكأن الله سبحانه وتعالى يخبرهم أن هذه الآيات الواضحة مخصصة لهم، لعلهم يهتدون بها، وهذا من باب رحمة الله الواسعة، إلا أنهم رغم ذلك أعرضوا وأصروا على كفرهم.

وقد أفاد التعبير بالجمع "آياتنا" بدلاً من المفرد "آية" تأكيداً على كفرهم بجل الآيات وتصويراً لشنيع فعلهم.

وكذلك أفادت إضافة "تلك الآيات" إلى "نا الفاعلين" العائدة إلى الله عز وجل، تعظيماً وتشريفاً لها، وتأكيداً بأنها من عنده، فأنى لهم بعد ذلك أن يكفروا بها!!

(1) [الحج:72].

(2) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج17/335).

و"التعبير ب"الذين كفروا" إظهار في مقام الإضمار"⁽¹⁾، إذ إن الأصل أن يضمروا وينوب عنهم الضمير"هم" إلا أن فصاحة القرآن الكريم أبت ذلك واقتضت إظهارهم بهذا الوصف؛ لتشنيع صورتهم وتقريعهم.

وبمزيد من التمعن نجد الله عز وجل يجسد لنا صورة حية أمامنا تتمثل في محاولتهم قتل أو تعذيب من يتلو آياته، وفي هذا دعم آخر لقباحة صورتهم.

وفي النهاية يختم الله عز وجل الآية بفعل الأمر "قل" المقترن بالاستفهام التهكمي، فينبئهم بعذابهم دون انتظار جوابهم.⁽²⁾ وهذا المشهد المنتظر يوحي بسوء المستقر وهول الموقف عند العرض بين يدي الله عز وجل.

مما سبق يتضح أن الكناية قد عرضت موقف الكافرين من القرآن الكريم، فعلى الرغم من وضوحه ووضوح الأدلة على كونه من رب العباد، إلا أنهم كفروا به، فهي بذلك قد حققت الهدف منها، حيث عرضت الحقيقة مصحوبة بدليلها وهذا آية في الإعجاز، ما كان للإنسي مهما بلغت فصاحته جمع كل الصور والتراكيب بهذه البراعة والفصاحة، فسبحان الله عما يصفون.

ثانياً: كناية عن موصوف:

"هي أن نذكر في الكلام صفة أو عدة صفات، ونريد بها موصوفاً معيناً، والكناية هنا تختص بالمكنى به".⁽³⁾

ومن أمثلتها على سبيل الذكر لا الحصر:

قوله تعالى: ﴿فَاتَّخَذْتُ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾⁽⁴⁾

ففي قوله: "روحنا" كناية عن موصوف وهو جبريل عليه السلام.

قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾⁽⁵⁾

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج17/335).

(2) انظر: المرجع السابق، ج17/336.

(3) علوان، من بلاغة القرآن (ص236).

(4) [مريم:17].

(5) [مريم:19].

قول جبريل عليه السلام: "غلاماً زكياً" كناية عن موصوف وهو عيسى عليه السلام. وقد بدأت الآية بأسلوب القصر للأهمية والتخصيص، فحمل مريم عليها السلام دون المساس بها معجزة اختصت بها، وهي منة من رب العباد لتكون أمّاً لنبي دون زوج، وفي هذا رفع لقدرها؛ نظراً لزهدها وإيمانها الخالص بربها.

وفي هذا الموضوع لابد من الإشارة إلى قضية مهمة، قد يتساءل عنها الكثير، وهي ما السر في إسناد جبريل عليه السلام هبة المولود لنفسه؟ أليس الله عز وجل هو المعطي والمانع؟! بالرجوع إلى كتب التفاسير نجد أن الإجابة على هذا السؤال بسيطة تكمن فيما يلي:

أن الآية قرأت بقراءتين، الأولى: "إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِیَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا" ولا إشكال في هذه القراءة، فهو يبلغها عن ربه أنه تبارك وتعالى سيهب لها عيسى عليه السلام.⁽¹⁾

أما القراءة الثانية: "لَأَهَبَ لَكَ غُلَامًا زَكِيًّا"، وهي القراءة التي وقع فيها الإشكال، إلا أن السبب في إسناد الفعل إلى جبريل عليه السلام على سبيل الحكاية عن ربه، فيكون المعنى كسابقه.⁽²⁾

أو أن الكلام منسوباً لجبريل؛ لكونه سبباً في الهبة كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾⁽³⁾ فجاز إسناد ظاهر الفعل لجبريل عليه السلام؛ تنزيلاً له منزلة الفاعل الحقيقي لكونه السبب في النفخ بأمر ربه عز وجل. قال تعالى: ﴿يَا أُخْتُ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأً سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا﴾⁽⁴⁾

في الآية كناية عن موسى عليه السلام وهو موصوف وهي مريم عليها السلام، والثانية "ما كان أبوك امرأة سوء وما كانت أمك بغياً" كناية عن صفة العفة والطهارة.

ومن المعلوم أن مريم عليها السلام لم تكن أختاً لهارون إلا أن قومها اعتبروها كذلك؛ تشبيهاً لها بصلاحه وزهده وعبادته، وفي هذا تشريف وتكريم لها.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَنْ أَفْذِيهِ فِي التَّابُوتِ فَأَفْذِيهِ فِي النَّيْمِ فَلْيُنْقِهِ النَّيْمُ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ﴾⁽¹⁾

(1) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج5/195).

(2) انظر: ابن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن (ج18/164).

(3) [الأنبياء:91].

(4) [مريم:28].

في قوله: "عدو لي وعدو له" كناية عن موصوف وهو فرعون.

وقد تكررت لفظة "عدو" مرتين، وهذا التوكيد اللفظي دل على حقارة فرعون، وفحش فعله وقوله، وطغيانه.

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾⁽²⁾

"عباد مكرمون" كناية عن موصوف وهم الملائكة.

ثانياً: التراكيب النحوية للتعريض ودلالاتها البلاغية:

التعريض لغة:

خلاف التصريح، والمعاريض: التورية بالشيء عن الشيء، وما عرض به من الكلام ولم يصرح، وعرضت لفلان وبفلان إذا قلت قولاً وأنت تعنيه.⁽³⁾

التعريض اصطلاحاً:

هو "المعنى الحاصل عند اللفظ لا به"⁽⁴⁾، وسمي تعريضاً؛ "لأن المعنى فيه يفهم من عرضه أي: من جانبه، وعرض كل شيء: جانبه."⁽⁵⁾

بلاغة التعريض:

تحدث الثعالبي عن التعريض مبيناً بلاغته فقال: "العرب تستعمل التعريض في كلامها فتبلغ إرادتها بوجه أطف وأحسن من الكشف والتصريح، ويعييون الرجل إذا كان يكاشف في كل وجه، ويقولون فلان لا يحسن التعريض إلا ثلباً، وقد جعله الله في خطبة النساء جائزاً فقال: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ﴾⁽⁶⁾

(1) [طه:39].

(2) [الأنبياء:26].

(3) انظر: ابن منظور، لسان العرب (ج7/183).

(4) الطراز (ج1/194).

(5) ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب (ج2/186).

(6) [البقرة:253].

ولم يجز التصريح، والتعريض في خطبة النساء أن يقول للمرأة: والله إنك لجميلة، وإنك لشابة، ولعل الله يرزقك بعلاً صالحاً، وإن النساء لمن حاجتي وأشباهه من الكلام.⁽¹⁾

ومن أمثلة التعريض على سبيل الذكر لا الحصر:

قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمَ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنَّ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾⁽²⁾

وقع هذا الحوار بين سيدنا إبراهيم عليه السلام وقومه بعد أن حطم أصنامهم، وترك كبيرها معلقاً الفأس في رأسه⁽³⁾، كما في قوله تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾⁽⁴⁾، فالتعريض في قوله تعالى: "بل فعله كبيرهم"، فسيدنا إبراهيم عليه السلام لم يرد نسبة فعل التحطيم حقيقة إلى كبير أصنامهم، إنما أراد أن ينسبه إلى نفسه على سبيل التعريض ليحقق الغرض من جوابه وهو التهكم والسخرية من عقولهم الجاهلة التي تعبد ما لا ينفع ولا يضر.

وفي جوابه عليه السلام بأن كبير الأصنام من قام بتحطيمها لطيفة عظيمة، فهو لم ينكر عليهم فعلته، إنما أخبرهم خبراً معلقاً يقتضي تحقق مضمونه تحقق المعلق عليه وهو نطق الأصنام، ولما كانت لا تنطق، كان هذا دليلاً على فعلته مع الإشارة إلى إيقاظ عقولهم وحثها على التفكير والتدبر.

قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾⁽⁵⁾

جاء في نهاية الأرب أن الحسن قال: "لبث أيوب عليه السلام على المزبلة سبع سنين، وما على الأرض يومئذ خلق أكرم على الله منه، فما سأل الله العافية إلا تعريضاً".⁽⁶⁾

ففي قوله: (وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) تعريض بالدعاء بأن يرحمه الله عز وجل ويرفع عنه هذا البلاء، فلم يصرح بذلك قائلاً: رب اشفني، ولم يعين مقدار الضر الذي مسه، ولم ينسب

(1) الثعالبي، الكناية والتعريض (ص167).

(2) [الأنبياء:62-63].

(3) انظر: ابن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن (ج18/458).

(4) [الأنبياء:58].

(5) [الأنبياء:83].

(6) النويري، نهاية الأرب (ج3/154).

الضر إلى الله عز وجل، إنما اكتفى بالتعريض؛ تأدباً مع الله عز وجل، فحقق بذلك من اللطافة والجمال ما ليس في التصريح بالطلب.

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْفُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصَدَرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ * فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ * فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتُ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾⁽¹⁾

لما خرج سيدنا موسى عليه السلام من مصر خانقاً يترقب ما حوله - بعد قتله القبطي - لعل فرعون يبطش به، دعا ربه عند مدين تعريضاً لا تصريحاً في قوله: "رب إنني لما أنزلت إلي من خير فقير" فقد حمل دعاءه تلميحاً بحاجته للزوجة والمأوى والرزق.

وإذا نظرنا إلى تركيب الآية النحوي نجده قد عبر في دعائه بالفعل الماضي "أنزلت" دون المضارع "ستنزل"؛ ولعل ذلك يرجع إلى أنه قد رأى أن الله تبارك وتعالى قد ساق له مقدمات ما هو بحاجته، حيث بدأت البشائر في الظهور والتي تتمثل بفرحة المرأتين به لما سقى لهما، وعلم أن أبوهما شيخ كبير يحتاج من يعينه، فضلاً عن مجيء إحداهما على استحياء تدعوه لزيارة والدهما لنيل أجر سقياه لهما، وقد استخدمت الآية الفاء العاطفة الدالة على الترتيب و التعقيب مباشرة بعد دعائه في قوله تعالى: " فجاءته إحداهما ... "؛ للدلالة على سرعة استجابة المولى عز وجل لدعائه ورزقه وإكرامه، فقد تحقق له ما سأل فكانت له الزوجة مع الرزق والمأوى.

الفرق بين الكناية والتعريض:

1- "الكناية واقعة في المجاز، ومعدودة منه، بخلاف التعريض، فلا يعد منه؛ وذلك من أجل كون التعريض مفهوماً من جهة القرينة، فلا تعلق له باللفظ، لا من جهة حقيقته، ولا من جهة مجازه".⁽²⁾

2- أن الكناية تشمل اللفظ المفرد والمركب معاً، فتأتي على هذا تارة، وعلى هذا أخرى، وأما التعريض فإنه يختص باللفظ المركب، ولا يأتي في اللفظ المفرد البتة، والدليل على ذلك أنه لا يفهم المعنى فيه من جهة الحقيقة ولا من جهة المجاز، وإنما يفهم من جهة التلويح

(1) [القصص:23-25].

(2) العلوي، الطراز (ج1/201).

والإشارة، وذلك لا يستقل به اللفظ المفرد، ولكنه يحتاج في الدلالة عليه إلى اللفظ المركب.⁽¹⁾

3- "التعريض أخفى من الكناية؛ لأن دلالة الكناية مدلول عليها من جهة اللفظ بطريق المجاز، بخلاف التعريض، فإنما دلالاته من جهة القرينة والإشارة، ولا شك أن كل ما كان اللفظ يدل عليه، فهو أوضح مما لا يدل عليه اللفظ".⁽²⁾

(1) انظر: المثل السائر في أدب الكاتب (ج2/186).

(2) العلوي، الطراز (ج1/202).

الفصل الثالث

التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية في
"علم البديع"

علم البديع:

البديع لغة:

"بدع الشيء يبدعه بدعاً وابتدعه: أنشأه وبدأه" (1)، "و أبدع الشيء اخترعه لا على مثال، والله بديع السموات والأرض؛ أي: مبدعهما". (2)

البديع اصطلاحاً:

"علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية مطابقة الكلام لمقتضى الحال، ورعاية وضوح الدلالة". (3)

واضع هذا العلم:

أول من أطلق كلمة "البديع" على هذا الفن: مسلم بن الوليد، كما جاء في كتاب الأغاني للأصفهاني حيث قال: "فقد جاء مسلم بهذا الذي سماه الناس البديع". (4)

وأول من دونه: "الخليفة عبد الله بن المعتز بن المتوكل العباسي المتوفى سنة 296هـ فقد استقصى ما في الشعر من المحسنات، وألف كتاباً سماه "البديع" ذكر فيه سبعة عشر نوعاً منها الاستعارة والكناية والتورية والتجنيس والسجع، إلى غير ذلك". (5)

وقد قال عن نفسه: "ما جمع فنون البديع، ولا سبقني إليه أحد، وألفته سنة أربع وسبعين ومائتين، وأول من نسخه مني علي بن هارون بن يحيى بن أبي المنصور المنجم". (6)

أقسامه:

1- قسم يرجع للمعنى ويسمى بالمحسنات المعنوية.

2- قسم يرجع للفظ ويسمى بالمحسنات اللفظية.

(1) ابن منظور، لسان العرب (ج6/8).

(2) الرازي، مختار الصحاح (ص30).

(3) علوان، من بلاغة القرآن (ص245).

(4) الأصفهاني، الأغاني (ج31/19).

(5) علوان، علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع (ص7).

(6) البديع (ص152).

المبحث الأول

التركيب النحوية للمحسنات المعنوية ودلالاتها البلاغية

أولاً: الطباق

الطباق لغة:

"المطابقة: الموافقة، والتطابق: الاتفاق، وطابقت بين الشيئين إذا جعلتهما على حذو واحد وألزقتهما".⁽¹⁾

الطباق اصطلاحاً:

"وهو أن تجمع في كلام واحد بين المتقابلين سواء كان التقابل صريحاً أو غير صريح، سلبياً أو إيجابياً، وسواء كان المتضادان اسمين أو فعلين أو حرفين أو مختلفين".⁽²⁾

صوره:

1- الجمع بين اسمين

2- الجمع بين فعلين

3- الجمع بين حرفين

4- الجمع بين اسم وفعل

أنواع الطباق:

1. طباق الإيجاب

2. طباق السلب

3. الطباق الخفي أو المعنوي

(1) ابن منظور، لسان العرب (ج10/209).

(2) الجرجاني، الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة (ص307)، وانظر: علوان، من بلاغة القرآن (ص247).

أولاً: صور الطباق:

1- الجمع بين اسمين:

قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ (1)

لما بشر الله سبحانه وتعالى سيدنا زكريا عليه السلام بهبته له مولوداً اسمه يحيى، وكان قد بلغ من الكبر عتياً و زوجته عاقر، فرح كثيراً بهذه البشرى وطلب من ربه علامة على ذلك، فأمره بأن لا يتحدث ثلاث ليال سوياً، فخرج سيدنا زكريا عليه السلام من المصلى أو الغرفة التي يتعبد فيها، وكان قومه ينتظرونه وراء هذا المحراب ليدخلوا ويصلوا، فلما فتح لهم رأوه مختلف الوجه، فأشار إليهم أن يسبحوا ربهم طرفي النهار. (2)

وقد ورد الطباق بين اسمين "بكرة وعشيا" والبكرة: أول النهار والعشي: آخره، وقد جمع الله بينهما؛ ليدل على لزوم التسييح في كافة الأوقات، وقد أكد هذا اللزوم استخدام المصدر المؤول "أن سبحوا" بدلاً من المصدر الصريح "التسييح".

كما أفاد عطف "بكرة" على "عشيا" الشمول والعموم.

قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (3)

هذه الآية "نزلت في أناسٍ من أهل الكتاب، كانوا على شريعةٍ من الحق يأخذون بها وينتهون إليها، حتى بعث الله محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوهُ، فَأَعْطَاهُم اللهُ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا". (4)

حيث ورد الطباق بين لفظتي "الحسنة، السيئة" فبالقول والفعل الحسن تُدفع السيئة و تزول، وقد بدأت الآية باسم الإشارة "أولئك" المستخدم للإشارة للبعيد، ولا نقصد به البعد الحقيقي إنما بعد المنزلة وعلوها؛ تعظيماً للصابرين المتقين، وقد تلاها الفعل المضارع المبني للمجهول "يؤتون"؛ للدلالة على استمرارية إثابتهم من الله عز وجل مع تأكيد هذا التعظيم، وقد دل المفعول

(1) [مريم:11].

(2) انظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (ج5/258).

(3) [القصص:54].

(4) الصابوني، صفوة التفاسير (ج2/403).

المطلق "مرتتين" على مضاعفة الثواب والأجر، وفي هذا تعزيز وحث للإيمان بالله عز وجل فالحسنة بعشرة أمثالها والثواب في مضاعفة مستمرة.

والمصدر المؤول من "ما" وما بعدها والمقدر بـ "صبرهم" تعليل يفسر ما قبله، فقد وضعت أجورهم بسبب صبرهم على كل ما يلاحقهم من عقبات وأذى في سبيل الله.

أما قوله: "يدرءون بالحسنة السيئة" فالفعل المضارع؛ لاستمرارية دفعهم المعصية بالطاعة، والأذى بالحلم والصبر، وقد جيء بالباء للاستعانة.

وفي قوله: "ومما رزقناهم ينفقون" قدم الرزق على الإنفاق؛ لأنهم مما آتاهم الله من مال ونعم يتصدقون، فما يخرجونه هو من عند الله عز وجل، وفي هذه إشارة إلى فضل الله عليهم وعلى جميع خلقه.

2- الجمع بين فعلين:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾⁽¹⁾

أي: قال كفار قريش لأتباع النبي صلى الله عليه وسلم: كونوا معنا وأقروا بآلهتنا وابدوها مثلنا، ونحن ليقيننا أنه لا بعث بعد الموت ولا رجوع نتضمن لكم حمل خطاياكم فيما دعوناكم إليه إن كان في ذلك درك كما تزعمون.⁽²⁾

وقولهم: "وَلْنَحْمِلْ" "إخبار أنهم يحملون خطاياهم على جهة التشبيه بالثقل ولكنهم أخرجوه في صيغة الأمر؛ لأنها أوجب وأشد تأكيداً في نفس السامع من المجازاة، ولكونه خبراً حسن تكذيبهم فيه، فأخبر الله عز وجل أن ذلك باطل وأنهم لو فعلوه لم ينحمل عن أحد من هؤلاء المغترين بهم شيء من خطاياهم التي تختص به".⁽³⁾

وتأكيداً لكذبهم ذُلت الآية بأكثر من مؤكد في قوله تعالى: "إنهم لكاذبون" فجمعت "إن + اللام المزحلقة الواقعة في خبرها" بالإضافة إلى التعبير بالصيغة الاسمية بدلاً من الفعلية؛ للدلالة على تمكن الصفة منهم وثباتها.

(1) [العنكبوت:12].

(2) انظر: الأندلسي، المحرر الوجيز (ج4/309).

(3) المرجع السابق، ج4/309.

وقد وقع الطباق بين الفعلين الماضيين "كفروا، آمنوا" مما عمل على توضيح المعنى وإبرازه في صورة جلية، فالكفار دائماً يسعون لإضلال المؤمنين باستخدام شتى الطرق، فأينما دُكر الكفر ارتبطوا به، وذكر معهم أيضاً حقدهم على المؤمنين، وقد أفاد التعبير بالصيغة الماضية تأكيد حقيقة الكفر والإيمان لكلا الطرفين، وأنهما نقيضان باقيان إلى يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾ (1)

وقوله تعالى: ﴿ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ (2)

في كلتا الآيتين وقع الطباق بين الأفعال التالية: (ولد/ولدت، يموت/أموت، يبعث/أبعث)

أي: الولادة والموت والبعث، وإذا دققنا النظر فيهما وجدنا بينهما تشابهاً لفظياً كبيراً، مع بعض الفروقات البسيطة والتي تمثلت فيما يلي:

أن الآية الأولى كانت على لسان الله عز وجل، أما الآية الثانية فكانت على لسان سيدنا عيسى عليه السلام، كما أن السلام في الآية الأولى اختص بسيدنا يحيى عليه السلام، أما في الآية الثانية اختص بسيدنا عيسى عليه السلام، وفي الآية الأولى كان الحديث بضمير الغائب، أما في الثانية كان بضمير المتكلم وهو عيسى عليه السلام وفي هذا تنويه بكرامته عند الله عز وجل، وقد أجراه على لسانه؛ ليعلموا أنه بمحل العناية من ربه، وجاءت لفظة السلام معرفة بلام الجنس؛ مبالغة في تعلق السلام به حتى كان جنس السلام بأجمعه عليه. (3)

والمتأمل لهاتين الآيتين يلحظ أيضاً تدرجاً لفظياً أعقبه ترتيباً للحياة في الكون، فهي تبدأ بولادة ثم يعقبها موت وتُختتم ببعث يوم القيامة، فالولادة أدت للموت والموت أدى للبعث، ولا مجال للتغيير في هذا الترتيب والتركيب، وفي هذا إشارة إلى التفكير والتدبر في آيات الله عز وجل وإمعان النظر فيها؛ للتوصل إلى حقيقته واستحقاقه العبادة وحده لا شريك له، ففي هذه الآيات المختصرة برزت حقيقة الحياة في صورة جلية تحاكي الواقع بكل صدق، وهذا يرجع إلى توظيف الطباق فيها.

(1) [مريم:15].

(2) [مريم:33].

(3) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج16/100).

3- الجمع بين حرفين:

قال تعالى: ﴿وَهَزِي إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا﴾⁽¹⁾

لما جاء المخاص إلى مريم عليها السلام، أراد الله عز وجل أن يريها آية أخرى من آياته بعد أن أعطاها الآية الأولى وهي حملها دون المساس بها، فأمرها أن تهز جذع النخلة اليابس الذي لا يقدر عليه الرجل القوي، فكيف هي التي أرهقت من آلام الولادة وأصبحت عاجزة عن الحركة؟!، مع العلم أن المولى عز وجل وهو القادر على كل شيء بإمكانه إلقاء الثمرات عليها دون حاجة للهب، فما السبب في ذلك؟؟!

لعل ذلك يشير إلى ضرورة أخذ بني آدم بالأسباب مهما كان ضعفه مع الاعتماد على المسبب وهو الله عز وجل.⁽²⁾

وإذا نظرنا إلى تركيب الآية النحوي نجدها قد بدأت بفعل الأمر الحقيقي الذي يفيد الإلزام على وجه الاستعلاء، وفيه دعوة للامتثال لأمر الله عز وجل مهما بلغ الإنسان ضعفاً وعجزاً، وقد جاء الفعل "تساقط" على وزن "تفاعل"؛ ليفيد التدرج في نزول الرطب، فقد كانت تنزل بين الفينة والأخرى لتأكل منها مريم عليها السلام.

كما وجاءت الباء في قوله: "بجذع" مزيدة للتوكيد؛ لأن فعل الهز يتعدى بنفسه دون الحاجة إلى واسطة تعينه على ذلك.⁽³⁾

وقد وقع الطباق بين الحرفين "إلي، علي" المتصلين بكاف الخطاب "إليك، عليك"؛ أي: شبه الجملة وعلى الرغم من تقارب المعنى بينهما، إلا أن كلاً منهما قد تميز في موطنه، ولو وضعنا أحدهما مكان الآخر لاختلت الآية، حيث قال الإمام الرازي في تفسير هذه الآية: "يجوز أن يكون معنى هزي إليك رطباً بجذع النخلة؛ أي: على جذعها"⁽⁴⁾، وقال القرطبي: "فجعل الرطب يقع بين يديها لا ينشده من شيء"⁽⁵⁾.

ف "إلى" أفادت الظرفية نحو الشيء "الجذع"؛ أي: اتجهي نحو جذع الشجرة لتهزيه، و"على" التي تأتي غالباً بمعنى الاستعلاء، أفادت هنا معنى الظرفية في الشيء والدخول فيه،

(1) [مريم:25].

(2) انظر: الشعراوي، خواطر حول القرآن الكريم (ج9/15/9068).

(3) انظر: طنطاوي، التفسير الوسيط (ج9/31).

(4) الرازي، التفسير الكبير (ج21/528).

(5) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج11/95).

كما في قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا﴾⁽¹⁾ أي: في حين غفلة، فالرطب تسقط في حجرها وبين يديها، وهذا دليل كاف على دقة انتقاء الألفاظ وبراعة تراكيبها.

4- الجمع بين اسم وفعل:

قال تعالى: ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾⁽²⁾

قال ابن الرجزري: "أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا" نزلت هذه الآية في قوم من المؤمنين، كانوا بمكة مستضعفين، وكان كفار قريش يؤذونهم ويعذبونهم بسبب دين الإسلام، فضاقت صدورهم بذلك، فأنسهم الله بهذه الآية، وأخبرهم بأن ما هم فيه من صنوف العذاب ما هو إلا ابتلاء واختبار كما حصل مع الأمم السابقة، فذلك سنة جارية مع جميع الأمم؛ ليتعلم المؤمنون كيف يوطنوا أنفسهم على الصبر على الأذى، والثبوت على دين الله، وفي تسليط الكفار عليهم تطهير لهم من الذنوب، وفي هذا الموطن يظهر الصادق في إيمانه من الكاذب.⁽³⁾ *

وإذا نظرنا إلى التركيب النحوي للآية نجدها قد بدأت بالاستهتام الانكاري للتوبيخ، مع الفعل "حسب" بمعنى ظن واعتقد، فهي تحمل توبيخاً لمن ظن أنه سيؤمن دون أن يُبتلى في دينه، وهذا أمر لا يكون؛ لأن الابتلاء سنة كونية تظهر مدى صبر العبد وصدقه، والمصدر المؤول من "أن يُتْرَكُوا" سد مسد مفعولي "حسب"، وقد استخدمه النص القرآني رغم قدرته على استخدام المصدر الصريح "تركهم"؛ وذلك لمناسبة المقام، فالفعل المضارع بعد أن الناصبة يوحي بالمماثلة والتمني والاستمرار على ذلك، فهم يظنون ويأملون ويتمنون تركهم على حالهم دون حساب، وهذه حقيقة النفس البشرية التي تعتمد التسوية والتأجيل دون الرضوخ للأمر الواقع.

وكذلك استخدم المصدر المؤول "أن يقولوا" بدلاً من المصدر الصريح "قولهم"؛ للمماثلة في القول وادعاء الإيمان بدون فتنة واختبار، فما أسهل القول بلا عمل أو امتحان للنفوس، وفيه حالتان: الأولى منصوب بنزع الخافض وهو مقدر بمحذوف حال إذا قدر حرف

(1) [القصص:15].

(2) [العنكبوت: 2-3].

(3) انظر: ابن الجزري، التسهيل لعلوم التنزيل (ج2/122).

• ملاحظة/ تم ذكر سبب النزول لإرتباطه بالمعنى ارتباطاً وثيقاً لا انفكاك عنه فهي نزلت في فئة معينة إلا أن ما فيها سنة كونية جارية في جميع الأمم.

الجر باء، والثانية تعليل في موضع المفعول لأجله إذا قدر حرف الجر اللام فيكون تعليلاً للترك متعلقاً به؛ أي: لأجل قولهم وجاء ضمير الفصل "هم" عائداً على ما سبقه وهم "الناس".⁽¹⁾
كما وأكد الله عز وجل هذا الابتلاء بـ "لام القسم" مع قد التي تفيد التحقيق مع الفعل الماضي.

وقد وقع الطباق بين الفعل "صدقوا" والاسم "الكاذبين" حيث عبر الله عز وجل عن الصادقين بلفظ الفعل "صدقوا" وعن الكاذبين بلفظ اسم الفاعل "الكاذبين"؛ وذلك للإشارة إلى ثبات صفة الكذب فيهم وتمكنها منهم، بخلاف الصادقين فإن الفعل يفيد التجدد والحركة.⁽²⁾

وقد عبر عن ذلك الإمام الرازي بقوله: "في قوله: "الذين صدقوا" بصيغة الفعل وقوله: "الكاذبين" باسم الفاعل فائدة مع أن الاختلاف في اللفظ أدل على الفصاحة، وهي أن اسم الفاعل يدل في كثير من المواضع على ثبوت المصدر في الفاعل ورسوخه فيه والفعل الماضي لا يدل عليه كما يقال: فلان شرب الخمر وفلان شارب الخمر وفلان نفذ أمره وفلان نافذ الأمر فإنه لا يفهم من صيغة الفعل التكرار والرسوخ، ومن اسم الفاعل يفهم ذلك."⁽³⁾

ثانياً: أنواع الطباق:

1- طباق الإيجاب:

هو الطباق الذي يجمع فيه بين متضادين مثبتين معاً، أو منفيين.⁽⁴⁾

ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾⁽⁵⁾

جاءت هذه الآية على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام لما حطم أصنام قومه، فسأله إن كان هو الفاعل، فأخبرهم بأن هذا من صنع كبيرهم، ولهم أن يسألوا أصنامهم للتأكد من الأمر إن كانوا ينطقون أصلاً، فلما اعترفوا بأن الأصنام لا تستطيع النطق وظهر ذلك على وجوههم، انتهر إبراهيم عليه السلام الفرصة لإرشادهم على اعترافهم بأنها لا تتطق بالاستفهام الإنكاري على عبادتهم إياها وزائداً بأن تلك الأصنام لا تنفع ولا تضر، وجعل عدم استطاعتها النفع

(1) انظر: ابن الجزري، التسهيل لعلوم التنزيل (ج2/122)، ودرويش، اعراب القرآن وبيانه (ج7/398).

(2) انظر: الصابوني، صفوة التفاسير (ج2/415-416).

(3) الرازي، التفسير الكبير (ج25/27).

(4) علوان، من بلاغة القرآن (ص250).

(5) [الأنبياء:66].

والضرر ملزوماً لعدم النطق؛ لأن النطق هو واسطة الإفهام، ومن لا يستطيع الإفهام تبين أنه معدم العقل وتوابعه من العلم والإرادة والقدرة.⁽¹⁾

حيث وقع الطباق بين فعلين منفيين "لا ينفعكم"، "لا يضركم" للدلالة على انتقاء الضرر و النفع على حد سواء من هذه الأصنام، فلا قيمة لها البتة.

وقد أفاد عطف جملة "لا ينفعكم" على جملة "لا يضركم" الشمول والعموم، وعمل الجمع بينهما على إبراز المعنى وتوضيحه في أجلى صورته.

وقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُّوْكُمْ بِالْشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾⁽²⁾

هذه الآية الكريمة تحمل تنبيهاً عظيماً لحقيقة مؤكدة وهي عدم خلود أي نفس على هذه الأرض، فكل نفس مهما عمرت في هذه الدنيا ذائقة الموت لا محالة، وما وجودها في الحياة إلا ابتلاء بالتكاليف أمراً ونهياً، ويتقلب الأحوال خيراً وشرّاً، ثم المآل والمرجع بعد ذلك إلى الله - وحده - للحساب والجزاء.⁽³⁾

فلا باق سوى وجهه الكريم كما جاء في كتابه العزيز: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ نُورًا الْجَلالِ وَالْإِكْرَامِ﴾⁽⁴⁾

وإذا نظرنا إلى تركيب الآية النحوي نجدها قد بدأت بلفظة "كل" المضافة لـ "نفس" والتي تفيد الشمول والعموم لكل نفس خلقها الله عز وجل وهي "مبتدأ"، وفي هذا لفت لانتباه القارئ لضرورة العمل للدار الآخرة حيث الخلود والاستقرار، وأعقبها الخبر المضاف "ذائقة الموت" وفيه استعارة مكنية، حيث شبه الموت بالطعام المر الذي لا يُطاق، ولما كان كل شخص مجبر عليه جعله في موضع ما يستساغ ويطاق، وقد عبر عن الابتلاء بالفعل الماضي "تبلوكم"؛ للدلالة على استمرارية الابتلاء ولتعلم الصادق من الكاذب عند الله عز وجل، وقد وقع الطباق بين لفظتي "الخير - الشر" والجمع بينهما أبرز حقيقة الصراع الأزلي بين الحق والباطل، بالإضافة إلى ضرورة إيمان العبد بكل ما آتاه الله من خير أو شر فلعله محنة زائلة من ورائها أجر عظيم، و"فتنة" مفعولاً لأجله علل سبب هذا الابتلاء، وفي قوله: "إلينا ترجعون" كناية عن البعث بعد

(1) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج17/104).

(2) [الأنبياء:35].

(3) انظر: نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر (ص324).

(4) [الرحمن:26-27].

الموت للحساب على ما بدر في هذه الدنيا، وبإضافة الله عز وجل "نا" الفاعلين للفعل المضارع المبني للمجهول؛ تعظيماً وتشريفاً له.

2- طباق السلب:

"هو الجمع بين فعلي مصدر واحد، مثبت ومنفي، أو أمر ونهي".⁽¹⁾

ومنه قوله تعالى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾⁽²⁾

أي: لا سائل يسأل الله عزوجل عن ما يفعل في خلقه من حياة وموت أو إعزاز وإذلال أو منع وعطاء، وغير ذلك من حكمه فيهم؛ لأنهم خلقه وعبيده، وجميعهم في ملكه وسلطانه، فالحكم حكمه والقضاء قضاؤه، ولا شيء يعلوه تبارك اسمه، وقوله: "وَهُمْ يُسْأَلُونَ" أي: جميع من في السماوات والأرض من عباده مسؤول ومحاسب عن أفعاله في الدنيا، وهو المختص بسؤالهم ومحاسبتهم، لأنه فوقهم ومالكهم، وهم في سلطانه.⁽³⁾

حيث وقع طباق السلب بين فعلين أحدهما منفي والآخر مثبت "لا يسأل- يسألون"، وقد جاء الفعل الأول منفياً؛ للدلالة على انتفاء وجود من هو بمنزلة تسمح له سؤال الله عز وجل، فهو الأعلى ولا أحد يعلوه.

كما وجيء به مفرداً؛ ليدل على وحدانية الله وإفراده بالعبادة، أما الفعل الثاني فجيء به جمعاً؛ ليدل على كثرة خلقه وعبيده، وأنهم جميعاً بلا استثناء مسؤولون منه.

وعليه فهذه الآية كناية عن وحدانيته وعظمته تبارك اسمه كما في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ

شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾⁽⁴⁾

و"لا" تافية و"يسأل" فعل مضارع مبني للمجهول ونائب الفاعل مستتر تقديره "هو" عائد

إلى الله عز وجل تعظيماً له، "عما" متعلقان ب "يسأل" و"الواو" عاطفة و"هم" مبتدأ وجملة "يسألون" خبر.⁽⁵⁾

(1) علوان، من بلاغة القرآن (ص250).

(2) [الأنبياء:23].

(3) انظر: ابن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن (ج18/425).

(4) [الشورى:11].

(5) درويش، إعراب القرآن وبيانه (ج6/295)، وصافي، الجدول في إعراب القرآن (ج17/19).

3- الطباق الخفي أو المعنوي:

هو الطباق الذي يفهم من سياق الكلام، ويكون بين معنى كلمة ولفظة أخرى، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴾⁽¹⁾

حيث وقع الطباق بين معنى "أن تكون جباراً في الأرض"؛ أي: مفسداً، ولفظة "المصلحين"، فالتجبر في الأرض بمعنى التكبر والتعالي والفجور وكله بمعنى الفساد الذي هو ضد الإصلاح.

قال تعالى: ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾⁽²⁾

حيث وقع الطباق بين معنى جملة "التي هي أحسن"؛ أي: الحسنة، ولفظة السيئة، فدفع السيئة وزوالها يكون بالعمل والقول الحسن.

ثانياً: المقابلة :

"هي أن يؤتي بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة، ثم بما يقابلها على الترتيب".⁽³⁾

ومن أمثلتها قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا * وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًا ﴾⁽⁴⁾

هذه الآية من مقابلة أربعة وأربعة وتفصيلها كالاتي:

- نحشر يقابلها نسوق.
- المتقين يقابلها المجرمين.
- الرحمن بمعنى "الجنة" يقابلها جهنم.
- وفداً (ركباناً) يقابلها ورداً (مشياً على أرجلهم).

وبالرجوع إلى تفسير هاتين الآيتين، تتضح لنا أوجه المقابلة بينهما، والتي تكشف عن دقة التعبير القرآني وبراعته في نظم ونسج التركيب، فقد ورد في تفسير الطبري معنى الآية

(1) [القصص:19].

(2) [المؤمنون:96].

(3) علوان، من بلاغة القرآن (ص252).

(4) [مريم:85-86].

الأولى بقوله: يوم نجمع الذين اتقوا ربهم في الدنيا فخافوا عقابه، فاجتنبوا لذلك معاصيه وعكفوا على طاعته وعبادته إلى الرحمن "الجنة" وفوداً؛ أي: جماعات، وقيل ركباناً يؤتون بنوق لم ير الخلائق مثلها، عليها رجال من الذهب والزبرجد، فيركبون عليها حتى يضربوا أبواب الجنة.⁽¹⁾

وفي معنى الآية الثانية قال: أي: ونسوق الكافرين الذين أجزموا وعصوا ربهم إلى جهنم عطاشاً كالإبل مشاة على أرجلهم.⁽²⁾

وعند الجمع بين معنى الآيتين يتضح سر المقابلة بينهما وهو إبراز المعنى وتأكيده فضلاً عن بيان مصير كل جماعة وحالتها النفسية، فالمؤمنون يردون الجنة جماعات منعمة مكرمة كالمملوك في راحة وسعادة تامة، ولما كان الحشر في الخير كما في هذه الآية وفي الشر كما في آيات أخرى مثل قوله تعالى: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾⁽³⁾ قيدت الآية بلفظة "فدا" التي كانت تطلق لوفود ملوك العرب تشريفاً لهم، بينما الكفار يُحشرون ويساقون إلى النار كالبهائم؛ إهانة وإذلالاً لهم بل ويسيرونها إليها وفي هذا كناية عن خوفهم ورهبتهم من المصير المحتوم.⁽⁴⁾

أما التعبير بالصيغة المضارعة في الفعلين "تحشر، نسوق" فهي للدلالة على استمرارية الجزاء للمؤمنين والعقاب للكافرين، مع استحضار صورة الطرفين مما يستدعي خشية الله وتقواه؛ جزعاً من عقاب الآخرة الذي برز في ذلك الحال العسير.

ومن مقابلة اثنين باثنين قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾⁽⁵⁾

حيث قابل بين "خير وفتنة"، و"اطمأن وانقلب".

(1) انظر: ابن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن (ج18/254)، وانظر: الطبرسي، مجمع البيان لتفسير القرآن (ج6/820).

(2) انظر: المرجع السابق، ج18/255.

(3) [الصافات:22].

(4) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج16/168).

(5) [الحج:11].

ثالثاً: المشاكلة:

لغة:

الموافقة، والتشاكل مثله، والشاكلة: الناحية والطريقة والجديلة، وشاكلة الإنسان: شكله وناحيته وطريقته.⁽¹⁾

اصطلاحاً:

"نكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقاً أو تقديراً".⁽²⁾

كقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرْتَهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُؤٌ غَفُورٌ﴾⁽³⁾

والمعنى: من جازى الظالم بمثل ما ظلمه واقتصر على المقدار الذي ظلم به ولم يزد عليه، ثم عاود الظالم بالمظلمة بعد تلك المظلمة الأولى فإن الله سينصر المبغي عليه على الباغي.⁽⁴⁾

ولما كان الأصل في العقوبة أنها تقع بعد فعل تكون جزاء عنه، عُبر عن الجزاء باسم العقاب على سبيل المشاكلة التحقيقية.

وفي التعبير عن نصره الله للمظلوم بالفعل المضارع المسبوق بلام القسم والمؤكد بنون التوكيد في قوله تعالى: "لينصره الله" إشارة إلى ضرورة الاطمئنان إلى استمرارية نصره الله عز وجل للمستضعفين وأصحاب الحق على الجبارة الظالمين.

وفي قوله: "إن الله لعفو غفور" تأكيد على شمول عفو ومغفرة الله لمن اقترف الذنوب والمعاصي ثم تاب وأقنع عنها، وجاء التأكيد بـ إن + اللام المزحلقة الواقعة في خبرها.

(1) ابن منظور، لسان العرب (ج11/357).

(2) علوان، من بلاغة القرآن (ص255).

(3) [الحج:60].

(4) انظر: الشوكاني، فتح القدير (ج3/550).

رابعاً: التورية:

التورية لغة:

"وريت الشيء وواريته: أخفيته، وتوارى هو: استتر، ووريت الخبر: جعلته ورائي وسترته، وفي الحديث: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد سفراً وري بغيره: أي: ستره وكنى عنه وأوهم أنه يريد غيره، وأصله من الورا؛ أي: ألقى البيان وراء ظهره. ويقال: واريته ووريته بمعنى واحد." (1)

التورية اصطلاحاً:

"أن يكون للكلمة معنيان: قريب وبعيد، والمراد: البعيد." (2)

المعنى القريب هو المورى به، والبعيد المورى عنه.

ومنه قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُبَيِّنُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (3)

التورية في كلمة (جرحتم) ولها معنيان، المعنى الأول: قريب ظاهر غير مراد وهو إحداث تمزق في الجسد، المعنى الثاني بعيد وهو ارتكاب الذنوب أو اقتراف المعاصي وهو المعنى المراد.

بلاغة التورية:

1- "أن المعنى البعيد المراد يبدو من خلف المعنى القريب غير المراد في صورة حسنة لطيفة.
2- أن المخاطب يدرك في بادئ الأمر المعنى القريب؛ لسرعة إدراكه قبل البعيد، فإذا ما وقف على المعنى البعيد بعد ذلك وأدركه بالتأمل وإطالة النظر كان له وقع وأثره الحسن في النفوس.

3- أنها تمكن المتكلم من أن يخفي المعاني التي يخشى التصريح بها فيوري عنها بمعان أخرى تفهم من لفظ التورية، كما في إجابة الرسول صلى الله عليه وسلم لما خرج لبدر فسأله سائل، من أنتم، فقال له: من ماء." (1)

(1) ابن منظور، لسان العرب (ج15/389).

(2) علوان، من بلاغة القرآن (ص258).

(3) [الأنعام:60].

خامساً: اللف والنشر:

عرفه السكاكي بقوله: "هو أن تلف بين شيئين في الذكر ثم تتبعهما كلاماً مشتملاً على متعلق بواحد وبآخر من غير تعيين ثقة بأن السامع يرد كلا منهما على ما هو."⁽²⁾

وعرفه السيوطي بقوله: "هو أن يذكر شيئاً أو أشياء، إما تفصيلاً بالنص على كل واحد أو إجمالاً بأن يؤتى بلفظ يشتمل على متعدد ثم يذكر أشياء على عدد ذلك كل واحد يرجع إلى واحد من المتقدم ويفوض إلى عقل السامع رد كل واحد إلى ما يليق به."⁽³⁾

وفي تعريف الحموي له نجده يطلق عليه اسم الطي والنشر فيقول: "هو أن يذكر شيئاً أو أشياء، إما تفصيلاً بالنص على كل واحد أو إجمالاً بأن يؤتى بلفظ يشتمل على متعدد ثم يذكر أشياء على عدد ذلك كل واحد يرجع إلى واحد من المتقدم ويفوض إلى عقل السامع رد كل واحد إلى ما يليق به."⁽⁴⁾

وعليه فاللف والنشر هو: "ذكر متعدد على جهة التفصيل أو الإجمال، ثم ذكر ما لكل واحد من المتعدد من غير تعيين ثقة بأن السامع يرد كل واحد إلى ما يناسبه فالأول اللف، والثاني النشر."⁽⁵⁾

سبب التسمية:

أورد الدكتور بسيوني عبد الفتاح في كتابه علم البديع، سبب تسمية هذا الفن باللف و النشر قائلاً: "وجه تسمية هذا النوع من البديع باللف والنشر، أن المتعدد المذكور على جهة التفصيل أو الإجمال، قد انطوى فيه حكمه؛ لأنه اشتمل عليه من غير تصريح به، ولذا سمي "لفاً" أو "طياً"، فلما صرح بعد ذلك بالحكم المطوى كان كأنه نشر وإبراز له فلذا سمي نشرًا."⁽⁶⁾

(1) عبد الفتاح، علم البديع (ص181).

(2) السكاكي، مفتاح العلوم (ص425).

(3) السيوطي، الإتيان في علوم القرآن (ج3/320).

(4) الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب (ج1/149).

(5) علوان، من بلاغة القرآن (ص266).

(6) بسيوني، علم البديع (ص209).

بلاغته :

تكمُن بلاغة اللف والنشر في أن ذكر اللف مطوياً على حكمه أو ما يتعلق به، يهيئ النفس ويثيرها لاستقبال ما يذكر بعدها في النشر العائد على اللف، حتى إذا ذُكر بعد ذلك وقع في النفس موقعه، فتمت الفائدة به أحسن تمام، وتحقق الغرض المنشود؛ لأن النشر يجيء و النفس متطلعة مترقبة له.⁽¹⁾

أقسام اللف والنشر:

أولاً: اللف والنشر المفصل:

وينقسم إلى قسمين:

الأول: أن يكون النشر على ترتيب اللف:

كقوله تعالى: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾⁽²⁾

هذه الآية اشتملت اثنتين من فنون البديع:

الأول: طباق الإيجاب بين "الليل-النهار"، حيث وقعت المخالفة بينهما من باب رحمة الله عز وجل بعباده، "فجعل الليل ظلاماً؛ لتستقروا فيه راحة لأبدانكم من تعب التصرف نهاراً في شؤونكم المختلفة، وجعل النهار ضياءً؛ لتتصرفوا فيه بأبصاركم لمعايشكم وابتغاء رزقه الذي قسمه بينكم بفضله."⁽³⁾

وكذلك بين (لتسكنوا - لتبتغوا).

الثاني: اللف والنشر المرتب، حيث جمع الله بين "الليل والنهار" ثم ذكر ما لكل واحد منهما على الترتيب، فقوله تعالى: "لتسكنوا فيه" يعود إلى الليل، وقوله: "لتبتغوا من فضله" يعود إلى النهار، وعليه فالمعنى: جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار لتبتغوا من فضله.

وإذا نظرنا إلى التركيب النحوي للآية نجده قد زاد المعنى رونقاً وجمالاً، حيث بدأت الآية بـ"من" التبعيضية التي تدل على أن الرحمة التي ذُكرت في الآية ماهي إلا جزء يسير

(1) انظر: المرجع السابق، ص 212.

(2) [القصص:73].

(3) المراغي، تفسير المراغي (ج 89/20).

من رحمة الله عز وجل بعباده، أما الفعل "جعل" فقد أفاد التحويل والصيرورة إذ إن الله عز وجل يحول بقدرته الليل نهاراً والنهار ليلاً بشكل يومي مستمر، وهذا دليل على عظيم قدرته وصنعه، وقد أفاد عطف النهار على الليل الشمول والعموم، أما اللام في "لتسكنوا - لتبتغوا" فهي لام التعليل التي تبين الحكمة من التعاقب بين الليل والنهار، أما الفعل "تشكرون" جاء بصيغة المضارعة؛ للدلالة على لزوم استمرارية شكر الله عز وجل على تلك النعم العظيمة.

الثاني: أن يكون النشر على غير ترتيب اللف:

ومنه قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ * وَفَعَلْتَ فَعَلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ * قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ * فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ * وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ (1)

لما أتيا موسى وهارون عليهما السلام إلى فرعون يدعوانه لرفع القهر والظلم عن بني إسرائيل، قال فرعون مخاطباً موسى عليه السلام بالاستفهام التقريري: "ألم نربك فينا وليداً؟؟" أي: ألا تتذكر النعم التي مننا عليك بها، حين التقطناك من البحر فنجيناك من الهلاك، وهياًنا لك مرضعة، وعشت في بيتنا زماناً آمناً من حكم القتل الذي أصدرناه على كل مولود ذكر في ذلك الوقت، وفي قوله أيضاً: "وفعلت فعلتك التي فعلت" تذكير له بقتل القبطي وبهذا أراد القدر في نبوته عليه السلام من خلال الإبهام في الاسم الموصول "التي" دون الإفصاح عن الفعلة، فهو كناية عن أمر مستهجن وشنيع، كشف خبث فرعون ومكره، وفي قوله "وأنت من الكافرين؟" أي: الكافرين بنعمتي عليك. (2)

إلا أن جواب موسى عليه السلام كشف ثقته بالله عز وجل، حيث أقر بقتله القبطي إلا أنه قيد الفعل بما يمنع القدر بنبوته وذلك في قوله: "وأنا من الضالين، فالضلال عند المفسرين حمل عدة معاني كالجهل أو النسيان أو المحبة، وكلها احتراساً من القدر بالنبوة، وكانت قبل أن يبعث نبياً. (3)

(1) [الشعراء: 18-22].

(2) انظر: الألويسي، روح المعاني (ج10/689).

(3) انظر: الألويسي، روح المعاني (ج10/69).

أما قوله: "وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل" فقصدها أن ما ذكرته من علي فهو أمراً ظاهراً فقط أما الحقيقة فهي نعمة حث جعلتني آمناً في بيتك في وقت استعبادك وإذلالك لبني إسرائيل، إلا أن ذلك لم يمنع رسالتي عنك، فحاصل الرد إنكار ما امتن فيه.⁽¹⁾

ثم استرسل في الإجابة قائلاً: فلما توقعت مكروهاً منكم هربت، فمنحني ربي عطاء وجعلني من المرسلين، دون أن يقول: جعلني رسولاً؛ إعظماً لشأن هذه الرسالة وتبنيهاً لفرعون بأن هذه الرسالة ليست أمراً مبتدعاً من عنده، إنما هي سنة الأنبياء والمرسلين من عند رب العباد تبارك وتعالى اسمه⁽²⁾.

في هذه الآيات جاء اللف على لسان فرعون في مقولتين، الأولى: قوله تعالى: "ألم نريك فينا وليداً ولبث فينا من عمرك سنين" والثانية: قوله تعالى: "وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين"، فجاء رد موسى على هاتين المقولتين غير مرتب، فقوله: "قال فعلتها إذا وأنا من الضالين ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكماً وجعلني من المرسلين" هذا رد على مقولة فرعون الثانية، وقوله: "وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل" رد على مقولة فرعون الأولى.

وقد أجاب موسى عليه السلام على مقولة فرعون الثانية قبل الأولى؛ من أجل الإقناع المنطقي بأن ذلك ما كان إلا قبل النبوة وكان عن جهل ودون قصد، أما بعد النبوة فلا مجال للخطأ حيث العصمة الإلهية، وفي هذا احتراس من طعن فرعون بنبوته.

ثانياً: اللف والنشر المجمل:

"يكون اللف فيه مجملاً يشتمل على عدد، والنشر يأتي مفصلاً على حسب اللف".⁽³⁾

ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾⁽⁴⁾

بعد أن أنهى سيدنا إبراهيم عليه السلام بناء الكعبة، أمره الله عز وجل بمناداة الناس بأن يحجوا حول بيته الحرام، فقال: رب وما يبلغ صوتي؟ فقال الله عز وجل: أذن وعلي البلاغ فإن الناس يأتون البيت الذي تأمرهم بحجه حفاة سيراً على أرجلهم أو ركبناً على الإبل الهزيلة من

(1) انظر: المرجع السابق، ج69/10.

(2) انظر: المرجع نفسه، ج69/10-70.

(3) علوان، من بلاغة القرآن (ص269).

(4) [الحج:27].

مشقة السفر من كل بقاع الأرض البعيدة، فنادى سيدنا إبراهيم عليه السلام: يا أيها الناس كتب عليكم الحج إلى البيت العتيق.⁽¹⁾

بدأت الآية بالأمر الحقيقي على وجه الاستعلاء والإلزام في الفعل "أذن"؛ للدلالة على وجوب الأمر الذي سينادي لأجله وأهميته، وهو فعل الشرط، وأداة الشرط مقدره قبله، وهذا الفعل بما فيه من مضاعفة الحروف مشعر بالتكرير؛ أي: أخبر وكرر ذلك الأمر⁽²⁾، و"يأتوك" جواب الشرط، وقد جاء بصيغة المضارع؛ للدلالة على استمرارية الإتيان لأداء هذه الفريضة، "وفي تعليق فعل يأتوك بضمير خطاب إبراهيم دلالة على أنه كان يحضر موسم الحج كل عام يبلغ للناس التوحيد وقواعد الحنيفية"⁽³⁾

وقد جعل التأذين سبباً للإتيان؛ تحقيقاً لتيسير الله سبحانه وتعالى الحج على الناس، ودل هذا الجواب على استجابته عز وجل لنداء سيدنا إبراهيم عليه السلام.⁽⁴⁾

و"الناس" لفظة عامة تشمل كل من في مقدوره أداء تلك الفريضة.

ولفظة "الحج" صارت "علماً بالغلبة على الحضور بالمسجد الحرام لأداء المناسك."⁽⁵⁾

و"رجالاً" جمع "رجل"؛ أي: مشاة على أرجلهم، و"على كل ضامر" معطوفة على "رجالاً"؛ أي: سيأتون للحج إما سيراً على الأقدام أو راكبين النوق المنهكة من السفر.⁽⁶⁾

و"فج" بمعنى مكان، و"عميق" صفة لها، وفيها إشارة إلى استجابة النداء والالتفات حول البيت من جميع البقاع.

فما أفصح هذا التركيب الدقيق للآية، فكل لفظة قالب للمعنى، لو وُضع غيرها لاختل وفسد، فسبحان من عجز الفصحاء والبلغاء عن مجاراته.

وقد جاء اللف مجملاً في قوله تعالى: "أذن في الناس"، وجاء النشر مفصلاً في قوله تعالى: "يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر"؛ أي: يأتيك فريق من الملبين سيراً على الأقدام، وآخر على الدواب المنهكة من السفر وطول الطريق.⁽¹⁾

(1) انظر: ابن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن (ج18/605).

(2) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج17/242).

(3) المرجع السابق، ج17/243.

(4) انظر: المرجع نفسه، ج17/243.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج17/243).

(6) انظر: أبو السعود، ارشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (ج6/104).

سادساً: أسلوب الحكيم:

"هو تلقي المخاطب بغير ما يترقبه أو يتوقعه، إما بترك سؤاله والإجابة على سؤال لم يسأله، وإما بحمل كلامه على غير ما كان يقصد تنبيهاً على أنه كان ينبغي له أن يسأل هذا السؤال أو يقصد المعنى".⁽²⁾

كقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾⁽³⁾

أي: يقول مشركو قومك يا محمد: متى هذا الوعد؟، والمراد بالوعد: ما أنذروا به من العقاب والجزاء، والاستفهام عن زمن العقاب، استفهام تهكم منهم بقرينة قوله: "إن كنتم صادقين".⁽⁴⁾

فقابل سؤالهم بتهكم في الجواب، بقرينة قوله: "ردف لكم بعض الذي تستعجلون"؛ أي: اقترب ودنا موعد عذابكم، وكان تأخره رحمة بكم إلا أنكم لا تستحقونها.

"والجواب جار على الأسلوب الحكيم بحمل استفهامهم على حقيقة الاستفهام تنبيهاً على أن حقهم أن يسألوا عن وقت الوعيد ليتقدموه بالإيمان".⁽⁵⁾

والتعبير بالمضارع في الفعل "يقولون"؛ للدلالة على تجدد ذلك القول منهم؛ أي: لم يزلوا يقولون، و"عسى" للرجاء، وهو مستعمل في التقريب مع التحقيق، و"ردف" بمعنى: اقترب، فالمعنى: رجاء أن يكون اقترب لكم ودنا بعض الذي تستعجلونه من عذاب الله، وهذا إشارة إلى ما سيحل بهم يوم بدر، وحذف متعلق "تستعجلون" أي: تستعجلون به؛ نظراً للعلم به.⁽⁶⁾

وقوله تعالى: ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا * قَالَ رَبِّ أُنَى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا * قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾⁽⁷⁾

(1) انظر: الميداني، البلاغة العربية (ج2/407-408).

(2) علوان، من بلاغة القرآن (ص273).

(3) [النمل:71-72].

(4) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج20/27).

(5) المرجع السابق، ج20/27.

(6) انظر: المرجع نفسه، ج20/27-28، وانظر: ابن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن (ج19/421).

(7) [مريم:7-9].

فقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ تعجب من زكريا عليه السلام بعد أن بشر بالغلام، وسؤال عن كيفية ما يولد له والوجه الذي يأتيه منه الولد فقد كبر وامرأته عاقر لا تلد، إلا أن الإجابة على سؤاله في قوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ لم تكن عن بيان الكيفية إنما عن هون هذا الخلق على الله عز وجل، وكيف خلق من عدم، والذي قدر على ذلك قادر على ما هو أصعب منه، وبذلك قد صرفه عن التعجب والاستبعاد حول مجيء الولد والأسباب التي تمنع ذلك إلى ما هو أعظم منه وهو قدرته تبارك وتعالى التي تستحق التأمل والتدبر ولزوم الشكر عليها، فكان أسلوب الحكيم في جوابه تبارك وتعالى.⁽¹⁾

سابعاً: براعة المطلع:

قال العلوي: "ينبغي لكل من تصدى لمقصد من المقاصد وأراد شرحه بكلام أن يكون مفتتح كلامه ملائماً لذلك المقصد دالاً علي".⁽²⁾

وقال الهاشمي: "وتزداد براعة المطلع حسناً، إذا دلت على المقصود بإشارة لطيفة وتسمى براعة استهلال، وهي: أن يأتي الناظم أو الناثر في ابتداء كلامه بما يدل على مقصوده منه، بالإشارة لا بالتصريح".⁽³⁾

وقد ذكر المدني في كتابه "أنوار الربيع في أنواع البديع" ما قاله أهل البيان عن هذا الفن وتعريفه فقال: "قال +أهل البيان من البلاغة حسن الابتداء، ويسمى براعة المطلع، وهو أن يتألق المتكلم في أول كلامه، ويأتي بأعذب الألفاظ، وأجزلها وأرقها وأسلسها وأحسنها، نظماً وسبكاً، وأصحها مبنى، وأوضحها معنى وأخلاها من الحشو، والركبة والتعقيد، والتقديم والتأخير الذي لا يناسب، وقد أنت فواتح السور من القرآن المجيد على أحسن الوجوه وأبلغها وأكملها، كالتحميدات، وحروف الهجاء، والنداء وغير ذلك".⁽⁴⁾

(1) انظر: ابن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن (ج5/190).

(2) العلوي، الطراز (ج3/141).

(3) الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (ص343).

(4) المدني، أنوار الربيع في أنواع البديع (ج1/34).

ومن أمثلته في القرآن الكريم:

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُدْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ (1)

افتتحت سورة الحج بالأمر بتقوى الله عز وجل والترهيب من هول الساعة، وإذا تأملنا سور القرآن الكريم لن نجد سوى سورتين افتتحتا بهذا الأمر، الأولى سورة النساء في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (2)

والثانية سورة الحج حيث افتتحت بدعوة الناس جميعاً إلى عبادة الله عز وجل وتقواه والوصية بالأرحام كما وتضمنت الحديث عن الحقوق والفروض الواجبة للورثة والوصية باليتامى والمساكين، وقد وضع الإمام أبو حفص الدمشقي سبب بدء السورتين بالأمر بالتقوى، حيث علل البدء بالأمر بالتقوى في سورة النساء بما يدل على معرفة مبدأ الخلق من نفس واحدة، وهذا يدل على كمال قدرة الخالق وكمال علمه وحكمته أيضاً، وعلل البدء بالأمر بالتقوى في سورة الحج بما يدل على معرفة المعاد بعد قيام الساعة. (3)

وعن ترتيب الابتدائين في السورتين يقول: "فَجَعَلَ صدر هاتين السورتين دليلاً على معرفة المبدأ والمعاد، وقدم السورة الدالة على المبدأ على السورة الدالة على المعاد، وهذا سر عظيم." (4)

وقد ختمت سورة الحج بقوله تعالى: ﴿فَأَقِمْوَا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ (5)

ولما كانت النجاة من هول ذلك اليوم العظيم بتقوى الله والاعتصام به، ناسبت الخاتمة المطلع بكل فصاحة وبراعة.

(1) [الحج:1-2].

(2) [النساء:3].

(3) انظر: الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب (ج6/139-140).

(4) المرجع السابق، ج6/140.

(5) [الحج:78].

وقد تكرر فعل المدح مرتين، فاعله في المرة الأولى (المولى) وفي المرة الثانية (النصير) أما المخصوص بالمدح فهو محذوف يدل عليه السياق وتقديره (هو) يعود على المولى عز وجل، وتكرر هذا الفعل مرتين يدل على الإلحاح في المدح لتعظيم الله عز وجل، كما وجيء بالفاعل معرفاً بأل (المولى-النصير)؛ للدلالة على أن النصر والولاية الكاملة مختصتان بالله عز وجل دون سواه.

وقد ختمت سورة النساء بقوله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ أَمْرٌ هَلْكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ إِنْ كَانَتَا أُتْنَتَيْنِ فَلَهُمَا النِّصْفَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (1)

حيث جاءت الخاتمة مؤكدة لما ورد في مطلعها من بيان حقوق الورثة والضعفاء وصلة الأرحام.

(1) [النساء:176].

المبحث الثاني: التركيب النحوية للمحسنات اللفظية ودلالاتها البلاغية

أولاً: الجناس:

الجناس لغة:

جاء في المعجم الوسيط: "جانسه: شاكله واتحد في جنسه، وتجانسا: اتحدا في الجنس".⁽¹⁾

الجناس اصطلاحاً:

"تشابه الكلمتين في اللفظ واختلافهما في المعنى".⁽²⁾

وهناك من يسميه بالتجانس أو التجنيس كالرمانى والعلوي وابن الأثير وغيرهم.⁽³⁾

ومن أقسامه:

1- الجناس التام:

هو "ما اتفق فيه اللفظان المتجانسان في أمور أربعة، نوع الحروف، وشكلها من الهيئة الحاصلة من الحركات والسكنات، وعددها، وترتيبها".⁽⁴⁾

أو "ما تماثل ركناه واتفقا لفظاً واختلفا معنى، من غير تفاوت في تصحيح تركيبهما، واختلاف حركتهما، سواء كانا من اسمين، أو من فعلين، أو من اسم وفعل".⁽⁵⁾

ومن أمثله :

قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَرْزُقِ سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ * يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾⁽⁶⁾

(1) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط (ص140).

(2) علوان، من بلاغة القرآن (ص279).

(3) انظر: العدواني، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن (ص102).

(4) الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع (ص325)، وانظر: علوان، من بلاغة القرآن (ص279).

(5) الحموي، خزنة الأدب وغاية الأرب (ج1/74).

(6) [النور: 43-44].

ظهر الجناس التام في موضعين من هذه الآية:

الأول: في قوله تعالى: ﴿يُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ﴾

حيث وقع الجناس في الحرف "من" فقد اتفق في المرات الثلاث في نوع الحروف وعددها وترتيبها وهيئتها، واختلف في المعنى والوظيفة، فقال الزركشي عن ذلك:

"(من) الأولى لابتداء الغاية؛ أي: ابتداء الإنزال من السماء، والثانية للتبعيض؛ أي: بعض جبال منها، والثالثة لبيان الجنس لأن الجبال تكون برداً وغير برد." (1)

الثاني: قوله تعالى: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ * يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ﴾

فالأبصار الأولى: جمع بصر، بمعنى النظر والرؤيا، والأبصار الثانية: جمع بصر إلا أنها بمعنى ذوي العقول، وقد اتفقتا في نوع الحروف وعددها وهيئتها وترتيبها.

ونوع الجناس التام فيما سبق جناس مماثل.*

2- الجناس غير التام:

وهو اختلاف اللفظتين في نوع الحروف أو عددها، أو ترتيبها أو هيئتها. (2)

أنواع الجناس غير التام:

أ. الجناس اللاحق:

وهو ما كان فيه الحرفان المختلفان غير متقاربين. (3)

قوله تعالى: ﴿فَمَكَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ﴾ (4)

لما كان نبي الله سليمان عليه السلام يتفقد جنوده، لاحظ عدم تواجد الهدد بينهم، فغضب غضباً جديداً وتوعده بالعذاب أو الذبح إن لم يأت به بحجة مقنعة، إلا أن الهدد أقام زمناً

(1) بدر الدين، البرهان في علوم القرآن (ج4/417).

*الجناس التام المماثل: هو ما كان لفظاه من نوع واحد؛ أي اسمين أو فعلين أو حرفين، انظر: البسيوني،

علم البديع (ص 279)، وعلوان، من بلاغة القرآن (ص 279-280).

(2) انظر: علوان، من بلاغة القرآن (ص 283).

(3) انظر: علوان، علوم البلاغة "البديع والبيان والمعاني" (ص 117).

(4) [النمل:22].

يسيراً ولم يتخلف عن سليمان عليه السلام طويلاً، ولما حضر عنده كان متواضعاً وكانت حجته بأنه اطلع وأحاط بأمر مهم لم يطلع عليه سليمان عليه السلام من قبل.⁽¹⁾

والمكث: البقاء في المكان وملازمته زمناً ما، وفيه مجاز مرسل، إذ أطلق المكث على البطء؛ لأن الهدد لم يكن ماکثاً بمكان ولكنه كان يطير وينتقل، فأطلقه على سبيل المجاز المرسل لأن المكث يستلزم زمناً.⁽²⁾

و"غير بعيد" صفة لاسم زمان أو مكان محذوف منصوب على الظرفية، أي: مكث زمناً أو مكاناً قريباً، دل على هذا القرب التعبير بـ "غير"؛ لأن "غير" تفيد دفع توهم أن يكون بعيداً.⁽³⁾

والفاء في قوله: "فقال" الفاء الدالة على التعقيب؛ لأنه رأى سليمان عليه السلام متعصباً فبادره بأمر مشوق لا يعرفه هو مما لفت انتباهه له واستحوذ على اهتمامه دون الحاق الأذى به.⁽⁴⁾

والباء في "نبأ" للمصاحبة؛ لأن النبأ اليقين كان مصاحباً للهدد حين مجيئه إلى سليمان عليه السلام.⁽⁵⁾

والتعبير القرآني بـ "النبأ" دون الخبر، تعبير جميل لفظاً، دقيق معنى، ولو وُضعت لفظة "الخبر" دون "النبأ" لاختل اللفظ والمعنى معاً؛ لأن الخبر يُطلق على مُطلق الخبر أي: يطلق على كل كلام احتمل الصدق أو الكذب لذاته، ويجوز أن يكون بما يعلمه المُخبر أو لا يعلمه، أما النبأ فيطلق على الأمر العجيب كما قال تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ*عَنِ النَّبِإِ الْعَظِيمِ﴾⁽⁶⁾ والذي لا يعلمه المُخبر.⁽⁷⁾

(1) انظر: المحلي، والسيوطي، تفسير الجلالين (ص ص 496-497).

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج 19/278).

(3) المرجع السابق، ج 19/278.

(4) انظر: الشعراوي، خواطر حول القرآن الكريم (ج 17/10769).

(5) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج 19/252).

(6) [النبأ: 12].

(7) انظر: العسكري، الفروق اللغوية (ص 41)، وانظر: الشعراوي، خواطر حول القرآن الكريم (ج 17/10769).

وبين لفظتي "سبأ - نبأ" الجناس اللاحق، وقد ورد اللفظ معبراً عن المعنى دون تكلف، فالقرآن لا يتصيد لفظاً ليحدث جناساً كما يقوم بعض الشعراء، إنما يأتي الجناس فيه طبيعياً يقتضيه المعنى فيزيده رونقاً وجمالاً.⁽¹⁾

ب. الجناس المذيل:

ما كانت الزيادة في نهاية الكلمة بأكثر من حرف.⁽²⁾

ومن أمثلة الاختلاف في عدد الحروف:

قوله تعالى: ﴿قَالُوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين * قال إني لعملك من القالين﴾⁽³⁾

لما دعا سيدنا لوط عليه السلام قومه لتقوى الله وطاعته وأنكر عليهم ما يرتكبون من فاحشة، حيث كانوا ينكحون الذكران من بني آدم في أدبارهم ويتركون ما أحل الله لهم من نسائهم⁽⁴⁾، ما كان جوابهم إلا أن هددوه بالإخراج من المدينة إن استمر في نصحهم ودعوتهم، فاستخف عليه السلام بتهديدهم ورد عليهم بمعاودة الإنكار في قوله: "إني لعملك من القالين"؛ أي: إني لفعلتكم من المبغضين المنكرين، ودعا ربه بأن ينجيه ومن اتبعه من فعلتهم، فنجاهم الله عز وجل وأهلك الكافرين بحجارة من سجيل دمرتهم جميعاً.⁽⁵⁾

وقد دل قولهم: "لتكونن من المخرجين" على إخراجهم أناساً طاهرين غير سيدنا لوط عليه السلام، بينما دل قول لوط عليه السلام: "إني لعملك من القالين" على التأكيد على وجود الفئة الطاهرة التي أنكرت ورفضت تلك الأفعال الشنيعة، فأخرجت قبله.

وقد وقع الجناس المذيل بين "قال - القالين" .

(1) انظر: الشعراوي، خواطر حول القرآن الكريم (ج17/10770).

انظر: علوان، علوم البلاغة "البدیع والبيان والمعاني" (ص117).

(2) انظر: علوان، من بلاغة القرآن (ص283).

(3) [الشعراء: 167-168].

(4) انظر: ابن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن (ج19/338).

(5) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج19/180).

ج. جناس القلب:

هو اختلاف اللفظتين في ترتيب الحروف. (1)

كقوله تعالى: ﴿قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ (2)

في سياق حديث الله عز وجل عن فتنة السامري لقوم موسى وعبادتهم العجل بعد أن ذهب موسى عليه السلام لميقات ربه، فدعاهم هارون لطاعة الله وترك تلك العبادة إلا أنهم استضعفوه وكادوا يقتلونه، فترك الأمر حتى عودة موسى عليه السلام، ولما عاد موسى عليه السلام ورأى القوم على ذلك الجهل، اشتد غضباً فأمسك بهارون عليه السلام من شعر رأسه ولحيته متسائلاً إن كان قد عصى أمره واتباعه، فجاءت هذه الآية على لسان هارون عليه السلام مخاطباً أخاه بكل رفق ولين في قوله: "يا ابن أم"، وأفهمه بأن الأمر ليس فيه عصياناً إنما خشي أن يتركهم ويمضي، فيسأله موسى كيف لم يبق فيهم وقد تركه مسؤولاً عنهم، وخشي إن قاومهم بعنف أن يثير بينهم قتالاً فيسأله كيف فرق بينهم ولم ينتظر عودته. (3)

وبين لفظتي "بين - بني" تجنيس القلب * (4).

د. الجناس المحرف:

اختلاف الكلمتين في هيئة الحروف. (5)

قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا﴾ (6)

فبين "خَلَفَ وَخَلْفٌ" جناس محرف، وهو جناس اشتقاقي أيضاً، إذ إنهما من أصل اشتقاقي واحد، إلا أن الأولى فعل ماضي، والثانية مصدر حققت الفاعلية للفعل الماضي، ومع أن الخلف يأتي بعد المتقدم إلا أن الله عز وجل أضاف الجار والمجرور "من بعدهم" بعد "خَلَفَ"؛ للتأكيد على أن هذا الخلف المتأخر هو الخلف الذي تميز بالسلوك الفاسد الطالح، وهو

(1) انظر: علوان، من بلاغة القرآن (ص285).

(2) [طه:94].

(3) انظر: ابن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن (ج18/359-360).

(4) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن (ج3/312).

(5) انظر: علوان، من بلاغة القرآن (ص285).

(6) [مريم:59].

بعيد كل البعد عن الخلف الصالح؛ أي: آبائهم الصالحين الذين تخشع قلوبهم لذكر الله من الأنبياء والصحابة والخلفاء الراشدين.⁽¹⁾

وعليه ف "الخلف" يفتح اللام النسل الصالح، ويتسكينها النسل الطالح.⁽²⁾

وهذا دليل كاف على فصاحة وإعجاز القرآن الكريم، حيث أبرز التجانس الدقة الفائقة لألفاظ القرآن الكريم، فهما من أصل اشتقاقي واحد "خَلَفَ" وبينهما اختلافات كبيرة، في المعنى، فسبحان من سواه.

3- جناس الاشتقاق:

وهو أن يجتمع اللفظان في أصل الاشتقاق ويسمى أيضاً المقتضب.⁽³⁾

ومنه قوله تعالى: ﴿رَجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾⁽⁴⁾

فبين "تتقلب- القلوب" جناس اشتقاقي، والأول فعل، والثاني فاعل له، وهما من أصل واحد "قلب"، وجاءت اللفظة الثانية من نسج الأولى إلا أنها زادت المعنى رونقاً وجمالاً فخرج دون تكلف، تاركاً أثراً جميلاً في النفس، مطرباً الأذن، بخلاف ما أتت به العرب من تكلف مبالغ فيه، فهو بذلك أقوى وأعظم.

بلاغة الجناس:

تكمن بلاغة الجناس فيما يلي:

- التجاوب الموسيقي الصادر عن تماثل الكلمات تماثلاً تاماً أو ناقصاً تطرب له الأذن، وتهتز له أوتار القلوب، فتتفاعل معه ويكون وقعه أكثر أثراً في نفس المتلقي.⁽⁵⁾
- ما يحدثه الجناس من مفاجأة، حيث يتوهم القارئ أن اللفظ المردد مكرر معناه، ثم يتفاجأ بخلاف ذلك، فيدهش لتلك المفاجأة؛ لأن اللفظ المشترك إذا حُمِلَ على معنى ثم جاء على معنى آخر نفت الانتباه واستحوذ على الاهتمام فكان من أبلغ ما وقع في نفس المتلقي.⁽¹⁾

(1) انظر: مغنية، التفسير الكاشف (مج5/189-190).

(2) انظر: المرجع السابق، ص189.

(3) انظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن (ج3/312).

(4) [النور:37].

(5) انظر: عبد الفتاح، علم البديع (ص294).

ثانياً: السجع :

السجع لغة:

الكلام المقفى، أو موالاة الكلام على روي، والجمع: أسجاع وأساجيع، ومنه: سجعت الحمامة؛ أي: رددت صوتها، وسجع الحمام هديله وترجييعه لصوته.⁽²⁾

السجع اصطلاحاً:

عرفه ابن الأثير بأنه: "تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحد."⁽³⁾

وهو تطاؤ الفاصلتين أو الفواصل على حرف واحد أو حرفين متقاربين، أو حروف متقاربة، ويقع في الشعر كما يقع في النثر.⁽⁴⁾

الشروط التي يجب توافرها في السجع حتى يكون حسناً:

- أن تكون الألفاظ المسجوعة حلوة رنانة، لا غثة باردة.
- أن تكون التراكيب صافية، خالية من التكلف والغثاثة.
- أن يكون اللفظ تابعاً للمعنى، ولا يكون المعنى تابعاً له، فإن تبعه المعنى كان فيه من التكلف والتعسف ما يذم ويستقبح السجع، فيجعله كظاهر مموه على باطن مشوه.
- أن تكون كل واحدة من الفقرتين المسجوعتين مشتملة على معنى غير المعنى الذي اشتملت عليه أختها، فإن كان المعنى فيهما سواء فذلك هو التطويل بعينه؛ لأن التطويل إنما هو الدلالة على المعنى بالألفاظ يمكن الدلالة عليه بدونها.⁽⁵⁾

أنواع السجع :

أولاً : السجع المطرف:

هو "ما اتفقت فاصلته في الحرف الأخير دون الاتفاق في الوزن، وسمي مطرفاً؛ لأن الحسن فيه واحد في الطرف".⁽¹⁾

(1) انظر: الجرجاني، أسرار البلاغة (ص ص 17-18).

(2) انظر: ابن منظور، لسان العرب (ج 8/150)، وانظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط (ص 727)، وانظر: القزويني، لإيضاح في علوم البلاغة (ج 1/37).

(3) ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب (ص 195).

(4) انظر: علوان، من بلاغة القرآن (ص 286)، وعلم البديع (ص 296).

(5) انظر: ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب (ج 1/197-199).

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ * وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾⁽²⁾.

حيث وقع التواطؤ بين الفاصلتين في الآيتين بين لفظتي "الفرحين - المفسدين"، واختلفتا في الوزن فالأولى على وزن "الفعلين" والثانية على وزن "المُفعلين".

ثانياً: السجع المتوازي:

وهو "ما اتفقت فيه الفقرتان وزناً وتقية"⁽³⁾.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْفُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصَدَرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ * فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾⁽⁴⁾

حيث اتفقت الفاصلتان "كبير - فقير" في الآيتين وزناً وتقية.

ثالثاً: السجع المتوازن:

وهو "اتفاق الفاصلتين في الوزن دون التقية"⁽⁵⁾.

ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوْرَهُمْ آزًا * فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا﴾⁽⁶⁾

اتفقت الفاصلتان "آزا - عذاباً" في الوزن واختلفتا في التقية.

(1) طبق، دراسة بلاغية في السجع والفاصلة القرآنية (ص24)، وعلوان، من بلاغة القرآن (ص287).

(2) [القصص:76-77].

(3) علوان، من بلاغة القرآن (ص288).

(4) [القصص:23-24].

(5) علوان، من بلاغة القرآن (ص289).

(6) [مريم:83-84].

بلاغة السجع:

ترجع بلاغة السجع إلى تأثيره الساحر في النفوس بما يحدثه من نغمة مؤثرة وموسيقى قوية تطرب لها الأذن وتميل إليها النفس فتقبل على سماعها من غير أن يداخلها ملل أو يخالطها فتور فيتمكن المعنى في الأذهان ويقر في الأفكار ويعز لدى العقول .⁽¹⁾

(1) انظر: موسى، الصبغ البديعي (ص497).

الخاتمة

الحمد لله الذي شملني بالتوفيق والسداد، وتولاني بالهداية والرشاد في كل خطوة من خطوات بحثي حتى انتهى إلى ما انتهى إليه، فما حالف الصواب فيه فإن مرده إلى الله سبحانه وتعالى، وما جانب الصواب فيه فهو من ضعفي وقلة حيلتي، فما أنا إلا طالبة علم ولا يزال المرء عالماً ما طلب العلم.

أولاً: النتائج:

1- القرآن الكريم يعلو ولا يعلى عليه، ولا مجال لمقارنته مع كلام البشر شعراً كان أو نثراً، ويرجع السبب في ذلك إلى براعة نظمه، ومتانة سبكه، ودقة ألفاظه وتراكيبه النحوية ودلالاتها المنبثقة عنها.

2- تنوع الأساليب الخبرية والإنشائية في آيات القرآن الكريم، أدى دوراً تكاملياً في نسج المعنى وإبراز الفكرة بصورة جلية كان لها وقعها في النفس.

3- لأسلوب القصر سمة التغلغل والانتشار في كافة سياقات القرآن - تقريباً-، فضلاً عن أثره البالغ في معرفة خواص تراكيب الكلام وتصوير شخصيات المشهد في صورة حضورية واضحة.

4- الألفاظ القرآنية لها دلالاتها في سياق الجملة، فقد تتكرر اللفظة في أكثر من موضع، إلا أنها تحمل معنى مغاير في كل سياق، وهذا دليل على عظيم إعجاز القرآن الكريم وغزارة معانيه وسخائها.

5- تعدد المعاني التي تحتويها الآية القرآنية الواحدة يرجع إلى تنوع الدلالات والأساليب البلاغية فيها، وهذا خير دليل على بلاغة كل لفظة في القرآن الكريم.

6- الحذف ظاهرة غير مطلقة على علاتها وإنما هي مقيدة بشروط، ولا تتم إلا بوجود عاملين هما: القرينة والسياق.

7- أصل الكناية ترك التصريح بالشيء، وستره بحجاب ما، فهي تدخل في عموم التعبير عن المعنى المراد بأسلوب غير مباشر، فهي ممّا يتوارى، أو يخفي بساتر، ويُدلُّ على المقصود بلازم له، أو مقارن له، أو بطرفٍ من أطرافه، أو نحو ذلك.

8- أكثر التشبيهات والاستعارات التي تظهر فيها قوة التصوير ورحابته واتساعه، هي التشبيهات والاستعارات التمثيلية، حيث تتميز بقدرتها على التأليف والتركيب والتجسيد

والتشخيص للمعاني المجردة، والأفكار المعنوية، حتى تخرجها في صورة محسوسة مدركة.

9- للتقديم والتأخير غاية سامية، تعبر عن مدى سعي العربية إلى تحصيل جمال التعبير و الصياغة والتركيب، وهو مظهر من مظاهر شجاعة العربية، إذ فيه إقدام على مخالفة قرينة من قرائن المعنى من غير خشية أو لبس، اعتماداً على قرائن أخرى، وهذا من خواص العربية وتميزها عن سائر لغات العالم.

10- إن الفنون البلاغية بثنتى أنواعها وجه من وجوه الإعجاز القرآني الذي تحدى به الله سبحانه وتعالى العرب، وهي سمة جليلة يمتاز بها النظم القرآني، وسر من أسرار بيانه.

11- الطريقة المثلى لدراسة البلاغة العربية وفنونها، دراستها من ناحية تراكيبها النحوية وتطبيقها على نصوص القرآن الكريم؛ للكشف عن الخفايا والأسرار التي تحتويها تلك النصوص والتي تكشف عن براعة نظمه وتآلفه، الذي هو أساس فكرة الإعجاز فيه.

12- يعتبر كلاً من الطباق والجناس من أكثر المحسنات وروداً في القرآن الكريم، مع الدور الذي يلعبه كل منهما في تحسين الكلام وتزيينه.

ثانياً: التوصيات:

أوصي الجميع بتقوى الله ولزوم طاعته وإخلاص العمل لوجهه الكريم، ثم أوصيهم ونفسي بما يلي:

1- توجيه عناية الطلبة والباحثين إلى دراسة البلاغة العربية والتخصص فيها؛ لما في ذلك من إحياء للتراث وحفظ للغة، كما أن هذا العلم يعتبر من أشرف العلوم وأجلها؛ لارتباطه بكتاب الله سبحانه وتعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، ولما في ذلك من إرضاء لله عز وجل، وحفظ لدينه.

2- تكثيف الجهود لدحض الإشاعات المغرضة التي تهدف إلى النيل من اللغة عامة، والبلاغة خاصة، توطئة للنيل من تراثنا العربي والإسلامي، لا سيما كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

3- الاهتمام بالدراسات القرآنية من ناحية دراسة تراكيبها النحوية؛ لاستخراج مكنوناته وأسراره التي لازالت محط اهتمام العلماء، وعلامة دالة على إعجازه.

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه

أنيب

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

• القرآن الكريم

الأبياري، إبراهيم بن إسماعيل. (1405هـ). الموسوعة القرآنية. ط1. (د.م): مؤسسة سجل العرب.

ابن الأثير، أبو الفتح ضياء الدين. (1420هـ). المثل السائر في أدب الكاتب. تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد. (د.ط). بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر.

الأزهري، خالد. (1421هـ/2000م). التصريح بمضمون التوضيح. ط1. بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية.

الأصفهاني، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن. (1424هـ/2003م). شرح ديوان الحماسة. تحقيق: غريد الشيخ. ط1. بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية.

الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي. (د.ت). الأغاني. (د.ط). بيروت: دار الكتب العلمية.

الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن علي. الأصمعيات. (1993م). تحقيق: أحمد شاكر وهارون عبد السلام. ط7. مصر: دار المعارف.

إعداد جماعة من العلماء، إشراف الشيخ: صفى الرحمن المباركفوي. (1421هـ/2012م). المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير. ط2. الرياض-السعودية: دار السلام للنشر والتوزيع.

الأعشى الكبير، ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل. (د.ت). ديوان الأعشى الكبير. شرح وتعليق: محمد حسين. (د.ط). الجماميز: مكتبة الأداب.

الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله. (1415هـ). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. تحقيق: علي عطيه الباري. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

أمين، بكري. (1415هـ/1995م). البلاغة العربية في ثوبها الجديد "علم البيان". ط1. (د.م): دار العلم للملايين.

الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف. (1420هـ). *البحر المحيط في التفسير*. تحقيق: صدقي محمد جميل. (د.ط.). بيروت: دار الفكر.

باطاهر، بن عيسى. (2000م). *أساليب الإقناع في القرآن الكريم*. ط1. (د.م.): دار الضياء.

البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل. (1422هـ). *صحيح البخاري*. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. ط1. (د.م.): دار طوق النجاة.

البدوي، أحمد أحمد عبد الله النبيلي. (2005م). *من بلاغة القرآن*. (د.ط.). القاهرة: نهضة مصر.

ابن برد، أبو معاذ بشار بن برد العقيلي. (2007م). *ديوان بشار بن برد*. تحقيق: محمد الطاهر بن عاشور. (د.ط.). الجزائر: وزارة الثقافة.

البروسوي، المولى أبو الفداء إسماعيل حقي. (د.ت.). *روح البيان*. (د.ط.). بيروت: دار الفكر.

البصري، الحسن بن يسار. (د.ت.). *تفسير الحسن البصري*. جمع وتوثيق ودراسة: محمد زهير بن ناصر الناصر. (د.ط.). (د.م.): دار طوق النجاة.

البغا، مصطفى ديب، ومستو، محي الدين. (1418هـ-1998م). *الواضح في علوم القرآن*. ط2. دمشق: دار الكلم الطيب-دار العلوم الإنسانية.

البعوي، أبو محمد الحسين بن مسعود. (1420هـ). *معالم التنزيل في تفسير القرآن*. تحقيق: عبد الرازق المهدي. ط1. بيروت: دار احياء التراث العربي.

البيضاوي، ناصر الدين الشيرازي. (1418هـ). *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*. تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي. ط1. بيروت: دار احياء التراث العربي.

التفتازاني، مسعود بن عمر. (1431هـ/2010م). *مختصر المعاني*. ط1. كرادشي-باكستان: مكتبة البشرى للطباعة والنشر.

أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي. (1418هـ/1998م). *ديوان الحماسة*. شرحه وعلق عليه: أحمد بسج. ط1. بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية.

- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام. (1987م). *الفتاوى الكبرى*. ط1. (د.م): دار الكتب العلمية.
- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل. (1998م). *الكناية والتعريض*. تحقيق: عائشة حسين فريد. (د.ط.). (د.م): دار قباء للنشر والتوزيع.
- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل. (د.ت). *الإعجاز والإيجاز*. (د.ط.). القاهرة: مكتبة القرآن.
- جابر، عادل، وآخرون. (1996م). *الجامع في اللغة العربية*. ط4. عمان: دار الصفاء.
- الجاحظ، عمرو بن بحر الليثي. (1423هـ). *البيان والتبيين*. (د.ط.). بيروت: دار ومكتبة الهلال.
- الجاحظ، عمرو بن بحر الليثي. (1424هـ). *الحيوان*. ط2. بيروت: دار الكتب العلمية.
- الجارم، علي، وأمين، مصطفى. (د.ت). *البلاغة الواضحة*. (د.ط.). (د.م): دار المعارف.
- الجرجاني، عبد القاهر. (1992م). *دلائل الإعجاز*. تحقيق: محمود شاكر. ط3. القاهرة: مطبعة المدني. جدة: دار المدني.
- الجرجاني، عبد القاهر. (د.ت). *أسرار البلاغة*. قرأه وعلق عليه: محمود شاكر. (د.ط.). القاهرة: مطبعة المدني. جدة: دار المدني.
- الجرجاني، علي بن محمد الشريف. (1983م). *التعريفات*. ضبطه وصححه: جماعة من العلماء بإشراف الناشر. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.
- الجرجاني، علي بن عبد العزيز. (د.ت). *الوساطة بين المتبني وخصومه*. شرح وتحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي. (د.ط.). (د.م): مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

الجرجاني، محمد بن علي بن محمد. (د.ت): *الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة*. تحقيق: عبد القادر حسين. (د.ط). القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر.

الجزري، أبو القاسم محمد بن أحمد. (1416هـ). *التسهيل لعلوم التنزيل*. تحقيق: عبد الله الخالدي. ط1. بيروت: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم.

الجندي، درويش. (1960م). *نظرية عبد القاهر في النظم*. (د.ط). القاهرة: مكتبة نهضة مصر.

أبو حاقه، أحمد. (1993م). *البلاغة والتحليل الأدبي*. ط2. (د.م): دار العلم للملايين.

ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله. *خزانة الأدب وغاية الأرب*. الطبعة الأخيرة. بيروت: دار ومكتبة الهلال-دار البحار.

حسين، عبد القادر. (1984م). *فن البلاغة*. ط2. بيروت: عالم الكتب.

حسين، عبد القادر. (1998م). *آثر النحاة البحث البلاغي*. (د.ط). القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.

الحلي، شهاب الدين. (د.ت). *الدر المصون في علوم الكتاب المكنون*. تحقيق: أحمد الخراط. (د.ط). دمشق: دار القلم.

الحملاوي، أحمد بن محمد. (د.ت). *شذى العرف في فن الصرف*. تحقيق: نصر الله عبد الرحمن. (د.ط). الرياض: مكتبة الرشد.

ابن حنبل، أحمد الشيباني. (1995م). *مسند الإمام أحمد بن حنبل*. تحقيق: أحمد شاکر. ط1. القاهرة: دار الحديث.

الحنفي، محمد بن مصلح الدين مصطفى. (1993م). *حاشية محي الدين الشيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي*. ضبطه وصححه: محمد عبد القادر شاهين. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

الخان، أبو الحسن علاء الدين بن محمد الشحبي. (1415هـ). *تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل*. تصحيح: محمد علي شاهين. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

- الخراط، أحمد بن محمد. (1426هـ). *المجتبى من مشكل إعراب القرآن*. (د.ط.). المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
- الخطيب، عبد الكريم يونس. (د.ت.). *التفسير القرآني للقرآن*. (د.ط.). القاهرة: دار الفكر العربي.
- الخطيب، عبد اللطيف. (2002م). *معجم القراءات*. ط1. دمشق: دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع.
- الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن عمر. (د.ت.). *حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي*. (د.ط.). بيروت: دار صادر.
- درويش، محي الدين بن أحمد. (1415هـ). *إعراب القرآن وبيانه*. ط4. حمص-سوريا: دار الإرشاد للشؤون. دمشق-بيروت: دار اليمامة، دار ابن كثير.
- الدقر، عبد الغني بن علي. (1986م). *معجم القواعد العربية في النحو والتصريف*. ط1. دمشق: دار القلم.
- الدمشقي، أبو حفص سراج الدين النعماني. (1998م). *اللباب في علوم الكتاب*. تحقيق: الشيخان: عادل عبد الموجود وعلي معوض. ط1. بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية.
- الرازي، أبو بكر عبد الله محمد بن أبي بكر. (1999م). *مختار الصحاح*. تحقيق: يوسف الشيخ محمد. ط5. بيروت: المكتبة العصرية. صيدا: الدار النموذجية.
- الرضي الإستراباذي، محمد بن الحسين. (1996م). *شرح الكافية*. تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر. ط2. بنغازي: منشورات جامعة قار يونس.
- الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى بن علي. (1976م). *النكت في إعجاز القرآن*. تحقيق: محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام. ط3. مصر: دار المعارف.
- الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم السري. (1988م). *معاني القرآن*. تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي. ط1. بيروت: عالم الكتب.
- الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين. (1957م). *البرهان في علوم القرآن*. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط1. (د.م.): دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي و شركاه.

- زغلول، حمزة الدمرداش. (1981م). *نشأة الفنون البلاغية*. (د.ط.). (د.م): دار الفكر العربي.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود. (1407هـ). *الكشاف*. ط3. بيروت: دار الكتاب العربي.
- ابن الزمكاني، كمال الدين. (1974م). *البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن*. تحقيق: أحمد مطلوب وخديجة الحيثي. (د.ط.). بغداد: مطبعة العاني.
- أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد. (د.ت.). *المعجزة الكبرى القرآن*. (د.ط.). (د.م): دار الفكر العربي.
- أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد. (د.ت.). *زهرة التفاسير*. (د.ط.). بيروت-لبنان: دار الفكر.
- سامرائي، فاضل صالح. (2009م). *من أسرار البيان القرآني*. ط1. (د.م): دار الفكر ناشرون وموزعون.
- السبكي، بهاء الدين. (2003م). *عروس الأفراح*. تحقيق: عبد الحميد هنداوي. ط1. بيروت-لبنان: المكتبة العصرية للطباعة والنشر.
- السعدي، عبد الرحمن. (2000م). *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*. تحقيق: عبد الرحمن اللويحق. ط1. (د.م): مؤسسة الرسالة.
- أبو السعود، محمد بن مصطفى العماري. (د.ت.). *إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم*. (د.ط.). بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر. (1987م). *مفتاح العلوم*. ضبطه وكتبه هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور. ط2. بيروت: دار الكتب العلمية.
- سلطاني، محمد علي. (2008م). *المختار من علوم البلاغة*. ط1. دمشق-سوريا: دار العصماء.
- السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد. (1993م). *بحر العلوم*. تحقيق وتعليق: اليخان: علي معوض وعادل عبد الموجود، والدكتور زكريا النوتي. ط1. بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية.

- أبو سمعان. محمد حاتم. (2012م). *التركيب النحوية من الوجهة البلاغية في القرآن الكريم* "الخمسة أجزاء الأولى" (رسالة ماجستير غير منشورة). الجامعة الإسلامية-غزة، فلسطين.
- ابن سنان الخفاجي، أبو محمد عبد الله. (1982م). *سر الفصاحة*. ط1. (د.م): دار الكتب العلمية.
- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان. (1988م). *الكتاب*. تحقيق: عبد السلام هارون. ط3. القاهرة: مكتبة الخانجي.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. (1974م). *الإتقان في علوم القرآن*. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. (د.ط). (د.م): الهيئة المصرية للكتاب.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. (د.ت). *الدر المنثور في التفسير بالمأثور*. (د.ط). بيروت: دار الفكر.
- أبو شادي، مصطفى عبد السلام. (د.ت). *الحذف البلاغي في القرآن الكريم*. (د.م): مكتبة القرآن للطباعة و النشر و التوزيع.
- الشعراوي، محمد متولي. (1997م). *خواطر حول القرآن الكريم*. (د.ط). (د.م): مطابع أخبار اليوم.
- الشنقيطي، محمد الأمين. (1995م). *أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن*. (د.ط). بيروت: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع.
- الشوكاني، محمد بن علي. (1414هـ). *فتح القدير*. ط1. دمشق-بيروت: دار ابن كثير-دار الكلم الطيب.
- شيخون، محمود السيد. (1978م). *الأسلوب الكنائي "نشأته-تطوره-بلاغته"*. ط1. القاهرة-مصر: مكتبة الكليات الأزهرية.
- شيخون، محمود السيد. (د.ت). *أسرار التقديم والتأخير في لغة القرآن*. (د.ط). (د.م): دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع.
- الصابوني، محمد علي. (1979م). *إيجاز البيان في سور القرآن*. ط2. (د.م): مكتبة الغزالي.

الصابوني، محمد علي. (1997م). *صفوة التفاسير*. ط1. القاهرة: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع.

الصاحب بن عباد. إسماعيل بن عباد بن العباس. (1994م). *المحيط في اللغة*. تحقيق: محمد حسين آل ياسين. ط1. بيروت-لبنان: عالم الكتب.

صافي، محمود عبد الرحيم. (1418هـ). *الجدول في إعراب القرآن*. ط4. دمشق: دار الرشيد.

الطباطبائي، محمد حسين. (1997م). *الميزان في تفسير القرآن*. ط1. بيروت-لبنان: مؤسسة الأعلى للمطبوعات.

الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن. (1986م). *مجمع البيان لتفسير القرآن*. تحقيق وطباعة: السيد هاشم المحلاتي والسيد فضل الله الطباطبائي. ط1. (د.م): دار المعرفة.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. (2000م). *جامع البيان في تأويل القرآن*. تحقيق: أحمد شاکر. ط1. (د.م): مؤسسة الرسالة.

طبق، عبد الجواد محمد. (1993م). *دراسة بلاغية في السجع والفاصلة القرآنية*. ط1. (د.م): دار الأرقم للطباعة والنشر.

طنطاوي، محمد سيد. (1998م). *التفسير الوسيط*. ط1. الفجالة-القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

عاشور، محمد الطاهر. (1984م). *التحرير والتنوير*. (د.ط). تونس: الدار التونسية للنشر.

عباس، فضل حسن. (1997م). *البلاغة فنونها وأفنانها "علم المعاني"*. ط4. (د.م): دار الفرقان للطباعة والنشر والتوزيع.

عباس، فضل حسن. (1999م). *البلاغة المفترى عليها بين الأصالة والتبعية*. ط2. (د.م): دار الفرقان.

عباس، فضل حسن. (2007م). *أساليب البيان*. ط1. عمان: دار النفائس.

عبد الجليل، عبد القاهر. (2002م). *الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية*. ط1. عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع.

- عبد النور، جبور. (1984م). *المعجم الأدبي*. ط2. بيروت: دار العلم للملايين.
- عتيق، عبد العزيز. (1982م). *علم البيان*. (د.ط.). بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع.
- عتيق، عبد العزيز. (2009م). *علم المعاني*. ط1. بيروت-لبنان: دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع.
- العدواني، عبد العظيم بن الواحد بن أبي الأصبع . (د.ت.). *تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن*. تقديم وتحقيق: حفني محمد شرف. (د.ط.). (د.م.): الجمهورية العربية المتحدة-المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية-لجنة إحياء التراث الإسلامي.
- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله. (1419هـ). *الصناعتين*. تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم. (د.ط.). بيروت: المكتبة العصرية.
- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله. (د.ت.). *الفروق اللغوية*. (د.ط.). القاهرة-مصر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع.
- العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله. (د.ت.). *شرح ديوان المتنبي*. تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الإبياري، وعبد الحفيظ شلبي. (د.ط.). بيروت: دار المعرفة.
- ابن عطية الأندلسي، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام. (1422هـ). *المحرر الوجيز*. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن عقيل المصري، عبد الله بن عقيل الهمذاني. (1980م). *شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك*. تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد. ط20. القاهرة: دار التراث-دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه.
- علوان، محمد ونعمان. (2009م). *من بلاغة القرآن*. ط4. (د.م.): مطبعة الرنتيسي للطباعة والنشر.
- العلوي، يحيى بن حمزة. (1423هـ). *الطرز*. ط1. بيروت: المكتبة العصرية.

- عيد، محمد. (د.ت). *النحو المصنفى*. (د.ط.). (د.م): مطبعة الشباب.
- العيني، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى. (د.ت). *عمدة القاري شرح صحيح البخاري*. (د.ط.). بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- الغزناطي، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي. (د.ت). *ملاك التأويل القاطع بزوي الإلحاد و التعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي القرآن*. وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفارسي. (د.ط.). بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية.
- الغلاييني، مصطفى. (1993م). *جامع الدروس العربية*. ط28. صيدا-بيروت: المكتبة العصرية.
- غنيمة، محمد جواد. (د.ت). *التفسير الكاشف*. ط4. بيروت-لبنان: دار الأنواء.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا القزويني. (1997م). *الصاحبي في فقه اللغة*. ط1. (د.م): منشورات محمد علي بيضون.
- أبو الفتح العباسي، عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن احمد. (د.ت). *معاهد التنصيص على شواهد التلخيص*. تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد. (د.ط.). بيروت: عالم الكتب.
- فخر الدين الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي. (1420هـ). *مفاتيح الغيب "التفسير الكبير"*. ط3. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد. (د.ت). *العين*. تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي. (د.ط.). (د.م): دار ومكتبة الهلال.
- الفوزان، عبد الله بن صالح. (1421هـ). *تعجيل الندى بشرح قطر الندى*. ط2. المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع.
- الفيروز أبادي، مجد الدين أبوظاهر محمد بن يعقوب. (د.ت). *القاموس المحيط*. تحقيق: مكتبة تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد العرقسوسي. (د.ط.). بيروت-لبنان: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.

فيود، بسيوني عبد الفتاح. (1998م). علم البديع "دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع". ط2. القاهرة-السعودية: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع-دار المعالم الثقافية للنشر والتوزيع.

قدامة بن جعفر، أبو الفرج قدامة بن جعفر البغدادي. (1302هـ). نقد الشعر. ط1. القسطنطينية: مطبعة الجوائب.

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين. (1964م). الجامع لأحكام القرآن. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم طفيش. ط3. القاهرة: دار الكتب المصرية.

القزويني، محمد بن عبد الرحمن. (1980م). الإيضاح في علوم البلاغة. شرح وتعليق وتنقيح: محمد عبد المنعم خفاجي. ط5. (د.م): منشورات دار الكتاب اللبناني.

القزويني، محمد بن عبد الرحمن. (2003م). الإيضاح في علوم البلاغة. تحقيق: إبراهيم شمس الدين. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

القزويني، محمد بن عبد الرحمن. (د.ت). الإيضاح في علوم البلاغة. تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي. ط3. بيروت: دار الكتب الجيل.

قطب، إبراهيم حسين الشاربي. (1412هـ). في ظلال القرآن. ط16. القاهرة: دار الشروق.

قطب، إبراهيم حسين الشاربي. (2004م). التصوير الفني في القرآن. ط17. القاهرة: دار الشروق.

ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب. (2001م). مختصر الصواعق المرسلّة على الجهمية والمعتلة. تحقيق: سيد إبراهيم. القاهرة-مصر: دار الحديث.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي. (1419هـ). تفسير القرآن العظيم. تحقيق: محمد حسين شمس الدين. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية-منشورات محمد علي بيضون.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي. (1968م). قصص الأنبياء. تحقيق: مصطفى عبد الواحد. ط1. القاهرة: مطبعة دار التأليف.

- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي. (1988م). *البداية والنهاية*. تحقيق: علي شيري. ط1. (د.م): دار إحياء التراث العربي.
- لاشين، عبد الفتاح. (د.ت). *التراكيب النحوية من الواجهة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني*. (د.ط). الرياض-السعودية: دار المريخ.
- ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني. (د.ت). *سنن ابن ماجه*. تحقيق: محمد عبد الباقي. (د.ط). (د.م): دار إحياء الكتب العربية.
- ابن مالك، محمد بن عبد الله. (د.ت). *ألفية ابن مالك*. (د.ط). (د.م): دار التعارف.
- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي. (د.ت). *النكت والعيون*. تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم. (د.ط). بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية.
- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد. (1997م). *الكامل في اللغة والأدب*. ط3. القاهرة: دار الفكر العربي.
- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد. (د.ت). *المقتضب*. تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة. (د.ط). بيروت: عالم الكتب.
- المتنبي، أبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفي. (1983م). *ديوان المتنبي*. (د.ط). بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر.
- مجمع اللغة العربية. (د.ت). *المعجم الوسيط*. (د.ط). القاهرة: دار الدعوة.
- المحلي، جلال الدين بن أحمد، والسيوطي، جلال الدين بن أبي بكر. (د.ت). *تفسير الجلالين*. ط1. القاهرة: دار الحديث.
- المدني، السيد علي صدر الدين بن معصوم. (1986م). *أنوار الربيع في أنواع البديع*. تحقيق: شاکر هادي شاکر. ط1. النجف: مطبعة عمان.
- المراغي، أحمد بن مصطفى. (1946م). *تفسير المراغي*. ط1. مصر: شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وشركاه.

- المراغي، أحمد بن مصطفى. (1993م). علوم البلاغة "البيان-المعاني-البديع". ط3. بيروت: دار الكتب العلمية.
- المسيري، منير محمود. (2005م). دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم. ط1. القاهرة- مصر: مكتبة وهبة.
- مطلوب، أحمد الرفاعي. (1980م). أساليب بلاغية. ط1. الكويت: وكالة المطبوعات.
- مطلوب، أحمد الرفاعي. (1986م). معجم المصطلحات البلاغية. (د.ط.). (د.م.): المجمع العلمي العراقي.
- ابن المعتز، أبو العباس عبد الله بن محمد. (1986م). ديوان ابن المعتز. تحقيق: كرم البستاني. ط1. بيروت-لبنان: دار صادر.
- ابن المعتز، أبو العباس عبد الله بن محمد. (1990م). البديع في البديع. ط1. (د.م.): دار الجيل.
- المقدسي، ضياء الدين. (2000م). الأحاديث المختارة مما لم يخرجها البخاري ومسلم في صحيحهما. تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش. ط3. بيروت-لبنان: دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع.
- ابن منظور. محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل، جمال الدين. (1414هـ). لسان العرب. ط3. بيروت: دار صادر.
- موسى، أحمد إبراهيم. (1969م). الصبغ البديعي في اللغة العربية. (د.ط.). القاهرة: دار الكاتب العربي للطباعة والنشر.
- الميداني، عبد الرحمن بن حسن بن حنبل. (1996م). البلاغة العربية. ط1. دمشق-بيروت: دار القلم-الدار الشامية.
- نخبة من أساندة التفسير. (2009م). التفسير الميسر. ط2. السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

نكري، القاضي عبد النبي. (2000م). *دستور العلماء*. عرب عباراته الفارسية: حسن هاني. ط1. بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية.

النووي، أبو زكريا محي الدين بن شرف. (1392هـ). *شرح النووي على مسلم*. ط2. بيروت: دار إحياء التراث.

النويري، شهاب الدين. (2000م). *نهاية الأرب في غنون الأدب*. ط1. القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية.

النيسابوري، مسلم بن الحجاج. (د.ت). *صحيح مسلم*. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. (د.ط). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الهاشمي، أحمد بن إبراهيم. (د.ت). *جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدع*. ضبط وتدقيق وتوثيق: يوسف الصميلي. (د.ط). بيروت: المكتبة العصرية.

ابن هشام الأنصاري، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد. (1985م). *مغني اللبيب عن كتب الأعراب*. تحقيق: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله. ط6. دمشق: دار الفكر.

ابن هشام الأنصاري، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد. (1383م). *شرح قطر الندى وبل الصدى*. تحقيق: محمد عبد الحميد. ط11. القاهرة: (د.ن).

ابن هشام الأنصاري، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد. (د.ت). *أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك*. تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي. (د.ط). (د.م): دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

الواحدي، أبو الحسن علي بن محمد بن علي. (1994م). *الوسيط في تفسير القرآن المجيد*. تحقيق وتعليق: الشيخان: عادل عبد الموجود وعلي معوض، وآخرون. ط1. بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية.

وهبة، مجدي، والمهندس، كامل. (1984م). *معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب*. ط2. بيروت: مكتبة لبنان.

ابن ياسين، حكمت بن بشير. (1999م). *الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور*. ط1. المدينة المنورة: دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة.

يعقوب، إميل. (1996م). *المعجم المفصل في شواهد العربية*. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

الفهارس العامة

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقم الآية	طرف الآية
سورة البقرة		
29	49	(وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ * ...)
129	185	(يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ)
187	253	(وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خُطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ ...)
129	286	(لَا يَكْفُرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا أَوْسَعَهَا)
آل عمران		
136	138	(هَذَا بَيِّنٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ)
النساء		
213	3	(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ ...)
الأنعام		
205	60	(وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ...)
الأعراف		
140	116	(وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ)
الحجر		
120	94	(فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ)

الصفحة	رقم الآية	طرف الآية
النحل		
136	89	(وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى ...)
64	112	(وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً)
الكهف		
104	16	(وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ ...)
مريم		
171، 42، 18	4	(قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ ...)
26	7	(يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا)
68	8	(قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ ...)
94	9	(قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكْ شَيْئًا)
211	9-8-7	(يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا * ...)
23	10	(قَالَ آيَتُكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا)
194	11	(فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُحْرَةً وَعَشِيًّا)
112، 83	12	(يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا)
196	15	(وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا)
185، 23	17	(فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا)
105	19-18	(قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ ...)

الصفحة	رقم الآية	طرف الآية
185	19	(قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا)
110	20	(قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا)
81	23	(يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا)
80	24	(فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا)
197	25	(وَهَزِي إِلَيْكَ بِجِدْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا حَنِئًا)
57	26	(فَكُلِي واشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا)
172	27-26	(وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا * وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا)
186 ، 110 ، 83	28	(يَا أُخْتِ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا)
64	29	(كَيْفَ نُنَكِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا)
132	31-30	(قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ ...)
18	33-30	(قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ ...)
196	33	(وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا)
131	35	(مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ ...)
39	37	(اٰخْتَلَفَ الْاٰحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِيْنَ كَفَرُوْا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيْمٍ)
58	38	(أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ)
117	40	(إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ)
133	44-42	(إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ ...)

الصفحة	رقم الآية	طرف الآية
74	44	(يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا)
90	46	(قَالَ أَرَأَيْبِ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمَ لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ لِأَرْجَمَنَّكَ ...)
165	50	(وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا)
219 ، 40	59	(فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ ...)
38	60	(إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا ...)
160، 38	61	(جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا)
104	64	(وَمَا نُنزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ)
70	65	(رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ ...)
61	66	(وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا)
38	72	(ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذُرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا)
60	75	(قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا)
41	76	(وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا)
159 ، 40	79	(كَلَّا سَنَعْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا)
222	84-83	(أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَزُّهُمْ أَزًّا * فَلَا تَعْجَلْ ...)
202	86-85	(يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا * وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرْدًا)
168	97	(فَإِنَّمَا يَسَّرْنَا بِهِ لِسَانَكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا)

الصفحة	رقم الآية	طرف الآية
طه		
134، 25	10	(إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ...)
25	16-11	(يَا مُوسَىٰ * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى *...)
79	16	(فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ)
64	17	(وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ)
90	18	(قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ)
176	20	(فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ)
176	22	(وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ)
48-123	26-25	(قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي)
119	36	(فَدُؤِتِ سَأْلُكَ يَا مُوسَىٰ)
119	37	(وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ)
186-174	39	(أَنْ أُنْفِذِيهِ فِي التَّابُوتِ فَأُنْفِذِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْفِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَهُ)
163	40	(فَرَجِعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ)
80، 77	46	(قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ)

الصفحة	رقم الآية	طرف الآية
28، 58، 77	47	(فَاتِيَاهُ فُقُولًا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعَذِّبَهُمْ ...)
172	53	(الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَّكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنْ ...)
55	54	(كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى)
79	61	(قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيَلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَيَّ اللَّهُ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ ...)
139	66	(قَالَ بَنُ الْأَقْوَامِ إِذَا جِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى)
95	67	(فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى)
96	70	(فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى)
179	71	(قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمْ ...)
55	72	(فَأَفْضُ مَا أَنْتَ قَاضٍ..)
166، 40	74	(إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى)
38	75	(وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى)
165	77	(وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ ...)
219، 61	94	(قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي)
64	95	(قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ)
105	98	(إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا)
173	99-100	(كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا * ...)

الصفحة	رقم الآية	طرف الآية
174	101	(خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا)
140	106-105	(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا * فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا)
183	110	(يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا)
132	112	(وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ)
73	120	(فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ ... (
40	125	(قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا كَذَلِكَ الْيَوْمَ تَنْسَى)
46	132	(وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ ...)
الأنبياء		
62	6	(مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ)
48	7	(وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)
177	18	(بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ ...)
82	22	(لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ ...)
201	23	(لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ)
187	26	(وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَ اللَّهِ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ)
95	31	(فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تُمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا ...)

الصفحة	رقم الآية	طرف الآية
27	32	(وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرَضُونَ)
96	33	(وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ)
131	34	(وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ)
200	35	(كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ)
116	37	(خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأَرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ)
68	38	(وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)
70	42	(قُلْ مَنْ يَكْلُوكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ...)
173	45	(قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصَّمْعُ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذِرُونَ)
63	55	(قَالُوا أَجِئْنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ)
165	61	(قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ)
65	62	(قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمَ)
188	62-63	(قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمَ* قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ ...)
199	66	(قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ)
56	69	(قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ)
166	75	(وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ)
95	78	(وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفِثَتْ فِيهِ غَمَمُ الْقَوْمِ ...)
96 ، 95	79	(فَفَقَّهُمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ ...)

الصفحة	رقم الآية	طرف الآية
70	80	(وَعَلَّمَآهٖ صَنَعَةَ الْبُوسِ لَكُمْ لِيُحْصِنَكُمْ مِنْ بَآسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ)
188	83	(وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)
78	89	وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ
186	91	(وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا ...)
94	97	(وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا ...)
145 ، 140	104	(يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ...)
الحج		
83	1	(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ)
213	2-1	(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ*يَوْمَ ...)
213	2	(يَوْمَ تَرَوْنها تَدْهُلُ كُلُّ مَرْصِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ ...)
177	3	(وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّريِدٍ)
183	9-8	(وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ*...)
162	10-9	(ثَانِي عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ ...)
162	10	(ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ)
203 ، 175	11	(وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ...)
86	13	(يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لِيَبْسُقَ الْمُؤَلَّى وَلِيَبْسُقَ الْعَشِيرُ)
209 ، 11	27	(وَإِذْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ ...)

الصفحة	رقم الآية	طرف الآية
153	31	(حُفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنْ ...)
88	40	(الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ ...)
141	47	(وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ ...)
97	52	(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ ...)
128	53	(لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ ...)
204	60	(ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرْنَاهُ اللَّهُ إِنَّ ...)
184 ، 86	72	(وَإِذَا تَلَّيْتُمْ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا ...)
96	75	(اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ)
83	77	(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا ...)
129	78	(وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ...)
المؤمنون		
127	11-10	(أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ*الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)
174	13	(ثُمَّ جَعَلْنَا نُطْفَةَ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ)
126	23	(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ ...)
93	24	(فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ ...)
125	28	(فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِّ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا ...)

الصفحة	رقم الآية	طرف الآية
126	32	(فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ...)
124	44	(ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلًّا مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ ...)
126	45	(ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ)
126	50	(وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ)
120، 83، 55	51	(يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ)
57	54	(فَذَرُهُمْ فِي عَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ)
178	62	(وَلَا تُكَلِّفْ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ)
98	78	(وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ)
92	83	(لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤَنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنَّ هَذَا إِلَّا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ)
112	91	(مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ ...)
202	96	(ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ)
164، 82، 59	100-99	(حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ*أَلَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا ...)
49	107	(رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ)
54	108	(قَالَ احْسَبُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ)
62	115	(أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ)

الصفحة	رقم الآية	طرف الآية
النور		
123	1	(سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)
92	2	(الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ ...)
93	3	(الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ ...)
106	11	(إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ ...)
114	20	(وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ)
143 ، 74	21	(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ ...)
74	22	(وَلَا يَأْتِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى ...)
90 ، 84	27	(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا ...)
151 ، 139 ، 155	35	(اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ...)
220	37	(رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ...)
155 ، 147 ، 143	39	(وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا ...)
97	41	(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْخَرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَاتٍ ...)
215	44-43	(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى ...)
24	45	(وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَّنْ ...)
104	51	(إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ ...)

الصفحة	رقم الآية	طرف الآية
100	54	(قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ ...)
86	57	(لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمُ النَّارُ ...)
53	61	(فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً ...)
الفرقان		
98	3	(وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا ...)
63	9	(انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا)
176 ، 169	12	(إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا)
116	21	(وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا ...)
182 ، 81	27	(وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا)
81	28	(يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا)
26	30	(وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا)
69	43	(أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا)
146 ، 144 ، 96 152	47	(وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا)
111	63	(وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ ...)
50	65	(وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا)
128	69-68	(وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ

الصفحة	رقم الآية	طرف الآية
		(...)
50	74	(وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا فُرَّةً أَعْيُنٍ ...)
114	77	(قُلْ مَا يَعْجَبُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ...)
الشعراء		
34	8	(إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ)
34	9	(وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ)
114	18-17-16	(فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ* أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا ...)
65	18	(قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ)
208	-19-18 22-21-20	(قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ* وَفَعَلْتَ ...)
32	29	(قَالَ لَنْ اتَّخَذْتُ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ)
67	42-41	(فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّنَا لِلْأَجْرَاءِ إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْعَالِيِينَ* ...)
60	43	(قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ)
63	70	(إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ)
165	84-83	(رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ* وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ ...)
78	87-86	(وَاعْفُزْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ* وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ)
82	102	(فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةٌ فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)

الصفحة	رقم الآية	طرف الآية
101	-112-111 -114-113 115	(قَالُوا أَنْوْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذُلُونَ*قَالَ وَمَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ*إِنْ ...)
123	-133-132 134	(اتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ*أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَيِّنٍ*وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ)
67	136	(قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَّعْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ)
105	153	(قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ)
63	165	(أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ)
218	168-167	(قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ*قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ ...)
59	187	(فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ)
63	203	(فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ)
166	208	(وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ)
13	-225-224 227-226	(وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ*أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ*وَأَنَّهُمْ ...)
النمل		
142،145	10	(وَأَلْقَى عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا ...)
179	18	(حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا ...)
216	22	(فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطُ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ ...)

الصفحة	رقم الآية	طرف الآية
72	27	(قَالَ سَتَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ)
79	31-30-29	(قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ*إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ ...)
130	35-34	(قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَآةَ أَهْلِهَا آدِلَةً ...)
84	46	(قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ...)
56	51-50	(وَمَكْرُوا مَكْرًا وَمَكْرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ *فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ ...)
63	54	(وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ)
28	56	(فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ ...)
53	64	(أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلَيْهَ مَع ...)
71	65	(قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ ...)
91	68	(لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ...)
72	69	(قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ)
213	72-71	(وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ*قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ ...)
211	72	(قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ)
103	75	(وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ)
139,146 150	88	(وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي ...)
130	91	(إِنَّمَا أَمِرتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمِرتُ ...)

الصفحة	رقم الآية	طرف الآية
القصص		
26	3	(وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا)
159،131،33	4	(إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ)
80	7	(وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ ...)
164	8	(وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا ...)
87 ، 77	9	(وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنَ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ ...)
115	11	(وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّبِهِ فَبَصَّرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ)
115	12	(وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ ...)
115	13	(فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ...)
198	15	(وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا)
51 ، 43	16	(قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)
51	18	(إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُبِينٌ)
202	19	(فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْبَطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ ...)
52	20	(وَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ ...)
51	21	(فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)
86	22	(وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ)
222	24-23	(وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْتَأْذِنُونَ وَوَجَدَ مِنْ ...)

الصفحة	رقم الآية	طرف الآية
42	24	(رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ)
188	25-24-23	(وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْفُونَ وَوَجَدَ مِنْ ...)
80 ، 59	31	(وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ...)
163	35	(قَالَ سَتَشِدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ ...)
94	55-52	(الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ*وَإِذَا يُنْتَلَى عَلَيْهِمْ ...)
194	54	(أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرُؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ ...)
161	57	(وَقَالُوا إِنْ تَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُحْطِفُ مِنْ أَنْزِلِنَا أَوْ لَمْ نَمُكِّنْ لَهُمْ ...)
67	71	(قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ إِلَهٍ ...)
207	73	(وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ ...)
66	74	(وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ)
222 ، 75	77-76	(إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ ...)
57	77	(وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ...)
105	78	(قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ ...)
81	79	(فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا ...)
75	81	(فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ...)
78	87	(وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنْزَلْتُ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى ...)

الصفحة	رقم الآية	طرف الآية
العنكبوت		
118	2	(أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يَبْرُكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ)
198	3-2	(أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يَبْرُكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا ...)
30	3	(وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا ...)
37	7	(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ ...)
44	8	(وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا)
37	9	(الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ)
149 ، 31	10	(وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةً لِلنَّاسِ ...)
195 ، 60 ، 31	12	(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ ...)
42	18	(وَإِنْ تَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا ...)
56	20	(قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ)
94	21	(يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ)
35	24	(فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ ...)
151	29	(وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ ...)
39	31	(وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَنْتَآلَا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا ...)
96	38	(وَعَادًا وَتُمْؤُدًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِينِهِمْ)

الصفحة	رقم الآية	طرف الآية
148 ، 145 ، 35	41	(مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ...)
102	43	(وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ)
44	47	(وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ...)
44	49	(بَلْ هُوَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ ...)
106	50	(وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٍ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا ...)
95	52	(قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ...)
47	56	(يَا عِبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ)
85	58	(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُؤْتِيَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ ...)
29	60	(وَكَايِنَ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا)
66	61	(وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ...)
29	62	(اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ ...)
41	63	(وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ ...)
41	64	(وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ ...)
57	66	(لِيُكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ)
161	67	(أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ...)

الصفحة	رقم الآية	طرف الآية
41	73	(وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنَ بَعْدِ ...)
44	195	(إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا)
الروم		
53	27	(وَهُوَ الَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ)
لقمان		
90	20	(أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ...)
الأحزاب		
39	65-64	(إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَاْفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ ...)
الصفات		
203	22	(احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ)
الشورى		
201	11	(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)
الرحمن		
136	4-3-2-1	(الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ)
1	12	(فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)
200 ، 164 ، 131	27-26	(كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ)
99	72	(حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ)

الصفحة	رقم الآية	طرف الآية
القلم		
183	33	(كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَالْعَذَابُ الْآخِرَةُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)
النبا		
217	12	(عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبِإِ الْعَظِيمِ)
عبس		
32	37-34	(يَوْمَ يَقْرَأُ الْمُرءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ ...)

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية

رقم الصفحة	طرف الحديث	م
38	"يقول الله عز وجل: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد، ..."	1
46	"حُبب إلي من الدنيا النساء والطيب وجُعِل قرة عيني الصلاة ..."	2
49	"أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني"	3
50	"إذا ماتَ الإنسان انْقَطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من ..."	4
91	"لكل بنى آدم حظ من الزنا فالعينان تزنيان ..."	5
127	"يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال، ..."	6
155	"إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله، لا يرى بها بأساً، ..."	7